العدد الثالث
ديسمبر 2014

واقع تصنيف التراث الجزائري بين الواقع والعوائق

أ.د معروف بلحاج
د. طرشاوي بلحاج
جامعة تلمسان

مقدمة:

يتعرض التراث المادي من معالم ومواقع أثرية باستمرار إلى عمليات التشويه والتخريب والسرقة والاستغلال الفوضوي من قبل مختلف فئات المجتمع، ولحمايته والحفاظ عليه لجأت الدول والهيئات الدولية إلى جرده وتصنيفه كخطوة هامّة لابد من اتّخاذها لإيصاله سليما إلى الأجيال القادمة، ومما لاشك فيه أنّ الدولة الجزائرية قد أخذت على عاتقها مهمّة حماية التراث المادّي وخطت خطوات في مجال الجرد والتصنيف سواء على المستوى الوطني أو العالمي، ونريد من خلال هذه الدراسة[1] تسليط الضوء على هذه العمليات واستخلاص معوقاتها، وبالتالي اقتراح بعض الحلول

1 - مفهوم التراث :

إنّ التراث في معناها اللغوي، مصدر من فعل ورث، إذ يقال: ورث فلانا، أي انتقل إليه مال فلان بعد وفاته، ويقال ورث المال والمجد عن فلان إذا صار مال فلان ومجده إليه. ويقال أورثه الشيء أبوه، وهم ورثة فلان، وورثه توريثا، أي أدخله في ماله على ورثته، وتوارثوه كابرا عن كابر. وفي الحديث:<<إليك مآبي ولك تراثي.>> التراث ما يخلّفه الرجل لورثته، والتاء فيه بدل الواو[2].

وفي ضوء المفهوم اللغوي لكلمة التراث نرى أنّها لفظ يشمل الأمور المادّية والمعنوية التي يتوارثها الخلف عن السلف.

وأمّا التراث من الناحية الاصطلاحية فيعني ما أنشئ على هذه الأرض من منشآت معمارية وما قام على ظهرها من بقايا أثرية، وما حُفظ بداخلها من خيرات، وما ابتدعه عقل الإنسان من مبتكرات، وما صنّفه من مؤلّفات وما سجّله من رسومات.

ويشمل التراث في معناه العام كلّ ما خلّفته الأجيال السابقة في كلّ الميادين سواء كانت مادية أو معنوية .

ويُقصد بالتراث المبني مجموع المباني ذات الأصالة والأهمية التاريخية التي ارتبطت بوجدان

الإنسان، واستمرت عبر الزمان شامخة مجابهة كلّ العوامل والتغييرات زمنيا وبيئيا مع الإنسان حتى أصبحت تشكّل جسدا واحدا مع البيئة والإنسان، لتكوّن بذلك منظومة واحدة لا يمكن فصل جزء منها على الآخر.

2 - **المبنى التاريخي؛ مفهومه وأنواعه:**

إن من بين ما خلّفة الإنسان عبر العصور تلك المنشآت المعمارية التي قام بتشييدها وترتيبها حسب أذواقه وتلبية لحاجياته، وهي تختلف من حيث تصميماتها وتوزيع فضاءتها وتقنيات بنائها حسب الوظيفة التي تؤدّيها في حياة الإنسان.

2 - 1 مفهوم المبنى التاريخي:

يُقصد بالمبنى التاريخي كلّ ما خلّفه الإنسان عبر العصور من عمران وعمارة كالمدن القديمة أو بعض أطلالها أو ما تبقى فيها من الأحياء والمباني العمومية والخاصّة على اختلاف أنواعها وعصورها وأحوالها، والتي لم تطلها يد التغيير والتحديث.

ويُعدّ هذا التراث الحبل الرابط بين الأمّة وماضيها وموطن عزّها وفخرها، فضلا عن أهمّيته الاقتصادية والثقافية والعلمية.

ويدخل تحت إطار المباني التاريخية حسب ميثاق البندقية كلّ إبداع معماري معزول أو موقع حضري أو ريفي شاهد على حضارة خاصّة أو تطوّر متميّز أو حادثة تاريخية. ولا يقتصر هذا المفهوم على المباني الضخمة والرائعة بل يشمل أيضا المعالم البسيطة التي أصبحت تحمل مع مرّ العصور رمزية ثقافية[3].

وعرّف المبنى التاريخي أيضا على أنّه المبنى الذي مضى على بنائه مدّة من الزمن تختلف حسب تشريعات كلّ بلد وتتراوح ما بين خمسين و مائتي عام.

ويعرّف القانون الجزائري 98/04 في مادته 17 المعالم التاريخية أنّها أي إنشاء هندسي معماري منفرد أو مجموع يقوم شاهدا على حضارة معينة أو على تطور هام أو حادثة تاريخية.

والمعالم المعنية بالخصوص هي المنجزات المعمارية الكبرى والرسم والنقش والفن الزخرفي والخط العربي والمباني أو المجمعات المعلمية الفخمة ذات الطابع الديني أو العسكري أو المدني أو الزراعي أو الصناعي، وهياكل عصر ما قبل التاريخ والمعالم الجنائزية أو المدافن، والمغارات, والكهوف واللوحات والرسوم الصخرية، والنصب التذكارية، والهياكل أو العناصر المعزولة التي لها صلة بالأحداث الكبرى في التاريخ الوطني[4].

2 - 2 أنواع المباني التاريخية:

خلّف الإنسان عبر العصور عدّة مباني وصلت إلينا في أشكال وأحوال متباينة، ويمكن تصنيفها فيما يلي :

2 – 2 – 1 المباني الحيّة :

ويُقصد بها تلك المباني التي مازالت تؤدّي وظيفتها الأصلية أو تُمارس فيها وظائف حديثة، ولكنّها تُحافظ على أصالتها.

ومن أمثلة المباني الحيّة نذكر المعابد والكنائس والبيع والمساجد على مختلف أنواعها والمدارس والقصور والبيمارستانات والحمامات والأسبلة والجسور والخانات والأبواب والأسوار والأبراج وغيرها من المنشآت الأخرى، ولكن هذه المباني لا تحتفظ في معظم الأحيان بأصالتها لما يطرأ عليها من تغييرات مع مرور الزمن كأعمال التجديد والتعديل والزيادات، وهكذا يترك كلّ عصر بصماته على المبنى الحي فيغدو وكأنّه متحفا يستعرض الطرز وتقنيات كلّ عصر[5].

2 – 2 - 2 الخرائب والأطلال:

تعرّضت الكثير من المنشآت المعمارية القديمة والمدن الأثرية إلى الهدم بسبب من الأسباب فهجرها الإنسان وتحوّلت إلى خراب، فتبدو بعض أجزائها قائمة في مكانها والبعض الآخر عبارة عن أنقاض وبقايا متناثرة. إنّ علماء الآثار لا يجدون في مثل هذه الحالات صعوبة في تحديد عصرها والتعرّف على معالمها[6]، وخير مثال نقدّمه هنا؛ أطلال مدينة المنصورة وقلعة بني حماد وبعض القصور الصحراوية المهجورة كقصر بوسمغون في الجنوب الغربي الجزائري.

2 – 2 - 3 المباني والمدن الأثرية المندرسة:

بفضل العوامل الطبيعية مثل الرياح والسيول تتراكم الأتربة والرمال فوق المدن أو المباني المهجورة، وشيئا فشيئا تتشكّل ما يشبه التلال ذات القمم المسطّحة التي تختلف بطبيعة الحال في مظهرها عن التلال الطبيعية، ولذلك يمكن الاستدلال عليها بسهولة، ولكن التعرّف على معالمها لا يتمّ إلاّ بإجراء تنقيب علمي، وإزاحة تلك الأتربة التي تراكمت عليها، ويمكن المحافظة على بعض مباني هذه المدن المندرسة من خلال إجراء صيانة بحيث تجعلها تقاوم العوامل الجوية المختلفة[7]، ويمكن أن نذكر كمثال مدينة سدراته الأثرية.

3 – الموقع الأثري:

تعرّف المواقع الأثرية حسب القانون 98/ 04 بأنّها:

مساحات مبنية أو غير مبنية دونما وظيفة نشطة وتشهد بأعمال الإنسان أو بتفاعله مع الطبيعة، بما في ذلك باطن الأراضي المتصلة بها، ولها قيمة من الوجهة التاريخية أو الأثرية أو الدينية أو الفنيّة أو العلمية أو الإثنولوجية أو الانتروبولوجية. والمقصود بها على الخصوص المواقع الأثرية بما فيها المحميات الأثرية والحظائر الثقافية[8].

4 - أهمّية التراث المعماري:

لقد تطوّرت مع مرور العصور نظرة الإنسان نحو المبنى التاريخي، واختلفت درجة الوعي من أمّة لأخرى، فقد كان حرص الإنسان في القديم كبيرا في الحفاظ على المباني الدينية مثل المعابد بكلّ أنواعها مثل البيع والكنائس والمساجد والمدافن والمباني الدينية الأخرى على العموم، وذلك لما لهذه المنشآت من قدسية في نفوس الناس فحظيت لذلك بالاهتمام البالغ وبالعناية الكافية من ترميم وإصلاح وإضافات.

ومما يدلّ على اهتمام بعض الحكام المسلمين واحترامهم للمباني التاريخية والوعي المبكّر للتراث القديم لدى العرب ما نقله الرحالة عبد اللطيف البغدادي في كتابه «الإفادة والاعتبار عن مشاهداته للآثار المصرية القديمة فيقول: «...وما زالت الملوك تراعي بقاء هذه الآثار وتمنع من العبث فيها، والعبث بها، وإن كانوا أعداءً لأربابها وكانوا يفعلون ذلك لمصالح، منها لتبقى تاريخا يتنبه به على الأحقاب، ومنها أنّها تدلّ على شيء من أحوال السلف وسيرتهم وتوافر علومهم وصفاء فكرهم وغير ذلك، وهذا كلّه ممّا تشتاق النفس إلى معرفته وتوثر الاطلاع عليه...»[9].

إنّ المباني التاريخية تعدّ شواهد محسوسة تساعد على دراسة تطوّر حضارات المجتمعات البشرية وفنونهم، كما أنّها تشكّل المادّة الخام لإرساء صناعة سياحية متطوّرة، حيث تتوقّف سياسات البلدان السياحية بما تمتلكه من تراث تاريخي وبما تمليه من عناية له، وهكذا أصبح هذا التراث موردا اقتصاديا هامّا وثروة تدرّ مداخيل هائلة لبعض الدول مثل تركيا وإسبانيا وإيطاليا ومصر والعراق قبل احتلال.

إنّ مكانة التراث المبني تتجلّى في اعتباره تراثا ذا صلة وثيقة بهوية الأمّة التي تمتلكه ويعطيها طابعا مميّزا ويعبّر عن عبقريتها في إيجاد الحلول لمشاكل معمارية، ويحمل كلّ مبنى تاريخي ذكريات عزيزة على الأمّة ويمثّل حلقة من حلقات الحضارة الإنسانية، وانطلاقا من هذه الأهمّية جاء انشغال المنظّمات العالمية بالتراث الثقافي للأمم والشعوب فاجتهدت على حمايته والمحافظة عليه من الاندثار والضياع.

5 - مفهوم الجرد وأهدافه:

الجرد هو عملية إحصاء وجمع كلّ المعلومات المتعلّقة بمبنى تاريخي أو موقع أثري. إنّ اعتماد نص قانوني وطني لوضع جرد للتراث المبني يضمن نوعا من الحماية والصيانة حسب الظروف المناسبة لكلّ بلد عندما تقرّ القواعد النظرية وقواعد التنفيذ معا. لقد دعت اتّفاقية باريس سنة 1972 في مادّتها الحادية عشر كلّ الدول التي كانت طرفا في هذه الاتّفاقية إلى وضع جرد كامل لكلّ ممتلكاتها الثقافية والطبيعية الواقعة فوق ترابها إلى لجنة التراث[01].

إنّ هذه الاتّفاقية ألزمت كلّ الدول الأطراف على وجوب وضع إطار قانوني وعلمي وفني للجرد وحثّتهم على تطوير استراتيجيات وسياسات حماية وصيانة التراث الثقافي، وذلك على المستويين المتوسّط والبعيد.

ولجرد التراث المعماري استراتيجيات تنعكس إيجابا على المحافظة والحماية، حيث يصبح مصدر تأثير على أيّ قرار يتعلّق بإنجاز أشغال هامّة عمومية كانت أم خاصّة على مقربة من المباني التاريخية أو المواقع الأثرية. وهكذا يمكن تأمين الحماية القانونية للمباني التاريخية من خلال اتّخاذ تدابير ضرورية ومنح رخص لمنع الاعتداءات المتواصلة على التراث.

يهدف الجرد إلى وضع قانون لحماية التراث المعماري، وتصبح الدول ملزمة بتطبيق هذا القانون من أجل ضمان الحماية الكافية للمعالم الأثرية الموجودة على ترابها، وتساهم المؤسّسات العمومية والخاصّة أيضا في تفعيل هذا القانون وتشارك في حماية التراث.

لقد دعت القوانين الجزائرية في موادها من 7 إلى 29 المؤسّسات المخوّلة على جرد وتسجيل وتصنيف كلّ المباني الأثرية العامّة والخاصّة[11].

6 - جرد الممتلكات الثقافية في القانون الجزائري:

ينص القانون الجزائري 98/04 على ضرورة توفير الحماية القانونية للتراث المادي الجزائري، ويشمل مصطلح: «التراث المادي « كل ما نصت عليه المادة 02 و03 من القانون المذكور[21].

ويمثل الجرد الأثري والتصنيف والاستحداث في شكل قطاعات محفوظة، أهم أنظمة الحماية القانونية التي توفرها المؤسسات الوطنية أو المؤسسات الدولية[31].

الجرد الإضافي: تكلف الجهات المخولة قانونا، إعداد جرد إضافي للممتلكات الثقافية العقارية، التي تكتسي أهمية من وجهة التاريخ أو علم الآثار أو العلوم أو الإثنوغرافيا، أو الأنتروبولوجيا، أو الفنّ والثقافة، وتستدعي المحافظة عليها. ولا تتطلب عملية الجرد تصنيف

هذه المواقع استعجالا. ويتم شطبها من قائمة الجرد بعد عشر سنوات[41].

6 - 1 الجهات المخولة بالجرد:

يتولى الوزير المكّلف بالثقافة، الأمر بالتسجيل في قائمة الجرد الإضافي، بعد استشارة اللجنة الوطنية للممتلكات. بناء على مبادرة منه أو مبادرة أي شخص يرى مصلحة في ذلك.

كما يمكن أن يتم التسجيل بقرار من الوالي عقب استشارة لجنة الممتلكات الثقافية التابعة للولاية المعنيّة، بالنسبة إلى الممتلكات الثقافية العقارية التي لها قيمة هامة على المستوى المحّلي، بناء على مبادرة من الوزير المكّلف بالثقافة، أو الجماعات المحليّة أو أي شخص يرى مصلحة في ذلك[15].

6 – 2 مكونات ملف الجرد الإضافي:

يتضمّن قرار التسجيل في قائمة الجرد الإضافي المعلومات الآتية:

-طبيعة الممتلك الثقافي ووصفه،

-موقعه الجغرافي،

-المصادر الوثائقية والتاريخية،

-الأهميّة التي تبرّر تسجيله،

-نطاق التسجيل المقرّر، كليّ أو جزئي،

-الطبيعة القانونية للممتلك،

-هوية المالكين أو أصحاب التخصيص أو أي شاغل شرعي آخر،

-الاتفاقات والالتزامات[61].

ويتطلب تحضير هذا الملف كما ينص عليه نفس القانون في مادته التاسعة[71] الاستعانة بمجموعة من المتخصصين في مجالات مختلفة نذكر منها: علم الآثار والتاريخ والحقوقيين... وغيرهم، وهذا ما نسجل غيابه في معظم لجان البلديات التي تقوم بتأسيس الملف.

وقد قامت الوزارة بين 2007و2008 بجرد عام، تحت إشراف الديوان الوطني لتسيير الممتلكات الثقافية المحمية. وقد مست عملية الجرد 350 موقعا أثريا، منها 75 كهفا، يعود تاريخ بعضها إلى 40.000سنة ق م[81].

7 - التصنيف:

يعدّ التصنيف أحد إجراءات الحماية النهائية، وتعتبر الممتلكات الثقافية العقارية المصّنفة التي يملكها خواص قابلة للتنازل. ويقصد بالتصنيف اعتبار الممتلكات الثقافية والطبيعية تراثا

وطنيا، يعكس الهوية الوطنية، بحيث يلزم على الدولة توفير الحماية الكفيلة للحيلولة دون تعرضه للتلف والضياع أو الاعتداء عليه.

7 – 1 الممتلكات المعنية بالتصنيف:

يدخل تحت دائرة الحماية التي يوفرها التصنيف، كل ما نصت عليه المادة 17 من القانون98/04 من مختلف المعالم والمنجزات القديمة المشكلة للتراث الأثري.

1. المنجزات المعمارية الكبرى،
2. الرسم، والنقش، والفنّ الزخرفي، والخط العربي.
3. المباني أو المجمّعات المعلمية الفخمة ذات الطابع الديني أو العسكري أو المدني أو الزراعي أو الصناعي.
4. هياكل عصر ما قبل التاريخ.
5. المعالم الجنائزية أو المدافن، والمغارات، والكهوف واللوحات والرسوم الصخرية.
6. النصب التذكارية، والهياكل أو العناصر المعزولة التي لها صلة بالأحداث الكبرى في التاريخ الوطني[19].

7 – 2 الجهات المخوّلة بالتصنيف:

تصنف المعالم الأثرية بقرار من الوزير المكّلف بالثقافة عقب استشارة اللجنة الوطنية للممتلكات الثقافية، بناء على مبادرة منه أو من أي شخص يرى مصلحة في ذلك[02].

7 – 3 مكونات ملف التصنيف:

يجب أن يتضمن ملف التصنيف المعلومات الآتية:

- طبيعة الممتلك الثقافي وموقعه الجغرافي.
- تعيين حدود المنطقة المحميّة.
- نطاق التصنيف.
- الطبيعة القانونية للممتلك الثقافي.
- هوية المالكين له.
- المصادر الوثائقية والتاريخية
- المخططات والصور.
- الاتفاقات والالتزامات[(6)].

7 – 4 الهيئات المخولة بالتصنيف:

استنادا إلى قانون 98/04 تقوم بعملية التصنيف عدّة هيئات ومؤسسات وطنية ويمكن حصرها فيما يأتي:

7 – 4 – 1 اللجنة الوطنية للمتلكات العقارية:

وهي لجنة وطنية مكلفة بتصنيف الممتلكات العقارية ويقوم بتعيينها الوزير المكلف بالثقافة، ويتمثل عملها في ما يلي:

- إ بداء آرائها في جميع المسائل المتعّلقة بتطبيق هذا القانون والتي يحيلها إليها الوزير المكّلف بالثقافة.

- التداول في مقترحات حماية الممتلكات الثقافية المنقولة والعقارية، وأيضا في موضوع إنشاء قطاعات محفوظة للمجموعات العقارية الحضرية أو الريفية المأهولة ذات الأهميّة التاريخية أو الفنيّ[22]

7 – 4 – 2 اللجنة الولائية للممتلكات الثقافية:

تنشأ في مستوى كل ولاية لجنة للممتلكات الثقافية تكلف بدراسة أي طلب يتعلق بالتصنيف، وإنشاء قطاعات محفوظة، أو تسجيل ممتلكات ثقافية في قائمة الجرد الإضافي، واقتراحها على اللجنة الوطنية للممتلكات الثقافية. وتبدي رأيها وتتداول في طلبات تسجيل ممتلكات ثقافية لها قيمة محلية بالغة بالنسبة إلى الولاية المعنيّة في قائمة الجرد الإضافي[32].

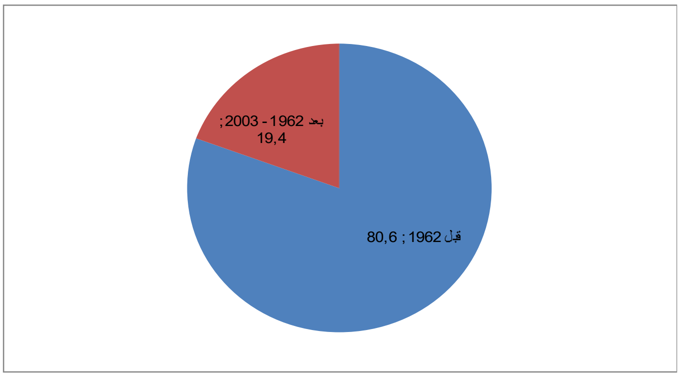

الشكل 1: التراث المادي المصنف في مدينة وهران إلى غاية 2003

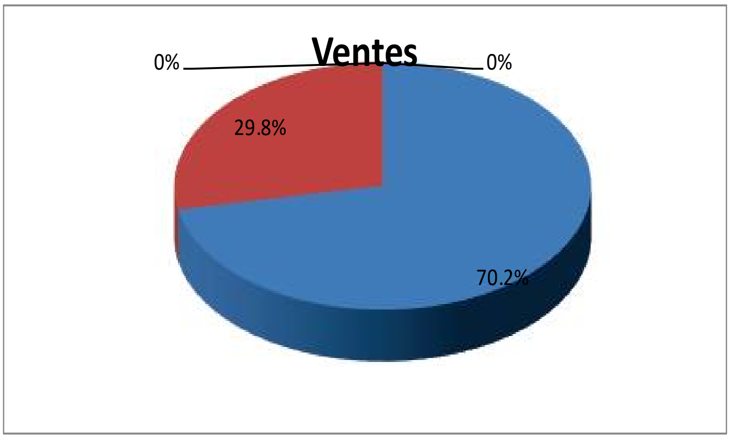

الشكل 2 : التراث المادي المصنف في قسنطينة إلى غاية 2003

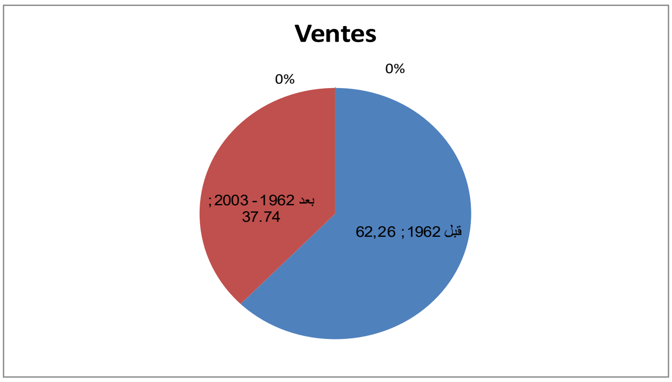

الشكل 3 : التراث المادّي المصنف في تلمسان إلى غاية 2003

والملاحظ من خلال هذه الإحصائيات أن نسبة المعالم الأثرية والطبيعية المصنّفة خلال خمسين سنة لا تتجاوز نسبة الأربعين في المائة من المعالم المصنّفة على المستوى الوطني حتى قبل الاستقلال. وهذا ما يدل على تقصير الهيئات المكلفة بعملية التصنيف.

8 - التصنيف على المستوى العالمي:

تبنت منظمة اليونسكو صياغة اتفاقية دولية تعنى بالتراث العالمي الثقافي والطبيعي، تعرف باسم اتفاقية حماية التراث العالمي الثقافي والطبيعي، أقرّها المؤتمر العام لليونسكو في دورته السابعة عشرة في باريس بتاريخ 16 نوفمبر 1972م.

وهذه الاتفاقية أداة قانونية تعنى بتعريف التراث الثقافي والطبيعي، وتضع معايير لترشيحه ليكون تراثاً عالمياً، كما تقترح أساليب المحافظة على هذا التراث وإدارته، وتدار الاتفاقية من قبل مركز التراث العالمي ولجنة التراث، وهما مؤسستان تابعتان لليونسكو، ونخص بالذكر هنا:

8 – 1 لجنة التراث العالمي:

تتكوّن هذه اللجنة من 21 دولة، وتجتمع سنوياً للنظر في الترشيحات المقدمة من طرف الدول الأعضاء بشأن إدراجها في قائمة التراث العالمي، واتّخاذ القرارات بشأن ترشيح المواقع الأثرية أو الطبيعية ضمن قائمة التراث العالمي، أو قائمة المواقع المهدّدة بالخطر.

شروط ترشيح المواقع للتصنيف العالمي: عملية ترشيح دولة ما لمواقعها تتطلّب العديد من الخطوات، أوّلها التوقيع على الاتفاقية لتصبح الدولة عضواً فيها، بعد ذلك تقوم الدولة بإعداد قائمة بمواقعها ذات القيمة الاستثنائية، ثم تختار من القائمة ما تريد ترشيحه ليدرج في قائمة التراث العالمي، موضحة مبررات الترشيح، وأن يكون الموقع محافظاً على أصالته ويحظى بحماية بشكل مناسب، مع تقديم تحليل يشمل مقارنة للموقع مع مواقع أخرى من نفس النوع،

ولكي تتم الموافقة على إدراج المواقع في قائمة التراث العالمي لابد أن تنطبق عليها معايير محددة في المادتين (1و2) من الاتفاقية، وهي معايير تضمن أن يكون الموقع ذا قيمة عالمية استثنائية ومحافظاً على شرطي الأصالة والسلامة.

وفي حالة ما إذا كان الموقع المدرج مهدّداً بأخطار جسيمة قد تسبب في إزالته، فإن لجنة التراث العالمي تقوم بعد استشارة الدولة المعنية بإدراج الموقع في قائمة التراث العالمي المعرض للخطر، ويعني إدراج الموقع في قائمة التراث العالمي المعرض للخطر أنه بحاجة إلى عون وأعمال كبرى لحمايته.

وأن عدم إدراج ممتلك ما من التراث الثقافي والطبيعي في أي من القائمتين، لا يعني بالضرورة أن هذا الأخير ليس له قيمة عالمية استثنائية في غير الأغراض المتوخاة من إدراجه في القائمتين المذكورتين.

ويزداد عدد المواقع العالمية المدرجة في قائمة التراث العالمي كل عام، فقد بلغ عدد الدول التي لديها مواقع مسجلة في قائمة التراث العالمي حتى عام 2005م 137 دولة، وبلغ عدد المواقع المدرجة في القائمة 628 موقعاً ثقافياً و160 موقعاً طبيعياً و24 موقعاً مختلطاً.

يعد كل موقع من مواقع التراث العالمي ملكاً للدولة التي يقع فيها وعليها مسؤولية حمايته

وإدارته إلا أنه يحظى باهتمام المجتمع الدولي.

8 – 2 القوائم المؤقتة في تصنيف التراث العالمي:

هي عبارة عن جرد للممتلكات الواقعة في أراضي كل دولة طرف والتي تعتبر الدولة أنها أهل لأن تدرج في قائمة التراث العالمي. وعليه ينبغي للدول الأطراف أن تدرج في قوائمها المؤقتة أسماء الممتلكات التي تعتبرها تراثا ثقافيا أو طبيعيا ذا قيمة عالمية استثنائية وتنوي ترشيحها خلال السنوات المقبلة.

ولا بد من الإشارة هنا إلى أن لجنة التراث العالمي لا تدرس الترشيحات التي تقدمها أي دولة، إلا إذا كان الممتلك المرشح قد سبق إدراجه في القائمة المؤقتة.

تساهم في إعداد القوائم المؤقتة طائفة واسعة من الجهات المعنية، بما في ذلك مسيرو المواقع والحكومات المحلية والحكومات الإقليمية والمجتمعات المحلية، والمنظمات غير الحكومية وغير ذلك من الأطراف المعنية والشركاء.

8 – 3 المعالم الأثرية الجزائرية المسجلة في القوائم المؤقتة:

هناك مجموعة من المواقع الأثرية في الجزائر قد أدرجت في القوائم المؤقتة، وعددها لا يتعدى ستة مواقع تنتشر في التراب الجزائري.

1. الضريح الملكي النوميدي ومعالمه الجنائزية قبل الفترة الإسلامية. بتاريخ 2002/12/30.
2. واحات الفقارة، وقصور العرق الشرقي الكبير.
3. ندرومة وجبال الترارة .
4. وادي سوف.
5. حظيرة الأوراس، وواحات و مضيق الغرفي.
6. موقع وطريق أوغسطين.

8 - 4 معايير التصنيف العالمي:

لإدراج الممتلك الثقافي ضمن قائمة التراث العالمي، كانت منظمة اليونسكو تعتمد على ستة معايير للتراث الثقافي وأربعة معايير للتراث الطبيعي إلى غاية سنة2004، وفي عام 2005، حيث تم تعديل تلك المعايير لتصبح مجموعة واحدة من عشرة معايير.

8 – 4 - 1 المعايير الثقافية

أولاً : يجب أن تمثل تحفة عبقرية خلاقة من صُنع الإنسان.

ثانياً : يجب أن تمثل إحدى القيم الإنسانية الهامة والمشتركة، لفترة من الزمن أو في المجال الثقافي للعالم ،سواء في تطور الهندسة المعمارية أو التقنية أو الفنون الأثرية أو تخطيط المدن، أو تصميم المناظر الطبيعية.

ثالثاً: يجب أن تمثل شهادة فريدة من نوعها أو على الأقل استثنائية لتقليد ثقافي لحضارة قائمة أو مندثرة.

رابعاً: يجب أن تكون مثالاً بارزاً على نوعية من البناء، أو المعمار أو مثال تقني أو مخطط يوضح مرحلة هامة في تاريخ البشرية.

خامساً: يجب أن يكون مثالا رائعاً لممارسات الإنسان التقليدية، في استخدام الأراضي، أو مياه البحر بما يمثل ثقافة (أو ثقافات)، أو تفاعل إنساني مع البيئة وخصوصا عندما تُصبح عُرضة لتأثيرات لا رجعة فيها.

سادساً: يجب أن تكون مرتبطة بشكل مباشرة أو ملموس بالأحداث أو التقاليد المعيشية، أو الأفكار، أو المعتقدات، أو الأعمال الفنية والأدبية ذات الأهمية العالمية الفائقة. (وترى اللجنة أن هذا المعيار يُفضل أن يكون استخدامه بالتزامن مع معايير أخرى.)

8 – 4 - 2 المعايير الطبيعية

أولا: يجب أن تحتوى ظاهر طبيعية فائقة أو مناطق ذات جمال طبيعي استثنائي»

ثانيا: يجب أن تكون الأمثلة البارزة التي تمثل المراحل الرئيسية من تاريخ الأرض، بما في ذلك سجل الحياة، وكبير على ما يجري العمليات الجيولوجية في تطوير تضاريسه، أو ملامح شكل الأرض أو فيزيوغرافية كبيرة» .

ثالثا: يجب أن تكون الأمثلة البارزة التي تمثل كبيرة على الذهاب البيئية والبيولوجية في عمليات التطور والتنمية من الأرضية، والمياه العذبة، الساحلية والبحرية النظم الإيكولوجية والمجتمعات المحلية من النباتات والحيوانات».

رابعا: يجب أن تحتوي على أهم وأكبر الموائل الطبيعية لحفظ التنوع البيولوجي بالموقع، بما في ذلك تلك التي تحتوي على الأنواع المهددة بالانقراض وذات قيمة عالمية فريدة من وجهة نظر العلم أو حماية البيئة.

8 – 4 – 3 الممتلكات الثقافية المسجّلة في القوائم المؤقتة.

البلد	العدد	السنة
الجزائر	06	2002
المغرب	12	95/98/10/11
فرنسا	32	96-2010
تونس	04	2008
ألمانيا	14	1999/2007/2010/2011

نلاحظ من خلال الجدول السابق أن فرنسا تتصدر قائمة المواقع المسجلة في القوائم المرقة من حيث عدد الممتلكات الثقافية المقترحة في التصنيف العالمي، وهذا يعطي فكرة عن السياسة التي تنتهجها فرنسا من أجل حماية تراثها.

9 - عوامل تراجع التصنيف:

هناك عوامل كثيرة تعيق عملية التصنيف على المستويين الوطني والعالمي، يمكن أن نلخصها في ما يلي:

9 – 1 القوانين التشريعية:

إن انتهاج سياسة ناجعة لحماية الآثار في أي رقعة من العالم يحتاج إلى التشريع القانوني اللازم الذي يضمن لها الحماية، ويعطي للساهرين عليه الغطاء القانوني للتدخل قي حالة تعرض التراث الثقافي إلى خطر الاندثار، كما يوفر للقائمين على حماية التراث الموارد المالية اللازمة.

ومنذ استقلال الجزار سنة 1962 لم يصدر المشرع الجزائري في مجال التراث المادي إلا نصين قانونين.

1. القانون رقم 67_281 المؤرخ بتاريخ: 20 ديسمبر 1967. الخاص بالحفريات وحماية الأماكن والآثار التاريخية والطبيعية.(1) وهو يعكس إرادة الجزائر في الاهتمام بتراثها الأثري، بعد الاستقلال. وقد أدركت الدولة الجزائرية بعد 30 سنة أن هذا القانون لم يعد يساير حركة التطور التي تعرفها الجزائر في العديد من المجالات. كما أنه لم يعد يواكب التحديات الخطيرة التي يعرفها التراث المادي.

2. القانون رقم:98/04 . وهو يلغي كل أحكام القانون رقم 67/281.

ويعد القانون 98/04 أكثر شمولية وأكثر وضوحا من سابقه، وهو ثمرة الكثير من الجهود.

وقد أعطى غياب الحماية القانونية اللازمة للتراث الأثري في الفترة الممتدة من 1967 إلى 1998 (بفاصل زمني يقدر بحوالي 31 سنة) بين صدور القانونين المجال لتخريب واندثار عدد من المعالم الأثرية، وذلك بفعل العوامل الطبيعية المختلفة أو البشرية.

وقد جاء هذا القانون بالكثير من الأمور الإيجابية لعل أهمها:

وضع تعريفا واضحا وشاملا للتراث المادّي، حيث عرّفت المادّة الثانية من القانون التراث المادي بأنه:" يعد تراثا ثقافيا للأمة، في مفهوم هذا القانون، جميع الممتلكات الثقافية العقارية، والعقارات بالتخصيص، والمنقولة، الموجودة على أرض عقارات الأملاك الوطنية وفي داخلها، المملوكة لأشخاص طبيعيين أو معنويين تابعين للقانون الخاص، والموجودة كذلك في الطبقات الجوفية للمياه الداخلية والإقليمية الوطنية الموروثة عن مختلف الحضارات المتعاقدة منذ عصر ما قبل التاريخ إلى يومنا هذا وتعد جزءا من التراث الثقافي للأمة أيضا الممتلكات الثقافية غير المادية الناتجة عن تفاعلات اجتماعية وإبداعات الأفراد والجماعات عبر العصور والتي لا تزال تعرب عن نفسها منذ الأزمنة الغابرة إلى يومنا هذا.»

كما تعززت المنظومة التشريعية في مجال التراث بين سنة 2003 و2007. بـ 25 نصا تطبيقيا *

1. يدعو هذا القانون إلى جرد الممتلكات الثقافية، حيث يرد في المادة رقم07 ما يلي:» تعد الوزارة المكلفة بالثقافة جردا عاما للممتلكات الثقافية المصنفة، المسجلة في جرد إضافي، أو الممتلكات المستحدثة في شكل قطاعات محفوظة. ويتم تسجيل هذه الممتلكات الثقافية استنادا إلى قوائم تضبطها الوزارة المكلفة بالثقافة، وتنشر في الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية. ويتم مراجعة القائمة العامّة للممتلكات الثقافية في كل عشر (10) سنوات، وتنشر في الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، حيث تحدّد كيفيات تطبيق هذا الحكم عن طريق التنظيم.»

وينص القانون على ضرورة تصنيف التراث الجزائري، حيث تنص المادة رقم 16على ما يلي:» يعدّ التصنيف أحد إجراءات الحماية النهائية، وتعتبر الممتلكات الثقافية العقارية المصّنفة التي يملكها خواص قابلة للتنازل. وتحتفظ هذه الممتلكات الثقافية العقارية المصّنفة بنتائج التصنيف أيا كانت الجهة التي تنتقل إليها .ولا ينشأ أي ارتفاق بواسطة اتفاقية على أي ممتلك ثقافي مصنف دون ترخيص من الوزير المكّلف بالثقافة[26].

9 – 2 المؤسسات الوطنية المخولة بالتراث المادي:

أنشأت وزارة الثقافة عدّة مؤسّسات عمومية تسهر على حماية الممتلكات الثقافية التراثية، وتقوم بعمليات الجرد والتصنيف.

9 – 2 - 1 الحظائر الوطنية :

أنشأت الدولة الجزائرية مجموعة من الحظائر الوطنية التي تسهر على تسيير كل ما يتعلق بالممتلكات الثقافية في المناطق التابعة لها.

أ - الحظيرة الوطنية للأهقار:

أنشئت هذه الحظيرة الوطنية استنادا إلى المرسوم رقم 87 - 231 مؤرخ في 11 ربيع الأول عام 1408 الموافق 3 نوفمبر سنة 1987 يتضمن إنشاء ديوان حظيرة الاهقار الوطنية.

وتشمل حظيرة الأهقار الوطنية الأماكن الآتية:

المنطقة الأولى: جبال الأهقار الوسطى (أطاكور، أغشوم، أدرار، أحكاغنوان هليجن، سركوت).

ـ جبال الطاسيلى وإن أهقار (شرقا وغربا)، تين شرغور، وتين ميساو.

ـ الأماكن الواقعة في محور تيت أباليسا، سيلات، تين داهار، ومحطات الرسوم الجدارية في ايكار، إن أمقال.

المنطقة 2 : جبال تافداست، مرتوتك، وأمدرور

المنطقة 3 : أدرار وجبال طاسيلى الاراك، ومن الاحنت، والايميدير ابتداء من النطاق السابق للطاسيلى في أراك تين خليفة، وتيديكلى الجنوبى حتى وادي ولآن ـ اسجراد، وايميدير أوسادرت.

المنطقة 4 : أحراش إن غار المتحجرة، وفجارة الزواء، وعقبة إن الحجات التي هي منفذ إلى هضبة تادمات والأراضي التي تتكون منها « حظيرة أهقار الوطنية «.

ب - الحظيرة الوطنية للتاسيلي:

أنشئت هذه الحظيرة الوطنية استنادا إلى المرسوم رقم 72 – 168 المؤرّخ في 16 جمادى الثانية عام 1392 هـ الموافق لـ 72 يونيو 1972 الذي يتضمن إنشاء الحظيرة الوطنية للتاسيلي والمؤسسة العمومية المكلفة بتسييرها.

تشمل ``حظيرة التاسيلى الوطنية`` حسب المادة 3 من المرسوم رقم 87 – 88 المؤرّخ في

22 شعبان 1407 هـ الموافق لـ 21 أبريل 1987 أراضي الهضبة التي تدعى ``تاسيلي ازقار``، وحدودها الجغرافية هي:

- مـــن الشـــرق : الشـــريط الحدودي مع الجماهيرية العربية لليبية.

- مـن الجنوب الشرقي : الحدود مع جمهورية النيجر حتى وادى تافساست غربا.

- مـــن الجنوب الغربي الى الشمال الغربي: يسلك حدها جبال إيدمبو حتى تــلتــقى بالــجـرف فـــى علوتين – نوار، ويمتد هذا الجرف الى إمقيد.

- مـــن الشمال : يكون حد الجبل هو منطقة التماس بين الهضبة والكثبان ويجسده طريق إليــزى - إمــقيـد المعبد غربا، وطريـق إليزى تارات غير المعبد شرقا.

- تـــــشكل مــــكثبات إدمير وتيهوداين مناطق متاخمة وتدمج فى الحظيرة.

وهذا الأراضي التي تتكون منها `` حظيرة التاسيلي الوطنية`` معينة فـــي التصميم الملحق بأصل هذا المرسوم.

9 – 2 – 2 الدواوين:

أ - الديوان الوطني لتسيير واستغلال المواد الثقافية المحمية.

وقد أنشأ بموجب المرسوم التنفيذي رقم 05 – 488 المؤرّخ في 20 ذي القعدة عام 1426 هـ الموافق لـ 22 ديسمبر 2008 الذي يحدد القانون الأساسي للديوان[72]، وذلك خلفا لما كان يعرف باسم الوكالة الوطنية للآثار وحماية المواقع التاريخية، التي كانت تمثل الجهة الرسمية الوحيدة المخوّلة بتسيير التراث المادي.

ويتفرع عن هذا الديوان الدوائر الأثرية وعددها خمسة عشر دائرة، موزّعة على التراب الوطني. وتجد هذه المؤسسة وفروعها صعوبة كبيرة في تسيير التراث المادي نظرا لشاسعة القطر الجزائري، ووفرة الممتلكات الثقافية والطبيعية.

والتنظيم الحالي الديوان الوطني لا يتماشى مع مبادئ القانون 04/98، إذ لا يمكن له أن يغطي إلا جزءا يسيرا من المساحة الأثرية للتراب الجزائري، ولعله من المناسب إعادة النظر في التقسيم الحالي للدوائر الأثرية، بحيث تتواجد دائرة أثرية في كل دائرة. بل إنه من الواجب استحداث منصب المكلف بحفظ التراث على مستوى كل بلدية.

ب - ديوان حماية وادي مزاب وترقيتة:

أنشأ الديوان استنادا للمرسوم التنفيذي رقم 92 -419 المؤرّخ في 22 جمادى الأولى عام 1413 الموافق لـ 17 نوفمبر 1992.

يسهر الديوان على تطبيق التشريع في مجال حماية الموقع المصنف بوادي ميزاب، والمحافظة عليه وترميمه واستصلاحه، وبهذه الصفة، فمهمته تتمثل فيما يأتي :

ـ يعد برنامجا ومخطّطا لاستصلاح الموقع التاريخي المصنف في وادي ميزاب حمايته.

ـ يشارك في حدود إمكانياته، في كل الخدمات التي من طبيعتها أن تكفل دعم العقارات المبنية التي تقع في الموقع التاريخي المصنف في وادي مزاب وترميمها واستصلاحها

ـ يساعد على التحكم في التقنيات والأشكال الهندسية المعمارية التقليدية

ـ يشجع باستعمال مواد البناء المحلية التقليدية وتعميمها، كما يشارك في البحث عن المواد البديلة وعن التقنيات الخاصة باستعمالها.

ـ يقترح على السلطات المعنية كل التدابير الرامية إلى تسهيل إحداث أنشطة حرفية تقليدية أو المحافظة عليها قصد استمرار الطابع التقليدي للنشاط في مستوى المراكز التاريخية « القصور «

ـ يقدم نصائح ويقوم، عند الاقتضاء، بالتعديلات المعمارية أو التعميرية اللازمة للحصول على الرخص في مجال البناء والتهيئة والتعمير

- ينجز أية دراسة خاصة ويكون الوثائق العلمية الضرورية للتعرف على المعلم التاريخي،لا سيما في ميادين البحث في مجال المحافظة والصيانة على التراث القديم،و على أشكال السكن الملائمة والمواد والتقنيات التي تنبسط منها.

- يشارك في أية دراسة ترمي إلى رفع مستوى الهياكل الأساسية من خلال مايأتي:

*تحسين أنظمة صرف المياه المستعملة مع احترام الشبكة التقليدية والمحافظة عليها أقصى ما يمكن.

*تحسين شبكات المياه الصالحة للشرب الموجودة وصيانتها.

*إقامة شبكات الغاز والكهرباء.

*تشجيع استيعاب مقاييس البناء العلمية وتطبيقها في المنطقة وتسهيـل ذلك والتحكم فيه و تطبيقه.

9 – 2 – 3 المراكز:

أ. المركز الوطني في البحـوث في عصور ما قبل التاريخ وفي علم الإنسان والتاريخ:

أنشأ المركز بمقتضى المرسوم التنفيذي رقم 93 -141 المؤرّخ في 24 ذي الحجة 1413 هـ الموافق لـ 14 يونيو 1993 المتضمن تحويل المركز الوطني للدراسات التاريخية إلى مركز وطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الإنسان والتاريخ، والمرسوم التنفيذي رقم 03 – 462 المؤرّخ في 07 شوال 1424 هـ الموافق لـ 01 ديسمبر 2003 الذي يعدل ويتمم المرسوم التنفيذي السابق ذكره.

يقوم المركز بالأبحاث في مـيدان علـوم ما قبل التاريخ وفي علم الإنسان والتاريخ، وتشمـل الإنسان والتجـمعات البشرية وممارساتها الثقافية وتفاعلاتها مع المحيط من عصور ما قبل التاريخ إلى أيامنا هذه.

يقوم بجـمـيع الأعمال ذات الطابـع الجيومورفولوجـي والأثري التاريخي مما له علاقة بمهمة تكوين رصيد وثائقي وبنك للمعطيات يرتبطان بهدفه. .

في نشر المعرفة وتعميمها في ميادين اختصاصه[82] .

9 – 2 – 4 المخابر:

توجد مجموعة من المخابر البحثية التي اعتمدت من قبل وزارة التعليم العالي بين سنوات 2008 و2012 تنشط في مجال التراث المادي وتعمل على ترقيته، ويمكن أن تساهم في عمليات الجرد بالتعاون مع المؤسسات والهيئات الوطنية المخولة لها قانونا إجراء مثل هذه العمليات، ونذكر منها على سبيل المثال لا الحصر مخبر التراث الأثري وتثمينه الذي اعتمد سنة 2011، ويتّخذ من جامعة تلمسان مقرا له,

9 – 2 – 5 الحركة الجمعوية:

عرفت الجزائر ظهور العديد من الحركات الجمعوية الناشطة في جميع المجالات المختلفة، وقد حاولت الدولة الجزائرية فتح المجال أمامها للمشاركة في الحياة اليومية للمواطن، وشجعتها على المساهمة في إحداث حركية داخل المجتمع المدني.

وقد ظهرت العديد من الجمعيات التي اهتمت بميادين مثل حقوق الإنسان وحقوق المرأة. وتمثل هذه الجمعيات نسبة 61.6 ٪ من الحركة الجمعوية. كما ظهرت جمعيات حملت على عاتقها عبء المحافظة على التراث المادي، غير أن هذه الجمعيات لا تمثل في حقيقة الأمر سوى نسبة2.7 ٪ مما يجعلها تحتل المرتبة الثامنة.

وتبقى هذه الجمعيات غير معروفة وغير مؤثّرة. والملاحظ أيضا أن نشاط الجمعيات في مجال حماية التراث، لا يشغل المهتمين بالعمل الجواري، وهو لا يجلب اهتمام الباحثين المختصين في حماية التراث أيضا. وبالنسبة على الجمعيات الفاعلة في مجال التراث، فإن حماية التراث لا يعد من الأولويات، فنجد هذه الجمعيات توسّع من نشاطها، إلى الأعمال الاجتماعية والثقافية بما يضمن الحصول على الإعانات الازمة[92].

خاتمة:

نقدم كنتيجة للدراسة مجموعة من المقترحات التي نراها مفيدة لاستكمال عمليات الجرد والتصنيف وهي كالآتي:

1 - إنشاء مراكز جديدة تهتم بالتراث المادي، على أن تكون لها فروع جهوية، من اجل تغطية أكبر مجال بحثي ممكن.

2 - تفعيل برامج مجالات التدريب والحفاظ والصيانة وإدارة المواقع وكذلك لتبادل الخبرات الفنية بين مختلف القطاعات الحكومية وتشجيع البعثات المشتركة ضمانا للاستفادة من الخبرات الأجنبية.

3 - عقد شراكة في إطار التكوين المتواصل مع المؤسسات الغربية المهتمة بمجالات التراث قصد تطوير الإطارات العاملين في الميدان.

4 - رقمنة المعطيات المتعلقة بالتراث المادي، وإنشاء مواقع إلكترونية للمؤسسات وبنك معلومات.

5 - الشروع في إعداد خريطة أثرية وطنية.

6 - وضع مواد تعليمية حول التراث في المناهج التربوية.

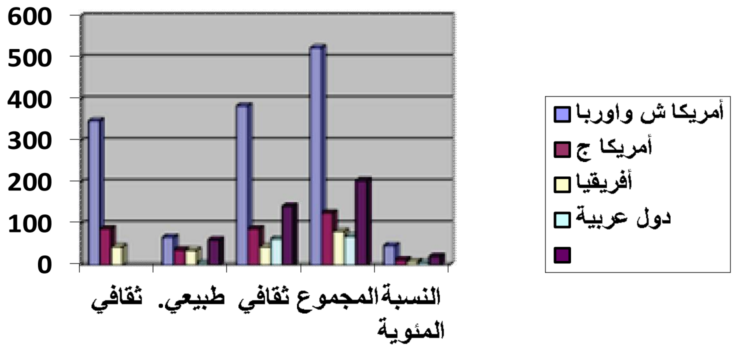

المنطقة	ثقافي	طبيعي	مختلط	مجموع	النسبة المئوية	الدول الأعضاء
أوروبا وأمريكا ش	384	58	10	524	48%	50
أمريكا الجنوبية	89	35	3	127	14%	26
أفريقيا	45	33	4	82	9%	30
اسية	143	53	9	205	22%	31
دول عربية	64	4	2	70	7%	16
مجموع	**679**	**174**	**25**	**878**	100%	153

جدول يمثل تصنيف التراث العالمي

السنة	المجموع	الجزائر
1980	27	1
1982	24	05
1985	30	//
1990	16	//
1992	20	1
1995	29	//
2000	61	//
2005	24	//
2010	21	//
2011	25	//

جدول يمثل عدد الممتلكات الثقافية العالمية المسجلة في كل سنة

البلد	المواقع المصنفة
إفريقيا الجنوبية	8
الجزائر	7
ألمانيا	36
أستراليا	19
النمسا	9
بلجيكا	10
البرازيل	18
كندا	15
الصين	41
كوبا	9
مصر	7
إسباني ا	43
الولايات المتحدة	21
سوريا	6
سويسرا	11
فرنسا	37
الأردن	4
ليبيا	5
العراق	3
المغرب	8

جدول يمثل الواقع المصنفة في العالم

البلد	سنة الامضاء	الممتلكات المسجلة	القائمة المؤقتة
الجزائر	241974/06/	07	06
افريقيا الجنوبية	10/07/1997	08	13
النمسا	18/12/1992	09	10
بلجيكا{ts '1996-07- 24 00:00:00'}	24/07/1996 Belgique	10	17

فرنسا	{ts ‘1975-06-27 00:00:00’}27/06/1975	35	34
الصين	{ts ‘1985-12-12 00:00:00’}12/12/1985	41	58
اسبانيا	{ts ‘1982-05-04 00:00:00’}04/05/1982	38	23
إيرلندا	{ts ‘1991-09-16 00:00:00’}16/09/1991	02	7
لبنان	{ts ‘1983-02-03 00:00:00’}03/02/1983	05	9
فنزويلا	{ts ‘1990-10-30 00:00:00’}30/10/1990		3
تونس	10/03/1975	08	4
المغرب	07/11/1978	08	12

جدول يمثل الممتلكات المسجلة أو التي ضمن القائمة المؤقتة

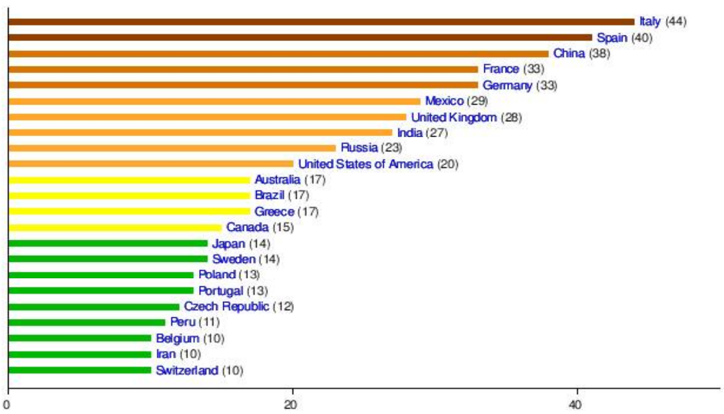

جدول بياني يوضح توزيع المواقع المصنفة عبر العالم عن اليونسكو

هوامش البحث

1 - قدمنا بهذه الدراسة في شكل مداخلة ألقيت في الملتقى الدولي

2 - ابن منظور : لسان العرب، ج: 6، دار المعارف، د.ت، ص : 480

3 –Charte de Venise1964

4 - القانون98/04 الصادر في الجريدة الرسمية الجزائرية العدد 44 بتاريخ الأربعاء 22 صفر 1419 الموافق لـ 17 يونيو 1998، ص: 6.

5 - عبد القادر الريحاوي: المباني التاريخية حمايتها وطرق صيانتها، منشورانت المديرية العامة للآثار ، دمشق 1972، ص : 10

6 - المرجع نفسه، ص : 10.

7 - المرجع نفسه، ص : 11.

8 - قانون 98/04 ، المادة 28، الجريدة الرسمية الجزائرية، ص: 8.

9 - البغدادي، كتاب الإفادة والاعتبارفي الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر، إشراف وتقديم عبد الرحمن عبد الله الشيخ، ط: 2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1998، ص :106.

10 - عتيقة الدراجي: << مواثيق قانونية دولية ومسح التراث الثقافي>> المسح الأثري في الوطن العربي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، تونس 1993، ص 184 – 189

11 - المواد من 7 إلى 29 من لقانون 04 / 98 ، الجريدة الرسمية الجزائرية ، ص: 5 – 8.

12 - المادة 2 – 3 من القانون 04 / 98 ....، ص : 4.

13 - لمادة 8 – 11 من القانون 04 / 98 ....، ص : 5

14 - المادة 7 من القانون 04 / 98 ....، ص : 5

15 - المادة 11 – 12 من القانون 04 / 98 ....، ص : 5

16 - المادة 12 من القانون 04 / 98 ....، ص : 5 – 6.

17 - المادة 9 من القانون 04 / 98 ....، ص : 5

18 - Ammar Kessab, Face au défi de la globalisation, quelle politique du patrimoine pour l'Afrique ? : Le cas de l'Algérie.p :4.

19 - المادة 17 من القانون 04 / 98 ....، ص : 6.

20 - المادة 18 من القانون 04 / 98 ....، ص : 7.

قانون 98/04 المؤرخ ب..........جريدة رسمية رقم:........ص7.[6]

22 - المادة 79 من القانون 04 /98 ، الجريدة الرسمية، ص: 16

23 - المادة 80 من القانون 04 /98 ، الجريدة الرسمية، ص: 16

[1] أمر رقم 281/67. مؤرخ في 1967/12/20. الجريدة الرسمية ، العدد 05، ص70.

26 - المادة 16 من القانون98/04، الجريدة الرسمية، ص: 6.

27 - الجريدة الرسمية الجزائرية، العدد 13، 11 ربيع الثاني 1434 هـ / 04 مارس 2012، ص:10 – 11.

28 - مرسوم تنفيذي رقم 93 ـ 141 مؤرخ في 24 ذي الحجة عام 1413 الموافق 14 يونيو سنة .1993.

29 - Balakhna Azzedine et autre, mouvement associatif sauvegarde du patrimoine… courrier du savoir, nm 9,p 63

ضريح الباي مصطفى لحمر بمستغانم

دراسة أثرية

د. بلجوزي بوعبدالله

جامعة تلمسان-

الموقع:

يقع ضريح الباي مصطفى لحمر على هضبة في أعالي حي المطمور وسط بعض المساكن القديمة التي ترجع إلى الفترة الاستعمارية، يقابله من الجهة الشمالية ضريح الباي بوشلاغم يفصل بينهما الطريق المؤدي من وسط المدينة إلى حي العرصة.

1- المؤسس وتاريخ التأسيس:

ينسب بناء هذا الضريح إلى الباي مصطفى لحمر الأخ الأصغر للباي مصطفى بوشلاغم، والذي تولى بايا على بايلك الغرب سنة 1147هـ/1735م[1] ، وأهم عمل قام به بناؤه لأسوار مدينة معسكر، توفي بمستغانم مسموما، ودفن بالمطمور وبنيت على ضريحه قبة[2] تعرف باسمه إلى اليوم وأما عن تاريخ بنائها فالأرجح أن تكون سنة وفاته.

2- التغيرات والتجديدات:

تحول هذا الضريح في العهد الاستعماري إلى مخزن للذخيرة الحربية[3]، وبعد الاستقلال تحول إلى مأوى لبعض العائلات التي ما تزال به إلى اليوم، وهو الآن في حالة يرثى لها.

3- الدراسة الوصفية:

3- أ المخطط العام:

إن الشكل العام لهذا المعلم عبارة عن قسمين منفصلين برواق مستحدث:

القسم الأول يحمل القبة الضريحية الكبرى وشكله يميل إلى الاستطالة، أما القسم الثاني فيحمل القبة الضريحية الصغرى، وشكله يميل إلى التربيع تقريبا، تقدر مساحته الإجمالية بحوالي 148م^2.(المخطط رقم:01)

3- ب الوصف الخارجي:

يتم الدخول إلى هذا الضريح عبر باب حديدي صغير استحدث بين قسميه، ولا يبدو أنه المدخل الحقيقي لهذا المعلم، مع الإشارة إلى أن هذا الضريح قد طرأت عليه عدة تغييرات من الخارج، نلمسها في استحداث عدة نوافذ وفتحات بالجهة الشرقية والجنوبية، هذا فضلا عن التشققات ونمو النباتات على القبتين، والتي أثرت بشكل كبير على هيكله المعماري.(الصورة رقم:01)

3- ج الوصف الداخلي:

يؤدي الدخول من الباب الصغير – المشار إليه سابقا- إلى الفضاء الفاصل بين الحجرتين الضريحيتين، ويبدو ذلك من خلال ملاحظاتنا للجدارين اللذين يحصرانه، حيث وبعد إزالتنا لبعض الحجارة في جدار حجرة القبة الصغيرة، وجدنا أثر لفتحة معقودة (مسدودة حاليا) (الصورة رقم:02)، وللتأكد دخلنا إلى هذه الحجرة فوجدنا على جدارها الداخلي نفس الأثر للفتحة المشار إليها، وبعد ذلك قمنا بمعاينة الجدار الثاني الذي يحصر الرواق فوجدنا فتحة معقودة بنفس الحجم (مسدودة حاليا) مقابلة لفتحة جدار الحجرة الضريحية الصغرى وبنفس العملية قمنا بمعاينة الحجرة الضريحية الكبرى من الداخل فتأكد لنا الأمر، مما جعلنا نتأكد من أن حجرتي القبتين كانتا مفتوحتين على بعضيهما ببابين متقابلين.

يفضي الباب المستحدث إلى فناء (حوش) صغير نجد على يساره باب حديث من الخشب يفضي إلى حجرة القبة الصغيرة، وهي مربعة تقريبا طول ضلعها 05م وهي أكبر حجما إذا ما قورنت بحجرة لالة عيشوش، فرشت أرضيتها بطبقة إسمنتية، وفتحت في جداريها الجنوبي والشرقي نافذتين حديثتين مسيجتين بقضبان حديدية، وتقوم في أركانها العلوية أربع مناطق انتقال على هيئة صدفة أو محارة مبنية بالآجر.

كما نشير أيضا إلى وجود فتحة مربعة داخل عمق الجدار الداخلي لهذه الحجرة، لم نعرف في البداية وظيفتها، لكن بعد ملاحظاتنا الدقيقة وتفقدنا لسطح الحجرة اكتشفنا أن هذه الفتحة كانت عبارة عن قناة وسط الجدار تستعمل لصرف مياه الأمطار التي تتساقط على السقف وتمر عبر قناة فخارية تستخدم ربما في سد حاجيات الضريح من الماء أو لتفادي تشقق الجدران بفعل مياه الأمطار.

وبعد الخروج من هذه الحجرة نجد على يمينها كتلة لمدخل بسيط يرتفع بدرجتين أو أكثر

قليلا عن مستوى أرضية الفناء، وهو عبارة عن فتحة باب ذات مصراعين من الخشب يعلوهما عقد نصف دائري.(الصورة رقم:03)

يفضي هذا الباب إلى بهو شكله مثلث تقريبـا، أرضيته مبلطة بالإسمنت وسقفه ذو قبو أسطواني مبني بالآجر يستعمل هذا البهو اليوم كمطبخ للعائلة الساكنة بهذا الضريح.

وعند تفقدنا للجدران الداخلية لاحظنا في الجدار الفاصل بينه وبين حجرة القبة الكبيرة فتحة معقودة بعقد نصف دائري (مسدودة حاليا)(الصورة رقم:04)، وللتأكد دخلنا إلى هذه الحجرة عبر فتحة مستحدثة في جدارها الشمالي فوجدنا نفس الفتحة، ولكنها مسدودة أيضا، وهو ما جعلنا نستنتج أن الدخول إلى هذه الحجرة كان عبر الفتحة المسدودة، مع ملاحظة أنه لا يوجد أي باب للدخول إلى هذه الأخيرة.

وفي الأخير رجحنا أن المدخل الذي يؤدي إلى البهو المشار إليه سابقا ربما يكون هو المدخل الرئيسي للضريح ككل، آخذين بعين الاعتبار مقارنته بضريح الباي بو شلاغم الذي يشبهه إلى حد كبير في مخططه العام.

وأما بالنسبة للحجرة التي تقوم عليها القبة الكبيرة فشكلها مستطيل طوله 6.80م وعرضه 06م، تقوم في أركانها العلوية أربعة مناطق انتقال داخلية على هيئة مثلثات كروية متقاطعة، وهي تشبه تقريبا تلك التي وجدناها في ضريح الباي بوشلاغم غير أنها أكثر جمالا منها، كما نلاحظ أيضا في كل ركن من أركان هذه الحجرة حنية على شكل عقد نصف دائري يرتكز طرفاه على زوج من أعمدة دائرية مبنية بالحجر الرملـي(الصورة رقم:05)، تقوم على هذه العقود رقبة ترتكز عليها قبة مثمنة تتخللها ثماني فتحات، أربعة منها مفتوحة.

ونشير أيضا إلى وجود عدة نوافذ مسدودة في أركان هذه الحجرة عكس حجرة الباي بوشلاغم التي نجد في كل ركن من أركانها نافذة أو نافذتين، وربما يعود ذلك إلى التغييرات التي طرأت عليها أثناء الفترة الاستعمارية باعتبارها كانت مخزنا للذخيرة، كما نجد بعضها أغلق من طرف السكان القاطنين بجانبه، وذلك ما توضحه مواد البناء الحديثة.

وأما بالنسبة لأرضية هذه الحجرة فقد تعذر علينا معرفة تفاصيلها وطبيعة تغطيتها وذلك لكثرة الأوساخ المرمية بداخلها، ومع ذلك وجدنا بقايا لأساس سور قريب من منتصفها، ولم نعرف على وجه التحديد وظيفته الأصلية، ولكن يبدو أنه أضيف من طرف السلطات الفرنسية.

وعند سؤالنا لأحد أفراد العائلة من المسنين والساكن بالقرب من الضريح، ذكر لنا أنه في

سنوات السبعينيات، كانت أرضيـة هذا الضريح مغطاة بعوارض خشبية، وعندما نزع جزءا منها وجد بقايا أسلحة تعود للفترة الاستعمارية، وبعد اتصاله بالسلطات المحلية تدخلت فرقة من عناصر الجيش الوطني وأخرجت ما تبقى منها.

ولعل ما يدعم أقوال هذا الشخص مارسال بودان (Marcel Bodin) الذي ذكر عند وصفه لضريح الباي مصطفى لحمر أن أرضيته بلطت بعوارض خشبية لإخفاء لوحة الرخام التي كانت تحمل كتابة شاهد قبر الباي مصطفى لحمر(4).

ويمكن القول في الأخير أن التخطيط المعماري لضريح الباي مصطفى لحمر وضريح الباي مصطفى بوشلاغم، وإن اختلفا في الحجم، وفي وضعية المداخل الرئيسية، إلا أنهما متشابهان تقريبا في التركيب المعماري الداخلي من حيث توزع العقود والأعمدة داخل الحجرة الضريحية لكل من المعلمين، وكذلك نجد هذا التشابه في الخارج من حيث وضعية القبتين، إلا أنهما منفصلتين وهذا مالا نجده في ضريح الباي بوشلاغم.

- لقد تنوعت مواد البناء التي استخدمت في تشييد هذا المعلم ما بين الحجارة غير المنتظمة، والآجر ، واستعمل الملاط الأحمر في الربط بينها، وهي نفس المواد المستعملة تقريبا في بناء ضريح الباي بوشلاغم.

فأما الحجارة غير المنتظمة فاستخدمت في بناء الجدران الخارجية والداخلية للضريح، ويتضح ذلك من خلال التشوهات التي لحقت بالمبنى، واستعمل معها أيضا الآجر للتسوية، كما استعمل هذا الأخير في تشكيل العقود الداخلية، وفي بناء القبتين، وكذلك في أطر النوافذ وفتحات الأبواب الفاصلة بين الحجرات (مسدودة حاليا) إضافة إلى هذا استخدمت مواد بناء حديثة كالإسمنت والآجر، والتي أثرت بشكل كبير على الهيكل المعماري للضريح.

أما من الناحية الزخرفية، وباستثناء العقود والأعمدة المزدوجة التي كان لها دور عناصر معمارية تزيينية إلى جانب دورها الإنشائي، فلا شيء آخر يسترعي الانتباه، وربما يعود ذلك إلى تعرضه للحرق مرتين، كما يذكر أحد المسنين القاطن بالقرب من الضريح، وأتى على زخرفته الداخلية بالكامل، ويذكر نفس الشخص أنه كان مكسوا من الداخل بزخارف جصية، ورسومات آدمية إضافة إلى رمز الصليب.

يذكر مارسال بودان في هذا الصدد عند وصفه لضريح الباي مصطفى لحمر أنه كان يحتوي بالداخل على زخارف أصلية منقوشة على طبقة جصية(5).

ويبدو أن السلطات الفرنسية بمرور الوقت أعادت زخرفة هذا الضريح من الداخل، واستعملته في أغراض أخرى بعدما كان يستعمله كمركز للذخيرة الحربية، ومن التغييرات التي لاحظناها أيضا وجود أثر لبلاطات خزفية على الملاط الأصلي، والتي نزعت وعوضت بطبقة من الجص.

ونشير في الأخير أنه إذا تدخلت السلطات المحلية وقامت بتنظيف هذا الضريح لربما تكشف لنا عن أشياء مهمة منها اللوحة الرخامية التي أشار إليها مارسال بودان بوجودها تحت العوارض الخشبية التي وضعها الاستعمار الفرنسي، والتي من شأنها أن تؤرخ لنا هذا المعلم.

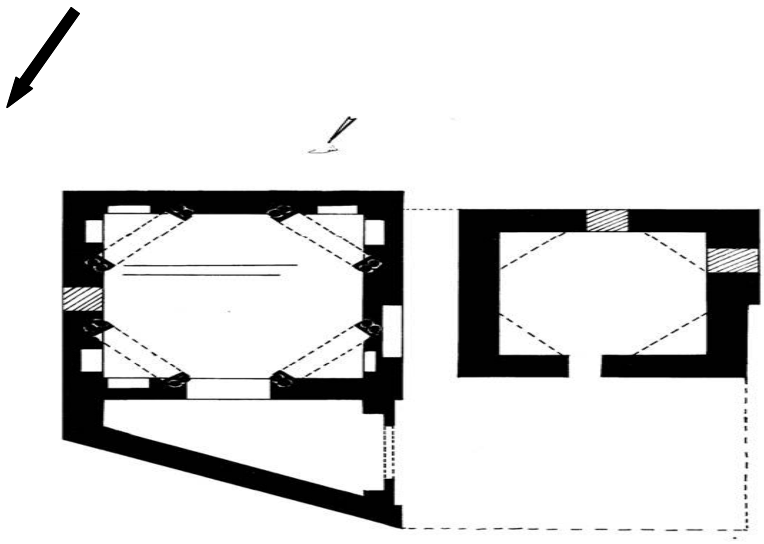

سُلّم: **1/100**

المخطط رقم01: ضريح الباي مصطفى لحمر بمستغانم (من عمل الدارس)

الصورة رقم01: منظر عام لضريح

الصورة رقم02: الرواق الفاصل بين القبتين بضريح الباي مصطفى لحمر

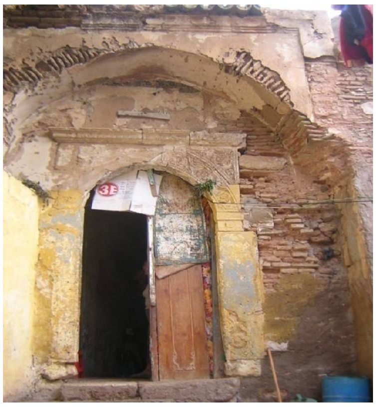

الصورة رقم03: المدخل الرئيسي المفترض لضريح الباي مصطفى لحمر

الصورة 04: الباب المؤدي إلى الحجرة الضريحية الكبيرة (مسدودة حاليا)

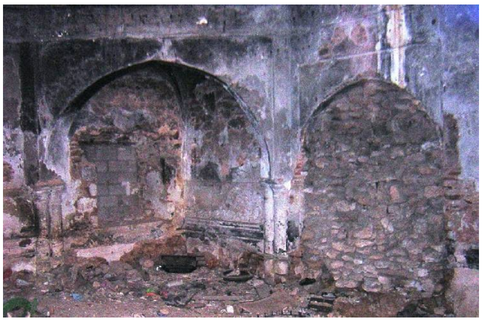

الصورة 05: منظر داخلي لضريح مصطفى لحمر

هوامش البحث:

1- محمد بن يوسف الزياني، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تحقيق: المهدي البوعبدلي،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1978، ص.194.

2 - Bodin (M.) ; Tradition indigènes sur Mostaganem itinéraire Historique et légendaire de Mostaganem et de sa région, Oran, (S.D.), P.53.

3 - Bodin (M.) " Tradition indigène sur Mostaganem et Tidjdit", Bulletin de la. Société de Géographie d'Oran, t. XLX ,1929.p.39.

4 - Bodin (M.), Op.cit, P.38

5 - Bodin (M.), Tradition indigène..., op.cit, p.54

عمارة الأبراج بضواحي مدينة تونس خلال القرن التاسع عشر

أ.بية عبيدي بالحاج
جامعة قفصة / تونس

مقدمة:

تعد ضواحي مدينة تونس، ونخص بالذكر الضاحية الشمالية، ومنذ الفترة الحفصية وإلى حدود أواخر العهد العثماني مكان تنزّه الملوك وراحتهم. ولا يزال عدد كبير من الأبراج والقصور والسرايات التي شيّدت خلال فترات تاريخية مختلفة قائما إلى اليوم. وهي تعكس جليا تطوّر ملامح وخصائص هذه العمائر الفريدة والفاخرة. ولقد لعبت هذه المباني دورا محوريا في تعمير الضواحي والارتقاء بوظائفها وتطوير مجالها المستغل معماريا واقتصاديا، وتدعيم بنيتها الأساسية. ولقد استغرق هذا التطوّر المجالي وخاصة العمراني قرونا قضتها الضواحي في مراوحة عسيرة بين الظهور والضمور. وكانت إعادة بنائها تنطلق في كل مرة بصفة خاصة من مقرّات النزهة. فباستقرار الحكام بها تصبح الضاحية محط اهتمام رجال السلطة والمقربين منهم وعامة الناس. فتتكاثف حركة إنشاء المباني واتخاذ المرافق المختلفة من سواني وبساتين، مما يجعل منها مشروع سلطوي بالدرجة الأولى. لكن الجدير بالذكر أن طول المراوحة وبقاء الضواحي مدة طويلة خالية ومهجورة لا ينفي تجذّر ظاهرة السكن والعمران في هذه المناطق والتي تعود إلى فترات قديمة جدا. ولا تعدو فترات الانتكاس - رغم طول مدتها- أن تكون استطرادا كبيرا في مسيرة التعمير الطويلة التي ستستقر وتكتمل في آخر العهد الحسيني. واستئناف عمليات النمو العمراني وإعادة نسجها من جديد يعود غالبا لاهتمام السلطة الرسمية بهذه المجالات.

ولقد ظهرت عمارة الأبراج المخصّصة للنزهة منذ بداية الفترة الحفصية وفق تصميم يستجيب لعدة رغبات ويتلاءم مع استعمالات متباينة، ومؤثرات خاصة بتلك الفترة استمدت ملامحها من تواجد وتظافر خبرات مختلفة محلية وأجنبية. وقد شهدت هذه العمارة تطوّرا كبيرا منذ ظهورها وإلى حدود القرن الثامن عشر حيث تمّ بناء أهم هذه المعالم على الإطلاق من حيث التصميم ووفرة مواد البناء المستعملة وتنوعها، واتساع وتعدد فضاءات المعلم الواحد. وتعود أغلب الشواهد الباقية إلى الآن إلى القرن التاسع عشر وهي تمثل من حيث التصاميم والأنماط المعمارية نقلة نوعية في مجال البناء سوف تنعكس على الحركة التعميرية بضواحي مدينة تونس عموما والضاحية الشمالية بصفة خاصة.

وسنحاول خلا هذا العمل تقصي زمن ظهور عمارة الأبراج والقصور بضواحي مدينة تونس وتتبع تفاصيل تطور الأنماط المعمارية المعتمدة خلال القرن التاسع عشر.

1. **الملكية بضواحي مدينة تونس وبداية ظهور المنتزهات**

لا تختلف الهياكل العقارية وطبيعة الملكية بضواحي مدينة تونس عن غيرها التي توجد حول المدن الكبرى والهامة في البلاد، سواء تعلق الأمر بالعهد الحفصي أو التركي. ويصطدم الحديث عن ضواحي مدينة تونس في بدايته بندرة المعلومات خاصة فيما يتعلق بالفترة الحفصية. فلا وجود لمعلومات مفصلة ومسترسلة اهتمت بهذا الجانب، والصورة بذلك غير واضحة وغير تامة الملامح. فلم نعثر على وثائق تتعلق بحصر للملكيات يعود إلى تلك الفترة يسمح لنا بتحديد طبيعة الملكية ونوعية الملاكين وطبقاتهم بكل دقة. كما لا تغطي المعلومات الواردة فترات طويلة. وتستعمل هذه المصادر من ناحية أخرى تعابير غير دقيقة لا تهتم بالحجم الفعلي لهذه الملكيات. وتقتصر على عبارات وصفية لا أكثر، كلفظ البستان والمرج والسانية والضيعة والهنشير دون تحديد. وتفيدنا الوثائق المتاحة سيطرة الملكية الخاصة الشاسعة والممتدة في العهد الحفصي. والتي هي ملك السلطان وعائلته وأتباعه، ثم في مرتبة موالية وبصفة أقل الأعيان من العلماء وأثرياء التجار وقواد الجيش نذكر منهم بصفة خاصة قواد العلوج وذلك لأهمية ملكياتهم وإقطاعا تهم تماشيا مع مكانتهم الاجتماعية وقربهم من السلطان فهم حرسه الخاص.

وأطلق على هذا النوع من الملكية عدة تسميات، ففي العهد الحفصي كانت تسمى "مختص الملك" أو "مختص الحضرة" أو الأملاك السلطانية ويقوم عليها صنف من الموظفين يطلق عليهم الوقافون[1]، أما في العهد الحسيني فقد عرفت أملاك البايات "بأراضي البايليك" أو" هناشر البايليك" التي يشرف عليها الوكلاء الذين يحرص البايات على انتقائهم من البيوتات الكبيرة وأحيانا من ذوي الرتب العسكرية- والملكية الخاصة التي تعرف بأسماء مالكيها والمقصود بها الملك التام وحرية التصرف وهي عكس الإقطاعات التي يمكن استعادتها وإعادة إقطاعها وفق رغبة الحاكم، وانه من الهام جدا أن تكون أراضي الضواحي وخاصة تلك التي احتوت على قصور ومسارح لنزهة الحكام على ملك الحاكم وأعوانه. و يمكن أن نستشف هذا الحرص من خلال ما قام به أحمد باي عند تأسيسه للمحمدية[2]، حيث قام بالتفويت في جملة من الأراضي المحيطة بمدينة الحكم الجديدة إلى عدد من أعوانهم وخاصة ذوي الوظائف العسكرية مع التنصيص عليهم بإقامة أبنية بها لتعمير نواحي المدينة، ولاستغلال الأرض المحيطة بها من جهة أخرى. ولم يكن يتسنى ذلك بمثل هذه السهولة والسرعة لو أن ملكية هذه الأراضي كانت لطرف أجنبي

عن دائرة السلطة وأعوانها. وتظهر هذه الملكية على مستوى الضاحية الشمالية والغربية في شكل قصور وأبراج تحيط بها بساتين تمتد على مئات الهكتارات. تجاورها أملاك الأعيان في شكل أبراج صغيرة تحدق بها ضياع وحقول ممتدة تغطي تقريبا كامل المجال المستغل من هذه المناطق. وتبقى الملكية الخاصة التي تمتلكها الفئات الوسطى من المجتمع محدودة وضعيفة. ونجد في الضاحية الشمالية أيضا الأحمية وهي الأراضي المحيطة بالرباطات الموجودة. وهي عموما غير مستغلة نظرا لقربها من البحر الذي كان يعد حينها مصدر خطر، كما أن عدد المرابطين المقيمين بها قليل ولا يسمح باستغلال هذه المساحات الشاسعة. وهي تمثل حزام أمن بين السواحل والسكان أو الأراضي المستغلة[3]. تغيّر وضع هذه الجهة في العهد الحسيني وأصبحت المنطقة بكاملها وإلى حدود السواحل مستغلة من طرف البايات والمخازنية وبعض الأعيان. وظلّ شكل الملكية الغالب هو السواني والضيعات. ونسجلّ في هذا الصدد ظهور الملكية الصغيرة والمتوسطة بكثرة في هذه المنطقة على عكس العهد الحفصي ويعود ذلك لتنامي ظاهرة الاستقرار والسكن بهذه الجهة نظرا لتغير الظروف الأمنية والسياسية.

وانتشر صنف آخر من الملكية بالضواحي وهي الأحباس بنوعيها العام والخاص. وقد وجدت خلال مختلف الفترات التاريخية الحفصية[4] والعثمانية[5]. ويعود انتشار الأحباس الخاصة إلى محاولة أصحابها حمايتها من جور السلطان وأتباعهم الذين كثيرا ما كانوا يلجأون للغصب بوسائل شتى لانتزاع الملكيات من أصحابها. وقد انتشرت بالضاحية الشمالية عدة أحباس وخاصة بمنطقة قرطاجنة[6]. وقد ظلّ بعضها إلى حدود العهد الحسيني مثل حبس ابن الابار[7] المجاور حسب وثائق الأرشيف لاحباس قصر العبدلية بالمرسى والذي توارثته ذريته حتى ذلك العهد[8]. و ظلّ هذا الصنف من العقارات متواجدا في الضاحية الشمالية خلال الفترة الحديثة في شكل أحباس القصور وهي كثيرة في المنطقة. وكذلك الاحباس العامة وخاصة تلك التي تخص زاوية سيدي بوسعيد. وقد دأب البايات على معاوضة هذه الأحباس واستغلالها وفق أساليب مختلفة على غرار برج العبدلية وبساتينه التابعة له وهنشير سيدي علي الحطاب الذي كان محبسا على زاويته والذي تحول مع منتصف القرن التاسع عشر إلى ملكية خاصة للباي عن طريق المعاوضة[9].

كما ظهرت خلال العهد الحسيني وتنامت الملكية الأجنبية بضواحي مدينة تونس. وقد تأكدت هذه الظاهرة خاصة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر نتيجة تظافر عدة معطيات اقتصادية واجتماعية وسياسية وصدور عهد الأمان ودستور 1861م الذي أمّن الجاليات الأجنبية وعزّز مكانتها الاقتصادية والاجتماعية بإعطائهم حق التملّك. وينتمي هؤلاء الملاكين الأجانب

إلى فئة التجار وهم من جنسيات مختلفة فرنسيون وجنويون ومالطيون[10]. وقد حصل هؤلاء الأجانب على أراضي شاسعة وملكيات كبيرة. فجوزا ف وانسو كان يملك هنشير مقرين بأكمله، في حين يمتلك فلوكيكار ثلاثمائة أصل زيتون بمرناق. كما حازوا عدة ضيعات وسواني بالمنطقة مثل فليب الطليان الذي يملك سانية بالموضع أيضا[11]. كما وجدت الملكية الأجنبية بدورها في الضاحية الشمالية وعرف أصحابها بمباشرتهم العمل ألفلاحي. وقد وردت الإشارة إلى البعض منهم في إطار الاعتراض على مد سكة الحديد لأضرارها بأراضيهم[12]. ويعود انتشار هذه الملكية نتيجة عدة ظروف خاصة بالفترة الحسينية سنتعرض لها في اوانها.

من خلال النظر في طبيعة الملكية وتوزعها بضواحي مدينة تونس خلال العهدين الحفصي والحسيني، نلاحظ إجمالا أن هذه الملكية كانت شاسعة ومتنوعة: هناشر، ضيعات، حقول وبساتين. واختصت بمنتوج متنوع ومختلف. كما كانت أراضي الضواحي طيلة هذه الفترة تحت تصرف الدولة وأتباعها وثلّة من الأعيان الموالين لها. والملاحظ أيضا أن الملكية الخاصة الصغرى والمتوسطة كانت شبه منعدمة في هذه المناطق. وقد لاحظنا بعض التطورات خصت الفترة الحسينية على غرار تراجع ملكية البايليك لفائدة الخواص نتيجة التفويت وكثرة الاقطاعات. وظهور الملكية الأجنبية في الضواحي المحيطة بالمدينة والتي ستكون فاتحة عهد جديد في تاريخ مدينة تونس وضواحيها. ويظهر لنا مما سبق أن لطبيعة هذه الملكية دور محوري في ظهور الأبراج المخصصة للراحة والتي تزايد عددها بشكل مطّرد خلال الفترة الحسينية.

2. ضواحي مدينة تونس في العهد الحسيني

يعتبر العهد الحسيني إجمالا صفوة العهود في تاريخ الضواحي المنتزهات حول مدينة تونس حيث بلغت فيه الغاية من الأمن والازدهار وأدركت درجة غير مسبوقة من العمارة الضخمة والأبراج المشيّدة، بدليل الشواهد العمرانية الباقية بهذه الضواحي والتي تعود كلها إلى تلك الفترة. وأصبحت الحاضرة وضواحيها خلال هذا العهد أعمالا مختلفة عكس ما كان سائدا في الفترة الحفصية. حيث مثلت الحاضرة وضواحيها عملا واحدا يعود نظره للسلطان مباشرة أو لمن أنابه في ذلك بأمر مباشر[13]. و قد كان «عمل تونس المحروسة» يضم كامل الضاحية الشمالية والغربية إلى حدود عين زميت على طريق باجة، وإلى قصر الزيت و جبل زغوان وكامل فحص مرنا ق والمرناقية جنوبا[14]. و تفيدنا وثائق الأرشيف وخاصة دفاتر الإعانة وتجاريد إحصاء السكان أن أحواز الحاضرة - وهو الاصطلاح الجديد المستعمل في هذه الفترة كتسمية للضواحي - منقسمة إلى أعمال منفصلة، شمالية وجنوبية. ويدحض ذلك ما يورده بيرم الخامس

في صفوة الاعتبار بأن الحاضرة والمناطق الملاصقة لها إلى حدود عشرين ميلا من كل جهة هي عمل واحد[15]. و لا يعكس هذا التطور على المستوى الإداري تطورا في الرقعة الجغرافية وإن كان حاصلا بقدر ما هو انعكاس للتطور العمراني والسكاني حتى أصبح من الصعب الاهتمام بها في عمل واحد وتحت إشراف عامل واحد، بل استدعى الأمر قيادات وإدارت مختلفة. فمدينة تونس أو الحاضرة تعتبر عملا يخضع مباشرة للإدارة السياسية المركزية ويسهر على ضبط الأمن فيه وفضّ النزاعات رئيس الضبطية.

أما بقية القطر بما في ذلك الضواحي فهو مقسم إلى قيادات على رأس كل منها عامل يساعده على إدارة عمله مجموعة من الموظفين على اختلاف درجاتهم. فنجد النائب والشيخ والخليفة، وتفيدنا وثائق الأرشيف إن عادة ما يكون هؤلاء من أهل العمل ومن بيوت كبيرة داخله وذوي أملاك[16]. وكان أغلب العمال يحصلون على وظائفهم عن طريق الشراء والاتفاق يقيمون بالحاضرة ويكتفون بالمراسلات مع النواب والشيوخ ليعلموا أحوال العمل الراجع إليهم بالنظر وإصدار الأوامر والتعليمات وفق ما يوفره لهم النواب والشيوخ من معلومات. وهو ما وسّع نفوذ الشيوخ والنواب على حد السواء إذ هم المشرفون المباشرون لهذه الأقاليم وأداة التنفيذ فيها خاصة قبل إنشاء الإصلاحات وإصدار القوانين والتنظيمات الخاصة بالقرن التاسع عشر[17]. فهم يقومون بإحصاء السكان واستخلاص الإعانة، النظر في الجنايات ورفع محاضرها، جلب المطلوبين والاهتمام بمختلف النزاعات التي تنشأ في المناطق الراجعة لهم بالنظر[18].

وكانت الضاحية الشمالية تسمى «قيادة حلق الوادي» أو» قيادة المرسى» وأحيانا نجد جمع المنطقتين معا حيث يطلق عليه «عمل المرسى و حلق الوادي»[19]. والواقع أن الرقعة الجغرافية لهذا العمل تتجاوز هاتين المنطقتين، فوفق تجريدة لإحصاء الأماكن و السكان لسنة 1279هـ = 1862م بهدف الجباية نجد أسماء المناطق المكونة لهذا العمل و الحارسين له[20]. يتكون هذا العمل من القرى أو المشائخ التالية بالحدود المبينة كما يلي:

-**مرسى قرطا جنة:** وتقع شمال مشيخة المعلقة وسيدي بوسعيد، و يحدها من الغرب سيدي داوود، ومن الشرق البحر إلى حدود قمرت وسكرة. و كانت هذه المنطقة بأسرها تعود لنظر الشيخ أحمد بالحاج محمود.

- **جبل المنار:** يمثل البحر حدوده الجنوبية والشرقية، في حين وقع ذكر بعض الأملاك الخاصة معرفة بأسماء أصحابها اعتمدت لضبط الحدود الشمالية والغربية. مما يطرح استفهاما حول ضوابط هذا التقسيم الاداري ونجاعته. و يبدو أن هذه المشيخة كانت أكثر امتدادا من الأولى

حيث كان يشرف عليها شيخ ونائب في بعض جهاتها وهما الشيخ محمد بن محمد بن فايزة و نائبه أحمد بن صالح بن زيتون.

- **قمرت:** يحدها البحر من الجنوب والشرق، ويذكر الطريق كحدها الشمالي دون توضيح يسمح بضبط امتدادها في هذه الجهة، وتمثل السبخة حدها الغربي. ويشرف على إدارتها شيخ لم يقع ذكر مساعدين له وهو أحمد بوزيد.

- **سيدي داود:** اعتمد في ضبط حدود هذه المنطقة على جملة من الاحباس وموقعها بالنسبة لأهم طرقات الجهة في ذلك الوقت، حيث ذكر طريق العبدلية كحد شمالي إلى جانب حوش المكناسي -الذي يبدو انه ملكية خاصة لأحدهم- إلى جانب هنشير جامع الزيتونة البراني-الذي يرجح انه من أوقاف جامع الزيتونة - وكذلك فدان الدخان للقشلة دون توضيح القشلة المعنية و لا نوعية استفادتها من هذا العقار ولا ما هي وضعيته هل هو ملكية خاصة بأحد العساكر الكبار أو حبس عام للقشلة المقصودة، هذا دون تحديد الضوابط المذكورة و لا تحديد موقع احدها بالنسبة للآخر ولا في أي اتجاه تقع. نفس الشيء بالنسبة للحد الجنوبي الذي مثله طريق سيدي بوسعيد، وطريق حلق الوادي و قمرت من الناحية الشرقية، أما الناحية الغربية تحدها مجموعة من الهناشر الخاصة ذكرت بأسماء مالكيها. (هنشير أولاد بن عبد الله وشراك حمودة وهنشير بن الرايس وهنشير الزنايدي و ورثة سيدي علي الدرويش ومرج لأولاد سويسي.) وتتمثل إدارتها المحلية في شيخها بلقا سم بن عبد الله الطرابلسي و نائبه محمد بوراوي.

و قد احتوى التقسيم أيضا على مجموعة من الهناشر وهي في نفس الوقت مشيخات كسابقيها ولكن غلبت عليها تسمية الهنشير لنوعية الملكية المسيطرة بها ولطبيعة النشاط الفلاحي الأساسي بها والمعتمد على الزراعات الممتدة على مساحات كبيرة، كما أنها تختلف من ناحية نوعية السكن بها الذي عادة ما يكون أقل كثافة من القرى المذكورة ومتفرقا وهو عبارة عن "دوَّار" كما لا توجد ضيعات بهذا المكان ولا أبراج. وهذه الهناشر المكونة للضاحية الشمالية هي:

- **هنشير رواد:** يقع جنوب سبخة أريانة، ويحده شرقا البحر، وغربا جبل سيدي عمر. ويديره شيخه الحاج محمد بن طراد الطرودي وهو كبير الهنشير المذكور بمساعدة نائبه الحاج محمود بن صالح الغرياني.

- **هنشير بحرون:** يقع شمال الهنشير السابق ويحده من جهاته المختلفة البحر وبعض الأراضي الخاصة ويقوم على شؤون هذا الهنشير كبيره علي بو كريم الطرابلسي.

- **هنشير بو حنش:** تحيط به مجموعة من الهناشر تمثل حدوده الجغرافية ذكرت وفق أسماء أصحابها وموقعها من الطريق الرئيسية في المنطقة. ومثل بقية الهناشر يشرف عليه كبيره أحمد بن أبي بكر الغرياني ولم يذكر وجود نائب لهذا الهنشير.

- **هنشير خارجه:** مثلت حدوده الرئيسية وادي المالح إلى جانب بعض الهناشر الأخرى. ويقع هذا الهنشير تحت إدارة شيخان وهما حسين أبي علي زغاب و الحاج أبي القاسم زغاب. وربما يعود ذلك لأهمية هذا الهنشير من الناحية الجغرافية و العمرانية.

- **هنشير تبياض:** يحده من الجنوب وادي المالح، وشرقا القصر - و لم يقع توضيح بشأن هذا القصر ولا ذكر لصاحبه ولا موقعه- وشمالا وادي مجردة، وغربا مزرعة خاصة ذكرت باسم صاحبها. وهو لنظر علي بن محمد غياضه.

- **هنشير سمايه:** يحده قبلة وادي المالح، وشرقا كذلك، وجوفا وادي مجردة والقنطرة، وغربا هنشير الحاج عميرة. هو لنظر علي الشرع الطرودي كبير الهنشير المذكور.

- **هنشير ميصرة:** يقع هذا الهنشير بين وادي المالح وطريق بنزرت. وهو تحت إشراف الشيخ محمد بن علي الكعبي.

- **هنشير السيد إسماعيل قايد السبسي:** توحي التسمية بأن هذا الهنشير يمثل ملكية خاصة، أو ربما هو احتفظ بتسمية قديمة أو أن اسم صاحب اكبر ملكية في المنطقة قد غلبت على تسمية الهنشير ككل. وهو يقع وسط مجموعة من الهناشر و طريق بنزرت.

- **هنشير الخلدي:** يحده قبلة هنشير سيدي يونس، وشرقا طريق فيشانة، وجوفا هنشير الدلاعية، وغربا طريق قبر الجاهلي. و هو لنظر حمدة بن سعد الجلاصي.

- **دوار الشط:** يقع بين البحر ودواميس المعلقة و البحيرة. ويشترك في إدارة هذه الرقعة الترابية الشيخ محمد بن عبد النماد و يعينه في ذلك كبراء الدوار دون ذكر أسماء محددة و يبدو أنهم يختارون وفق مكانتهم الاجتماعية التي تحددها ثرواتهم.

وما يميز هذا العمل أنه يعود بالنظر إلى وزير البحرية أو أحد ضباطها الكبار وجوبا. وقد احتفظت لنا وثائق الأرشيف بأسماء بعض من تولوا مهام هذه الضاحية:

العمال	الرتبة العسكرية	السنة/هـ
حسن[12]	أمير لواء	1275 -1286
أحمد المورالي[22]	أمير ألآي	1288

شاكير[23]	أمير لواء	1292
نعمان خوجة[24]	أمير لواء	1302

و يعيّن العامل شيخا على رأس كل مشيخة يكون من كبار بيوتها. يستعين بدوره بنائب واحد أو اثنين بحسب حجم المشيخة أو الهنشير الذي يضم عادة دشرة أو دوّار أو مجموعة منها بحسب المساحة والأهمية. وقد ظلّ يغلب عليها الطابع الريفي إلى حدود الفترة الحسينية المتأخرة. واحتفظت بوظيفة الظهير الفلاحي التي اضطلعت بها منذ الفترة الحفصية وقد اختصت بمنتوجات معينة مثل الخضر والغلال التي تنتجها سواني الأعيان المنتشرة بالمنطقة وكذلك الفول والذرة والتبغ وغيره، وتسوّق منتوجاتها بالحاضرة. وقد ساعد قربها من الحاضرة ووجودها في مجال سيطرتها المباشرة وخضوعها التام للسلطة المركزية إلى جعلها منتجع ملكي ممتاز لحكام البلاد وأعوانهم مما يضعها كمنطقة جغرافية في دائرة الاهتمام بصفة مستمرة. ويمتد نسيجها العمراني -المتكوّن في أغلبه من قصور وسرايات وأبراج محاطة بملكيات متنوعة وشاسعة- على كامل شريطها البحري الممتد من حلق الوادي إلى منتهى روابي قمرت. بالإضافة إلى منطقتها الخلفية المتكوّنة من أراضي المعلقة ودوّار الشط. وتربط بين مختلف هذه المناطق إلى جانب الطريق السلطانية وسكة الحديد، عديد الطرق الثانوية تصل مختلف القصور ببعضها ويمر بعضها إلى ضواحي أخرى و خاصة أريانة الملاصقة لها[25]. واحتفظت أغلب ضواحي مدينة تونس بنفس هذه الخصائص إلى سنة 1882م حسبما تظهره خريطة تعود لهذا التاريخ:

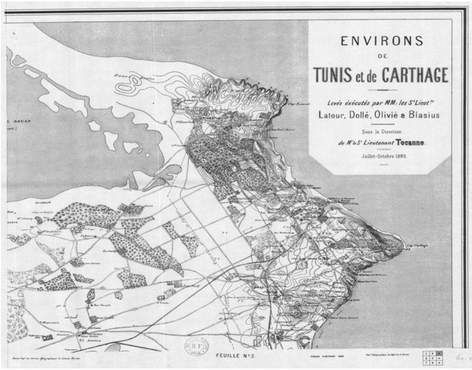

الضاحية الشمالية لمدينة تونس سنة 1882

تظهر من خلال هذه الخريطة قرى مرسى قرطاجنة وجبل المنار وقمرت التي تضم عدد كبير من القصور والسرايات الفاخرة التي بنيت على امتداد أكثر من قرن ونصف. كما تظهر بعض القرى الصغيرة مثل المعلقة ودوّار الشط وسيدي داوود كحزام أول محيط بملكيات القصور

والأبراج التي تتقدمها في اتجاه الشاطئ. وتلي هذه القرى بعض التجمعات الصغيرة تمثل النطاق الثالث لهذه المنتزهات في اتجاه الحاضرة، مثل تجمع العوينة وسيدي فرج الواقعة على الطريق المؤدية مباشرة إلى قصر العبدلية وكامل الضاحية الشمالية. أما بقية الهناشر المذكورة سابقا فتبرز فيها بعض التجمعات الصغيرة والمتفرقة وقعت الإشارة إليها بعبارة "أكواخ" للدلالة على نوعية بنائها البسيطة وهي مساكن العاملين في هذه الهناشر. تليها إلى الجهة الشمالية الغربية سواني سكرة التي تحتوي على منازل تتفاوت من حيث الحجم والفخامة. وهو ما يمكننا من اعتبار مجموعة الأبراج والقصور المذكورة نواة تشكل نسيج عمراني ذي خصائص معمارية فاخرة وطبيعة استغلالية ممتدة ومتنوعة. وسيبدأ هذا التطور منذ بداية العهد الحسيني. وستستفيد منه الضواحي بدرجات مختلفة حسب الاهتمام المفرد لكل جهة. في هذا الصدد تبرز الضاحية الشمالية الأكثر استفادة في هذا الخصوص، حيث سيتم استغلال مجالها بصفة بالغة وستتعدد القصور والأبراج والاقامات الفخمة بها وستتوزع في كامل المجال إلى حدود الشواطىء في المرسى وسيدي بوسعيد وقمرت وقرطاج وحلق الوادي ودوّار الشط[26]. لكن هذا الأمر تم في فترات مختلفة من العهد الحسيني. فالمرسى ظلّت معروفة منذ القرن الخامس عشر بفضل صمود قصر العبدلية وبقائه قيد الاستغلال، فقد كان حسين بن علي يرتاده للنزهة والراحة. وذكرت سكرة في نفس الفترة كمنتزه يرتاده الأعيان على غرار قاسم بن سلطانة الذي اتخذ بها برجا فخما زاره الباي وأعجب ببنائه[27]، فقد تكلّف له صاحبه من مواد الزخرفة الشيء الكثير وجلب له الرخام من ايطاليا والخشب المحليّ من مصر، و قد قدر بعضهم تكلفة هذا البرج بأربعين ألف ريال في حين ضاعفه البعض الأخر بالقول انه استوفى ثمانين ألف ريال[28]. . وستنتظر أريانة، قمرت، قرطاج، سيدي بوسعيد وحلق الوادي أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر لتلتحق بركب المنتزهات الملكية ذات القصور والأبراج، وتحديدا خلال فترات حكم أحمد باشا باي 1837م ـ 1855م ومحمد باي 1855م ـ 1859م ومحمد الصادق باي 1855م ـ 1882م حيث بنيت فيها أغلب القصور الباقية إلى اليوم، غير أن الاهتمام بها يعود إلى بداية فترة حسين بن علي 1705م ـ 1735م مؤسس الدولة الحسينية الذي أمر سنة 1713م بإحياء أجنّة منوبة التي تضررت كثيرا نتيجة مواجهته مع محلة الجزائر[29]. ولم يكن ذلك عن طريق البناء والتشييد وإنما عن طريق الحرث والغراسة، فنص السراج احتوى إشارة غير واضحة عن وجود ديار تجوس خلالها المياه في هذه الرياض[30]، دون ذكر لعددها أو لطبيعة عمارتها أو من تولىّ بنائها هل هو حسين بن علي أم هي ديار المراديين في هذا المكان أعاد إعمارها مع إحيائه للمنطقة. وسيتأكد هذا الاهتمام الذي خص به الباي هذه الضاحية مع أبنائه من بعده. وتعد

الضاحية الجنوبية الأكثر حظا في عهد هذا الباي حيث قام بتشييد برج بجهة المرناقية اعتمده كنقطة متقدمة في اتجاه الدواخل حيث كان يلتقي فيه برؤساء البدو كما هو شأن حفيده من بعده حمودة باشا باي 1782م ـ 1814م. وكان هذا البرج يشتمل على حامية للجيوش أثناء الحروب. كما كان له دورا إنتاجيا لارتباطه بالأراضي المحيطة به. حيث كان حمودة باشا يباشر بنفسه الإشراف على الفلاحة بالهنشير التابع لهذا البرج[31]، وكذلك كان له ارتباط بأفران الجير الموجودة قربه والتي يبدو أنها على ملك البايليك حيث كان يشرف عليها وكيل القصر ويتابع إنتاجها. وقد نقل لنا Charles Lallemand وصفا دقيقا لهذا البرج[32]. ويمكن تفسير بساطة إنجازات حسين بن علي المعمارية في الضواحي ومحدوديتها لاهتمامه بالتشييد داخل مدينة تونس وخارجها في الحواضر الكبرى وتحصينها مثل القيروان والكاف. ويمكن إرجاع ذلك أيضا لاهتمامه بقصر باردو الذي حوله إلى مدينة حكم محصنة. وتجلّى اهتمامه بالضواحي أيضا من خلال تركيز الأمن فيها وعنايته بفلاحتها وخاصة غابة الزيتون التي أحياها بعد أن شارفت على الانقراض[33]. ثم سيتراجع عمرانها أثناء الفتنة الحسينية الباشية، ولن تحقق نموا كبيرا أثناء فترة علي باشا الذي كان منصرفا طوال الوقت لتحصين البلاد تحسبا لعودة أبناء عمه، ولإنجازاته داخل المدينة[34]. ولا نعد من إنجازاته في الضواحي سوى مباني حمام الأنف التي قام بتشييدها بعد وفاة زوجته كبيرة مامية سنة 1747م. لكن البناء لم يتم قبل سنة 1750م. ويذكر سنة 1755 أنه قصدها رفقة حاشيته للاستراحة[35]. وكانت هذه المباني عبارة عن وكالة يقع كرائها للمسافرين والذين يقصدون المنطقة لغاية التداوي. وقام كذلك ببناء بيت لاستعماله الخاص وكان متواضعا هدمه حسين باي وشيّد مكانه قصر حمام الأنف الذي لا يزال قائما إلى الآن. لكن هذه الضاحية التي شدت انتباه علي باشا نتيجة حادثة موت زوجته ستتضرر أكثر من غيرها أثناء حرب عودة أبناء حسين بن علي نتيجة النهب الذي مارسه الجزائريون والحنانشة في الحاضرة وضواحيها مدة شهر كامل[36].

لم ينجز محمد الرشيد باي بعد استقراره في الحكم الكثير من العمارات نظرا لقصر مدته التي لم تتجاوز الثلاث سنوات. والتي قضى أغلبها رفقة أخوه علي باي في تدارك مآسي فتنة رجوعهم للحكم. لكنه كان به مولعا بالنزهة ومرافقها وبه ميل للاستراحة والخمول. وقد خص باهتمامه لهذا الغرض ضاحيتين الأولى جنوب الحاضرة وهي المحمدية التي كان يرتاد متنزه أسطا مراد، والثانية غرب الحاضرة بجهة منوبة حيث شيّد قصره الفخم الذي عرف بقبة النحاس وتعود تسمية القصر إلى الكشك الذي بنيّ للحريم في هذا المكان[37]. وقد كان يقضي فيه غالب وقته موكلا شؤون الايالة لأخيه علي باي. و ستعرف منوبة ابتداءا من هذا التاريخ

مسيرة تاريخية طويلة مع عمائر النزهة من أبراج وقصور لتصبح في أواخر هذا العهد من أهم المنتزهات وقبلة الناس.

لم يقم علي باي 1759م ـ 1782م بإضافة مبنى خاص به للنزهة في إحدى الضواحي وإنما كان يرتاد قصري منوبة والعبدلية عند الحاجة. وسيتولىّ ابنه حمودة باشا بتشييد البرج الكبير بمنوبة والذي لا يبعد كثيرا عن قصر قبة النحاس المذكور آنفا. وهو يقع أيضا وسط الأجنّة التي أمر حسين بن علي بإحيائها سابقا على أنقاض برج حصين كان بناه علي باشا في هذا المكان[38]. وقد لعب هذا القصر أدوار مختلفة في فترات زمنية متباعدة ترفيهية وسياسية وعسكرية. ونتبيّن من خلال ما سبق أن العقود الأربعة الأخيرة من العهد الحسيني هي الفترة الأهم في مسيرة الضواحي العمرانية والمعمارية. حيث تعود أغلب القصور والسرايات الباقية إلى اليوم إلى تلك الفترة، التي برز فيها اهتمام غير مسبوق بالضاحية الجنوبية. فظهرت مباني حمام الأنف وقصور المحمدية جنوبا. نفس الشيء بالنسبة للضاحية الشمالية، حيث ظهرت سرايا حلق الوادي وقرطاج والمرسى وكذلك الكرم ودوّار الشط وأريانة التي مثلت مجال انتشار مباني الأعوان والأتباع متبعة في ذلك وتيرة انتشار مباني الأسياد محاكية في ذلك تطورها الكمي والنوعي.

3. تطوّر الطابع المعماري للأبراج بضواحي مدينة تونس

لقد اتخذت الاقامات والقصور الحسينية المشيدة في الضواحي أشكالا بنائية وأنماطا معمارية ارتبطت بحقب زمنية مختلفة. وسنحاول في هذا الصدد استجلاء تطوّر النمط المعماري لهذه الاقامات عبر الرجوع إلى الفترات الزمنية التي نشأت بها. وسنقتصر في ذلك على إبراز اختلاف النمط المعماري المعتمد في مواصفاته العامة وخطوطه العريضة دون التعرض للتفاصيل الدقيقة. و يمكن إجمالا تقسيم هذه الفترة من حيث التطور المعماري إلى فترتين: تقف الأولى مع نهاية حمودة باشا، وتبدأ الثانية مع حسين باشا باي 1824ـ 1835. واتسمت كل مرحلة بنمط معماري ونوع من المباني خاص بها أملته ظروف ومكان نشأة المعلم في حد ذاته.

فقد انتشرت عمارة الأبراج خلال القرن الثامن عشر وتحديدا في الفترة الممتدة من ولاية حسين بن علي إلى حدود ولاية حمودة باشا. وينتمي هذا النمط من المباني في الأصل إلى صنف التحصينات والمباني العسكرية حيث تكون تابعة للأسوار والقلاع كمنشآت دفاعية تحتل الأركان وجانبي البوّابات، أو يعلو المداخل. ويبنى عادة في أعلى نقطة من هذه الأبنية. ويكون مشرفا على الأماكن المحيطة ويكشف الرؤية لمسافات طويلة[39]. ونجد ذلك بقصر العبدلية الحفصي

والذي عرف خلال الفترة الحسينية ببرج السلاسل. ولا تخص تسمية البرج في العهد الحسيني الجزء البارز من المبنى، وإنما المعلم في حد ذاته رغم عدم اشتمال المبنى على برج استطلاع. وتتسم الأبراج باتساعها وتحصينها ومتانة بنائها وعلو جدرانها وضخامة أبوابها وتوافر ملاحقها. ويرجع ذلك للبعد الإنتاجي لهذه الأبراج التي تفترض توفر عدة ملاحق من اسطبلات ومخازن لحفظ مواد وأدوات الإنتاج. ثانيا لوجود هذه المباني معزولة وسط عشرات الهكتارات من الحدائق والهناشر الملحقة بها مما يفترض أن تكون حصينة أمام محاولة السطو والسرقة أو أي هجوم محتمل من أي نوع. فالحديث عن أمن مستتب بالضواحي لا يمكن التسليم به في تلك الفترة. وهو ما يظهر جليا من خلال المراسلات[1] الخاصة بهذه الضواحي، حيث تكثر الحرائق وعمليات السرقة وجرائم القتل[40]. فمسألة الأمن في الضواحي لا تزال نسبية رغم كل الجهود المبذولة في هذا الصدد وخاصة من طرف حمودة باشا[2]. والأمر يتطلب الكثير من التدابير لمن أراد ارتياد الضواحي وسكناها. ونظرا لهذه المعطيات المختلفة وقع اعتماد هذا الطراز المعماري في بناء إقامات النزهة في الضواحي. وقد كانت إلى جانب حصانتها فخمة جدا. وتحتوي على جميع مرافق الراحة. لكن هذا الطراز المعماري سيقع اسبداله بنمط جديد تخالطه عدة مؤثرات غربية من الناحيتين التصميمية والزخرفية. تسمى هذه العمائر بالسرايات. وقد ظهر هذا النمط المعماري وانتشر في القرن التاسع عشر وخاصة منذ ولاية حسين باشا باي. وذلك نتيجة التشبع الكبير بالتأثيرات الغربية في هذا الميدان وغيره، واقتباس الكثير من العادات الغربية في الأكل واللباس والأثاث. و يظهر ذلك جليا منذ ولاية أحمد باشا باي[41]، وعلى هذا النمط ستبنى دار الباي بحمام الأنف وقصر الصالحية بالمحمدية، والسرايا الجديدة بحلق الوادي، وسراية البحر بقرطاج، وقصر السعادة بالمرسى، وقصر التاج، ودار الناصر باي ودار الطيب باي أيضا. هذا ناهيك عن سرايات الأمراء والأعوان التي انتشرت في جميع الضواحي: منوبة وأريانة والمرسى والكرم. وتتميز هذه المباني خاصة بغياب الأفنية الداخلية المكشوفة. وباحتوائها الشرفات المفتوحة والمشربيات الخشبية. واعتمد في بنائها على تصاميم جديدة غير مألوفة وتختلف كليا عن مخططات الأبراج. وتحتل عادة مساحات أقل من الأولى. كما نلاحظ اختفاء العديد من المرافق، وتوزيع جديد للفضاءات الداخلية للمبنى كالاسطبلات وبقية المنافع التي تكون عادة منفصلة عن الجزء المخصص للسكن. وقد تحدث كل من بيرم الخامس والحشايشي عن هذه الازدواجية في النمط المعماري لقصور الضواحي. فوضّحوا لنا أن بعضها كان على النمط التقليدي القديم وبعضها على النمط الأوروبي، لكنه في المقابل لم يذكروا تفاصيل الاختلاف وتميز كل نمط عن الآخر وقد أدى تقليد هذا المثال للبناء الذي اتبعه الباي

والوزراء وسائر الأعيان إلى تقليد أغلب الناس لهم فظهرت بين سيدي بوسعيد وحلق الوادي قرى وعدة أبنية على النمط الغربي المذكور[42].

4. عمارة الأبراج خلال القرن التاسع عشر بين الموروث المحلي والتأثير الأجنبي

لم ينف هذا التطوّر الكبير تمسّك بعض وجهاء مدينة تونس وأعيانها بالنمط التقليدي للقصور الموروث من الفترة الحفصية. وتابعوا رغم حدة التغيرات الاجتماعية والسياسية والمعمارية تشييد بعض الأبراج خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، و يعد برج محمود بوخريص بجهة المعلقة بالضاحية الشمالية لمدينة تونس من أهم ما تم تشييده خلال هذه الفترة. وسنوضّح من خلال دراسة هذا المثال خصائص تغيّر عمارة الأبراج المخصصة للإقامة الموسمية خلال هذه الفترة.

يقع برج محمود بوخريص غرب قرطاجنة حيث يشرف على كامل جهة المعلقة وجانب كبير من قرطاجنة. وقد كانت هذه الجهة على غرار ساحل قرطاج وكامل الظهير المتصل به من ناحية الغرب خلال الفترة الحسينية جزء من «قيادة حلق الوادي والمرسى». وتذكر وثيقة «تحديد الأماكن وأسماء الحارسين لها «لسنة 1279هـ = 1862م القرى والمشايخ المكوّنة للأحواز الشمالية مع ضبط حدود كل واحدة منها بما في ذلك «مشيخة المعلّقة»[43]. ونشير في هذا الصدد أن لفظ «المعلقة» وقع استخدامه منذ الفترة الوسيطة للإشارة لمنطقة قرطاجنة. فقد ذكر ابن عذارى أن أهل تونس يطلقون على هذه الجهة تسمية المعلقة:» ويسميها أهل تونس اليوم بالمعلقة»[44]. ونجد نفس الإشارة عند ابن خلدون حيث يذكر «حنايا المعلقة». وقد أورد ابن أبي دينار خلال القرن السابع عشر إشارة تدل على تغيير كبير طرأ على هذا المجال:» فلم يبقى منها إلا بقية خراب يعبر عنها بالمعلقة فيها أماكن كان يستقرّ بها الماء»[45]. ويفيدنا ذلك أن المجال المشار إليه بالمعلقة قد انحسر بشكل كبير خلال هذه الفترة، حيث لم يعد يشمل سوى الموقع المتاخم للصهاريج الرومانية. و يعني ذلك ان المعلقة تمتد جنوب المرسى وشمال دوّار الشط وغرب سيدي بوسعيد وشرق سيدي داود. واستنادا إلى ما ورد في أغلب الوثائق المشار إليها ومن خلال تقصيّ حدود كل مشيخة على حدا وبالنظر لمنتهى كل من مشيخة سيدي بوسعيد ومشيخة المرسى، يتسنىّ لنا القول أن منطقة قرطاجنة تمتد إجمالا بين جهتي المرسى وسيدي داود. يحدها من الجنوب الطريق الرابطة بين سيدي بوسعيد وتونس. ويمتد هذا الحد حتى يبلغ تخم سانية بن خالد حيث ينتهي بالطريق الشمالية المؤدية للمعلقة ومنطقة البحر الأزرق. ويمر الحد الشرقي للمنطقة بنظيره التابع

لتراب مشيخة سيدي داود حتى يبلغ ‹‹كدية الزعتر››، ويمتد حتى يصل أطراف سانية الزموري وتخم سانية الغمادي جنوبا. ثم ينعطف إلى الشرق ليمر بحد سانية الجزيري وسانية الخلادي وسانية الدوفاني لينتهي إلى البحر من هذه الناحية. وتعود هذه المنطقةلنظر شيخ المعلقة[46]. يعتبر البعض جزء من جهة المرسى نظرا لقربه الشديد لها حيث يقع على طرف حدها القبلي. وقد حددت وثيقة تملكها موقعها على أنه «بالمرسى بالمكان المعروف بأبي خريص». ويعود إرداف المرسى بتخصيص شهرة الموقع ونسبته لمالك البرج بعدم استقرار الموثّق على موضع محدد لها. فلا تقع هذه السانية داخل مجال المرسى تحديدا وإنما على طرفه مما يطرحها خارجه أغلب الأحيان. وهو ما يفسر شهرتها باسم مالكها نظرا لتفردها بمجال لا توجد به قصور أخرى تؤكد شهرته وحدوده بوضوح في الأذهان.

موقع البرج

وكانت هذه السانية تعرف سنة 1199هـ = 1784م بـ«سانية قزدغلي» لمالكها محمد بن عامر[47]، الذي اشتراها في أوائل صفر 1175هـ = 1761م من مالكها يوسف بن محمد خوجة الحنفي الذي اشتراها بدوره من محمد قزدغلي آغة الصبايحية الترك ابن المرحوم مصطفى التركي في 1173 هـ =1759 م[48]، وذلك بشهادة أبي العباس حميدة شاهد بيت المال وولده أبي الحسن علي. وحصل على الجزء الثاني المكون للسانية على وجه الهبة من أبي عبد الله حسين باي. ويعرف هذا الجزء منها بسانية الضاوي. وتحتوي على قطعة أرض مشجرة بأعواد زيتون. وإثر تعاقب عمليات بيع وشراء مختلفة استقرت هذه السانية على ملك حمدة الشباب[49]. واشتملت حينها على ثلاث قطع مختلفة. فقد استقر على ملك المذكور في البداية قطعتي أرض بدون بناء: «**جميع الطرفين أرض بيضا**»[50]. يحد الأولى شرقا سانية الحلاوي وسانية قارة برني وشرقا فتاتة والقبي وجوفا السيد الداي وحبس سيدي الظريف. ويحد الثانية قبلة الحاج عمر والأمين علي جعفر وشرقا طريق وجوفا القبي وغربا فتاتة. ثم أضاف إليها في وقت لاحق «جميع الأرض البيضا وبها البعض من تخم الهندي الكاينة قرب كدية الزعتر من مرسى قرطاجنة وتعرف بحفرة القفصي»[51]. يحدها قبلة الفقيه عثمان دمدوم وأرض الجري لحمدة الشباب

وشرقا بير مريش للسيد مصطفى آغة وجوفا طريق سيدي بوسعيد الباجي وغربا الشيخ دمدوم. ثم أضاف إليها «جميع أنقاض السانية المشجرة عنبا وتينا وتعرف بمالكها السعيدي»[52]. يحدها قبلة بن خليفة وشرقا السيد الباي وجوفا طريق وغربا قارة برني. كما مثلت السانية المشجرة عنبا وتينا وزيتونا وإجاصا المعروفة بالحجرة المنقوبة الكاينة بحومة برج غريضو بمرسى قرطاجنة جزء من هذه السانية. يحدها قبلة أرض الخوجة الأصرم وشرقا أرض فتاتة وجوفا أرض المعاجني لمحمد غريضو وغربا سانية الخلادي وأرض فتاتة. كما نجد من مشمولاتها أيضا «جميع أنقاض السانية المشجرة عنبا وتينا المتخمة بالهندي»[53]. يحدها قبلة الشيخ فتاتة ومن الناحية الجوفية والشرقية سانية الخوجة قارة برني وغربا طريق. وقد استقرت هذه القطع المذكورة على ملك حمدة الشباب وفق طرق ووسائل مختلفة. فقد كانت القطعة الأولى جزء من أحباس الجري. قام محمد غريضو بمعاوضتها بواسطة نائبه علي الخضار الشواشي من الحاج سالم الجري مستحق الحبسية بمبلغ قدره تسعماية ريال في 21 ذي الحجة هـ 1215= 1800. اشتراها بعد ذلك محمد هارون الأندلسي في أواسط جمادى الثانية 1254هـ = 1838م من ورثة محمد غريضو. بشهادة العدلين أحمد القروي وأبي عبد الله محمد بن عثمان. باعها هذا الأخير بدوره لمحمد العربي البشير حفيد الشيخ سيدي البشير. ليبيعها في شعبان 1260هـ = 1844م لحمدة الشباب بثمن بلغ تسعمائة وخمسين ريال بشهادة أبي عبد الله محمد الحداد وأبي محمد حمودة ابن الشيخ محمود بن محمود. وحصل على القطعة الثانية بالشراء من أحمد باشا باي في 24 رمضان 1260هـ = 1844م بشهادة أبي الحسن علي الحداد وأبي العباس أحمد بن الضيّاف. وقد استقرت هذه السانية على ملك الباي المذكور بموجب وثيقة استرعاء بشهادة حامد بن حسن العوني من سكان المرسى وعمر بن محمد بن جودة من سكان المعلقة وصالح بن علي الطرابلسي بن جودة وعلي بن خميس الجبالي من سكان المكان. كما حصل أيضا على السانية الثالثة بالشراء من الحاج سليمان بن الشيخ عثمان دمدم في أوائل جمادى الأولى من 1262هـ = 1845م بشهادة علي الطويبي. ثم اشترى هذه الأملاك مجتمعة داخل حدود السانية محمود بن أحمد بوخريص أحد كتبة ديوان الإنشاء[54]، جميع السانية الكبرى وما ألحق بها بجميع ما اشتملت عليه من الأبراج والبناءات والغراسات القديمة والحادثة بعشرون ألف ريال تونسية صغرى في أوائل محرم 1266هـ بشهادة محمد الطيب بوخريص وأحمد النقبي. وتكون بذلك السانية وما اشتملت عليه من بناءات مختلفة من إحداث حمدة الشباب. وقد قام المالك الجديد محمود بوخريص بعد حصوله عليها بإضافة قطعة أرض أخرى مشجرة زيتونا وتينا ولوزا وزعرورا. وكانت هذه القطعة المضافة على ملك أبي عبد الله محمد المتهني ابن سالم القيزاني باش بواب بباردو المعمور والذي توفيّ في أوائل شوال 1250هـ = 1834م. فباعها ورثته لأبي عبد الله محمد حمدة بن الفقيه أبي عبد الله محمد بن خالد بستمائة وخمسون ريالا.

وتمّ ذلك في الرابع من شوّال 1250هـ ليقوم ببيعها فيما بعد لمحمود بن أحمد بوخريص في رجب 1272هـ = 1855م بشهادة محمد بن حسين بن فايزة والشريف يوسف بن محمد. ولما توفيّ محمود بن أحمد بوخريص في جمادى الثانية من سنة 1308هـ ورثه أبنائه أحمد ومحمد الطيب وابنته عايشة. ثم باعها ابنه محمد الطيب بوخريص في جمادى الثانية 1318هـ = 1900م للإخوة محمد ومحمد البشير أبناء محمد الشاذلي الغرياني، ثم اقتناها الآباء البيض خلال سنة 1903م. وقاموا بتثبيتها في خانة الأملاك العقارية. وقد كانت تتكوّن حين اقتناء الآباء البيض لها من ثلاث قطع تبلغ مساحتها اثني عشر هكتارا. ويحدها قبلة سانية مشجرة زيتونا على ملك بسيس، وشرقا طريق وجوفا سانية بوخريص وغربا السانية المذكورة وملك لبسيس. واشترتها الدولة التونسية خلال سنة 1964م. واضطلعت منذ ذلك التاريخ بوظائف متعددة. وقع ضمّها سنة 2004 إلى المتحف الأثري بسيدي بوسعيد. وانضوت بالتالي تحت إشراف وزارة الثقافة والمحافظة على التراث.

مثال لامتداد سانية بوخريص والطرق المؤدية إليها.

صورة جوية لبرج سانية بوخريص ومختلف البناءات التابعة له.

5. المكوّنات المعمارية

تبلغ مساحة البرج والبناءات ألف وستمائة وثلاثة وستون مترا مربعا. كما تحتوي هذه السانية على عدد من الآبار. يتكوّن برج السانية من طابق سفلي وطابق أرضي معتلى عليه يتوصل إليه عبر مدارج يسيرة توجد بالمدخل الرئيسي، بالإضافة على مدارج ثانوية تقع بالدويرية.

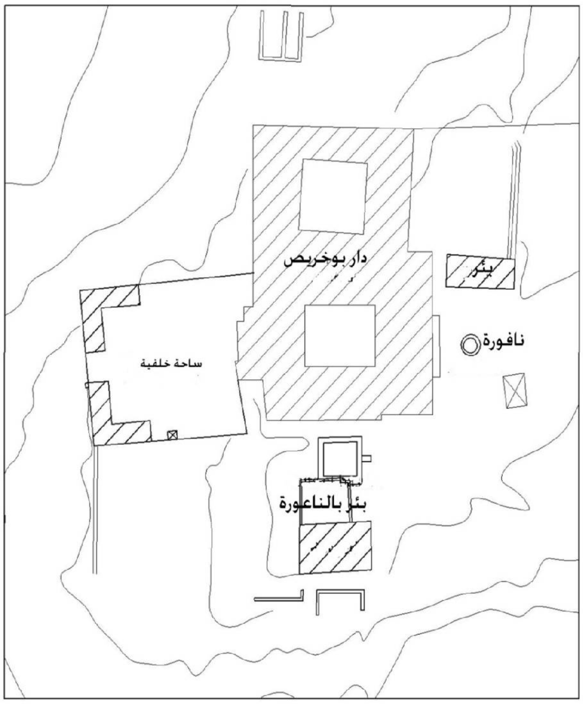

مكونات الموقع

5. 1. الواجهات الخارجية

تتميز واجهات هذا القصر ببساطة معمارها. وتتجه الواجهة الأمامية إلى القبلة. وتقتصر عناصرها المعمارية على مدارج المدخل والتي تنطلق من الجانبين وتلتقي عند المدخل مكونة شكلا هرميا صغيرا ذي قمة مسطحة. ويحفها درابزين من الحديد المطروق. يتخذ المدخل شكلا مستطيلا ينتهي بقوس نصف دائري تعلوه مشابك من الحديد المطروق ذات أشكال مختلفة ومتداخلة. كما تتميز هذه الواجهة أيضا بنوافذها المستطيلة التي تنتهي بقوس نصف دائري على غرار المدخل. وتحتوي هذه الواجهة على اثني عشر نافذة. توجد ستة منها بالطابق

السفلي والست الأخرى بالطابق الأرضي وتتوزّع بالطابقين أنصافا إلى جانبي المدخل. وتنتهي الواجهة بطنف محززّ. تعلوه شرّافات مربعة تخلو من الزينة وتضفي على المكان صارمة زائدة لا تتلائم مع المشهد الطبيعي المحيط بالبرج. وتمتد على الجهة الغربية للواجهة الأمامية الواجهة الجانبية للدويرية والمخازن. يتخلّلها صف من النوافذ المستطيلة الشكل، في حين يظهر مبنى البئر في شكل بناء متقدم يتوسطه باب مربع كبير ذي مصراعين.

وتتميّز الواجهة الغربية بالبوابة الكبيرة ذات الباب المقوس المضيئ لفناء الخدمة. ويوجد على جانبي هذه البوابة مدخلين صغيرين مستطيلين. كما تشتمل هذه الواجهة على بعض كوات متباينة الأشكال والأحجام. ويتكرر نفس المشهد البسيط على الواجهة الشرقية التي تخلو تماما من العناصر المعمارية. ولا يوجد بها سوى فتحات نوافذ الطابق الأرضي المستطيلة المسيّجة بمشابك الحديد. وتعتبر الواجهة الجوفية الأكثر تواضعا من الناحية المعمارية. فلا يوجد بها بالإضافة إلى جدران الحوش الخلفي للخدمة سوى فتحات الغرفة الرئيسية للبرج والمصطبة المطلة عليها.

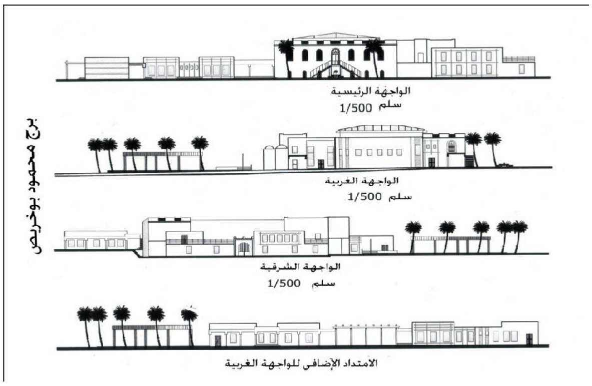

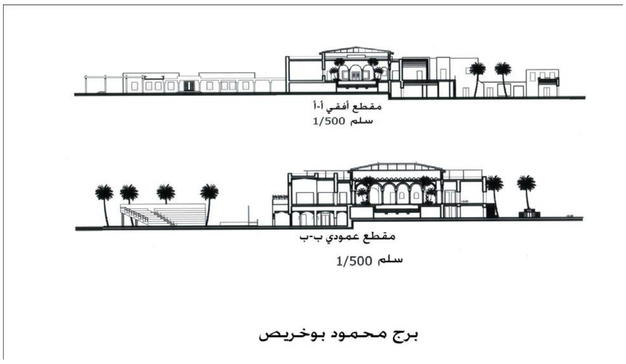

5. 2. الطابق السفلي

يتكوّن هذا الطابق إجمالا من مخازن واسطبلات ومرافق الخدمة. يقع مدخله في الجهة الغربية للبرج. وتنتظم وحداته حول صحن مكشوف أو ما يعرف بـ «حوش». يوجد عند المدخل مخزن من كل جانب. يلي ذلك إلى يمين الداخل إسطبل للدواب. يجاوره بهو صغير تعلوه أقباء متقاطعة. ويوجد في أحد أطرافه مدارج تؤدي للطابق الأرضي. ويواجهه من الناحية القبلية زريبة لتربية الحيوانات. كما يوجد بالجهة الجوفية إسطبل كبير تعلوه أقباء معقودة. ويرتبط بمدخل منفصل يقع بالناحية الجوفية ويفضي إلى ساحة مكشوفة يوجد بركنها الجوفي مسكن الحارس. وتحتل ركنها الشرقي مخازن. ويوجد بالجهة الشرقية للبرج مخزن وصهريج ماء. ويمتد على الجهة القبلية تحت مدارج المدخل الرئيسي قبو طولي لم نتبيّن وجه استغلاله.

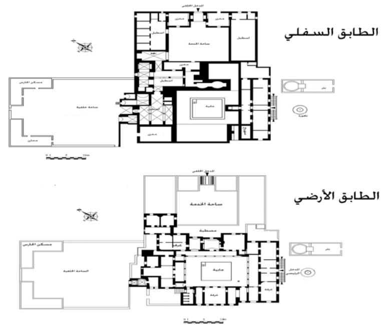

برج بوخريص

5. 3. الطابق الأرضي

يضمّ هذا الطابق مساكن المالك وعائلته. ويقع الوصول إليه عن طريق صعود مدارج يسيرة تتقدم مدخله الرئيسي الذي يتوسّط الجهة القبلية. يفضي المدخل مباشرة إلى سقيفة مستطيلة الشكل تتوسّط غرفتين كبيرتين ذات شكل مستطيل. تتصل الغرفة القبلية الغربية بغرفة أكبر حجما تتصل بالغرفة الغربية المشرفة على الفناء الداخلي للبرج. وتتصل غرفة السقيفة القبلية الشرقية بـ»بيت الماء» حيث توجد صهاريج تتصل بالجابية. وتفضي هذه السقيفة إلى صحن مكشوف مربع الشكل تتوسطه جابية يحيط بها حاجز مفرغ من الحديد المطروق. وتكسو أرضية هذا الفناء بلاطات رخامية بيضاء مربعة الشكل. وتحيط به من جميع جهاته أروقة تستند عقودها المتجاوزة إلى ثمانية عشر سارية رخامية تعلوها تيجان حلزونية، بالإضافة إلى بعض الزخارف النباتية ذات الأغصان المتعرّجة والأخرى ذات النتوءات البارزة.

وتحيط بمجنبات الأروقة أربعة غرف مختلفة الأحجام ثلاثة منها بالقبو والمقاصر تتجه

جميعها نحو الفناء المكشوف. يحيط بمدخل كل منها إطار رخامي تعلوه وزرات رفيعة من الخزف الأسود تفصل الإطار عن كسوة الخزف المزجج ذي البريق المعدني القادم من ورشات القلالين والتي تغطي واجهات الغرفة المشرفة على الرواق إلى حدود مبتدى سقوفها. وتحتل الجهة الجوفية أهم غرفة في القصر. يحيط بمدخلها نافذتين مستطيلة الشكل. ويحفها إطار مشابه لإطار المدخل. تتخذ هذه الغرفة شكل الحرف اللاتيني T . فرشت أرضيتها بالرخام الأبيض وكسيت جدرانها كاملة بمربعات الخزف اللامع على غرار جدران الأروقة. تغطي أجزائها الأمامية سقوف خشبية مسطحة. تحمل أرضيتها الداكنة رسوما جميلة ذات ألوان زاهية. وقد طغت عليها رسوم النباتات الصغيرة التي تتفرّع منها الزهور والأغصان المتشابكة المختلفة الألوان. كما نحتت بقطره صرّة منقوشة ومطلية بالدهان المذهب يتدلّ منها قنديل لإضاءة القاعة. ويعلو إيوان هذه الغرفة سقف خشبي على شكل قبة متدرجة ذات قاعدة مضلّعة. وتعتبر العنصر الأكثر زخرفة ورونقا وجمالا من بين جميع عناصر القاعة. وتعكس ألوانها المتدرجة والمتناسقة شدّة العناية التي حظيت بها هذه الغرفة. وتتوزّع الرسوم أيضا على أرضية داكنة وقعت صباغتها باللون القاني. تنطلق من مركزها مضلعات ذات أبعاد ثلاثة يكوّن التقائها ما يشبه مظلّة مستديرة ذات ألوان زاهية. في حين حمل الإطار المثمّن الأضلاع والمنضَد أشرطة حزامية من الزخارف النباتية المتعرّجة، تتخلّلها وريدات منحوتة ومذهبة موضوعة على أبعاد متساوية رسمت بألوان داكنة وفاتحة على قدر كبير من التناسق والتناسب.

ويوجد على الجدار الشرقي لهذا الإيوان نافذتين كبيرتين تعلوها قمريتين مستطيلتين تتوسطها ثلاثة إهليليجية الشكل. وقد كسيت جميعها بزجاج ملوّن على قدر كبير من الجمال. وتشرف هذه النوافذ على مصطبة كبيرة تطلّ على الجهة الخلفية للسانية. ويتصل إيوان الغرفة من الجانبين بمقاصر تعلوها أقباء برميلية مدهونة باللون الأبيض. تتصل المقصورة الغربية بمدخل يفضى للمصطبة السابقة الذكر والتي تتصل بدورها بمدارج مؤدية لحوش الخدمة الشرقي حيث توجد مساكن الخدم. وتتصل المقصورة الشرقية بغرفة صغيرة تعلوها أقبية متقاطعة. تطل منافذها على السانية. كما تتصل هذه الغرفة من الناحية الأمامية الغربية بمدخل يفضي إلى بهو مستطيل يعلوه قبو برميلي يفضي إلى فناء صغير غير مسقوف. يتخذ شكل مستطيل. يوجد في ناحيته الغربية جناح الحريم المتكون من أربعة غرف. يؤدي المدخل المذكور إلى بهو مستطيل مبلط بمربعات جليز فاخر. وتكسو جدرانه مربعات خزفية ملونة. تحتل جهته الغربية غرفتان لهما نفس الحجم وتشرف كليهما على الدويرية الواقعة غرب البرج. ويوجد في الناحية القبلية للبهو مدخل يفضي إلى فناء مكشوف يشرف على موانئ قرطاجنة وهضبة جبل

المنار. ويوجد بطرف الجدار الشرقي للبهو المذكور مدخل يفضي إلى غرفة مستطيلة الشكل تتصل بدورها بأخرى لها نفس الحجم تتصل بثالثة يعلوها قبو برميلي ويفضي مدخلها الرئيسي إلى الرواق الشرقي لفناء البرج. ويحتل الركن الشرقي للرواق الجوفي بهو صغير تعلوه أقباء معقودة توجد بآخره مدارج تفضي لمخازن الطابق السفلي المشرفة على حوش الخدمة الشرقي.

ويوجد بالمجنبة الشرقية غرفة ثانية لها نفس حجم وشكل الغرفة الجوفية أي أنها ذات إيوان مربع الشكل وتتصل بمقصورتين جانبيتين. وتتميز عن الأولى بقلّة زينتها وتواضع زخرفها الذي اقتصر على البلاطات الرخامية أرضا والمربعات الخزفية في كسوة الجدران، في حين خلت الأسقف من عناصر الزينة. وتوجد بالمجنبة الغربية غرفتين تتصل الأولى ببيوت السقيفة الغربية. وتتصل الثانية بالقبو المتصل مباشرة بجناح الحريم.

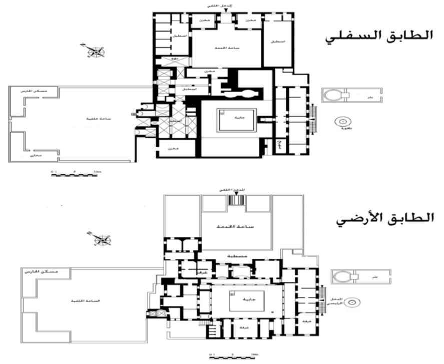

برج بوخريص

ويعدَ وجود بعض العناصر ضمن مكونات هذا البرج مثل الطابق العلوي الجزئي في طرف الصحن وتعدد الأروقة والملحقات كالدويرية والمخازن والإسطبلات المختلفة ووجود سانية متعددة الأقسام، زيادة عن حجم مساحة المنزل ورفعة المواد المستعملة، من أهم معايير التميّز في هذا البرج. كما يتميز ببعض العناصر التخطيطية التي قلّ وجودها بأبراج النصف الأوّل من القرن التاسع عشر حيث حافظ في مجمله على الهيكلية العامة للبرج المتعارف عليه منذ الفترة الحفصية. ويشبه هذا البرج إلى حد كبير من حيث هيكلته العامة وانتظام وحداته برج العبدلية الكبرى بالمرسى. وتتلخَص في الفناء المكشوف الذي تحيط به الحجرات المختلفة الاستعمالات، بينما تتركّب الغرف من بيت ومقصورتين جانبيتين، أما على مستوى الزخرفة ومواد البناء المستعملة فقد كان أغلبها من صنع محليَ فالخزف اليدوي المستعمل وقع صنعه بالقلالين حيث حمل موضوعات لصور مألوفة ، وإذا ما استثنينا تلك العناصر المضافة خلال

نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين لكان بإستطاعتنا افتراض نسبة هذا البرج إلى العهد الحفصي. وكما أن استخدام المرمر المتناوب الألوان والجليز الأبيض والأسود أو «جناح خطيفة» بكثرة في مثل هذه المباني هو طراز يعود استعماله إلى الفترة الحفصية.

ونتبين من خلال الوصف المتقدم أن هذا البرج حافظ وبعناية شديدة ملفتة للنظر على النمط العام لعمارة الأبراج التي تعود لأواخر الفترة الوسيطة وبداية الفترة الحديثة بمختلف خصائصها. فقد التزم مخططه بطابع التربيع والتكعيب إجمالا بمدخل رئيسي وعدة مداخل ثانوية. كما تتوزع وحداته السكنية على جوانبه الأربعة، وهذه الخلايا لها نوافذ تفتح مباشرة على الفناء المكشوف ذي الأروقة بالإضافة إلى أخرى تطل على السانية وتشرف على مناظر طبيعية خلابة. ويبدو ذلك مختلفا عن القصور التي شيدت في ضواحي مدينة تونس خلال القرن التاسع عشر.

ويبيّن لنا هذا العمل إجمالا جانب من تطوّر الأنماط المعمارية بضواحي مدينة تونس خلال أواخر الفترة الوسيطة والفترة الحديثة. والتي سيطرت عليها عمارة الأبراج إلى حدود بداية القرن التاسع عشر. حيث ستتخلص من هذا الطراز المعماري تدريجيا لتتبنّى نمطا جديدا وهو السرايا والذي سينتشر في أغلب الضواحي. وقد كان المشهد العمراني الضاحوي يتكوّن عموما من قصور وأبراج البايات، ثم من تلك التابعة للأعوان والأثرياء والتي عادة ما تكون أقل فخامة من الأولى. ثم في مرحلة موالية مداشر الفلاحين المحيطة بهذه المنشآت الملكية والتي رغم أنها العنصر الغالب على هذا المشهد فإن المصادر المتاحة لا توفر تفاصيل كافية عنها. ويمنعنا ذلك من ضبط حدود دقيقة ورسم ملامح واضحة عن هذا النسيج العمراني الممتد حول قصور النزهة بشكل قطعي. وسيتواصل تطور وتنوع الأنماط المعمارية المعتمدة في هذه الجهات خلال الفترة الاستعمارية حيث ستظهر عمائر مغايرة تماما لما ذكر.

هوامش البحث:

1 ـ كريم بن يدر،1993، ص. 308.

2 ـ أ.و.ت. السلسلة التاريخية، صندوق100، ملف208.

3 ـ Pellegrin Arthur, 1953, p.88

4 ـ محمد حسن، 1999، ج.1، ص.50.

5 ـ أ.و.ت، دفتر 3992.

6 ـ Pellegrin Arthur,1953, p.366

7 ـ هو أبو عبد الله بن عبد الرحمان بن احمد بن أبي بكر القضاعي البلنسي الشهير بابن الابّار، ولد ببلنسية

و وفد إلى تونس في 4 محرم 636 و سنه حوالي أربعين سنة، من الشعراء الملازمين لأبي زكرياء الحفصي و ابنه المستنصر بالله، ألف العديد من الكتب منها درر السمط في خبر السبط،انظر: احمد الطويلي، الأدب التونسي في العهد الحفصي.

8 ـ أ.و.ت، دفتر 3992.

9 ـ بية عبيدي، 2010.

10 ـ كريم بن يدر، 1993.

11 ـ كريم بن يدر، 1993. أ.و.ت. السلسلة التاريخية، صندوق 44، ملف507-508.

12 ـ أ.و.ت. السلسلة التاريخية، صندوق 44، ملف 510، وثيقة 58902.

13 ـ الراشدي،1985، ص.230، 387، 470.

14 ـ محمد حسن،1999، ص. 332.

15 ـ بيرم الخامس، 1999، ص. 351.

16 ـ أ.و.ت. السلسلة التاريخية، ملف506، صندوق44

17 ـ ابن أبي الضياف،1989، ج. 6.

18 ـ أ.و.ت. السلسلة التاريخية، ملف510، صندوق 44 .

19 ـ أ.و.ت. السلسلة التاريخية، ملف 509، صندوق44.، أ.و.ت. السلسلة التاريخية، ملف 174، صندوق6.

20 ـ أ.و.ت. السلسلة التاريخية، ملف 509، صندوق 44، وثيقة عدد 58815.

21 ـ أ.و.ت. السلسلة التاريخية، صندوق16، ملف 174، وثائق 12-13-14-15.

22 ـ أ.و.ت.السلسلة التاريخية، صندوق16، ملف 174، وثيقة 19.

23 ـ أ.و.ت. السلسلة التاريخية، صندوق16، ملف 174، وثيقة22.

24 ـ أ.و.ت. السلسلة التاريخية، صندوق16، ملف 174، وثيقة24.

25 ـ Serge Santelli, 1995, P.6، بية عبيدي، 2010.

26 ـ Maurice Bois, 1886, p.13

27 ـ الصغير بن يوسف، مخ. عدد 18688.

28 ـ J.Revaut, 1974, p. 33

29 ـ الوزير السراج، 1985، ص.235.

30 ـ الوزير السراج، 1985، ص.236.

31 ـ ابن أبي الضياف، 1989، ج.3، ص. 102.

32 ـ Charles Lallemand,2000, p. 34

33 ـ ابن أبي الضياف،1989، ج.2، ص122، - حسين خوجة،1988، ص.117، Ahmed Saadaoui, 2001, p.140

34 ـ Ahmed Saadaoui, 2001, p.170.

35 ـ الصغير بن يوسف، مخ. عدد 18688.

36 ـ ابن أبي الضياف،1989، ج.2، ص.184، - السنوسي، 1994، ج.1، ص.107.

37 ـ رجاء العودي،2003، ص.77.

38 ـ Nej Djelloul, 1995, p.133

39 ـ أ.و.ت. السلسلة التاريخية، ملف 174، صندوق16 ، - أ.و.ت. السلسلة التاريخية، ملف 156، صندوق16، - أ.و.ت. السلسلة التاريخية، ملف 506، صندوق44، - أ.و.ت. السلسلة التاريخية، ملف 507، صندوق44، - أ.و.ت. السلسلة التاريخية، ملف 509، صندوق44، - أ.و.ت. السلسلة التاريخية، ملف 510، صندوق44، - أ.و.ت. السلسلة التاريخية، ملف 511، صندوق44، - أ.و.ت. السلسلة التاريخية، ملف 512، صندوق44.

40 ـ أ.و.ت. السلسلة التاريخية، صندوق 16، ملف 174، ـ أ.و.ت. السلسلة التاريخية، صندوق 16، ملف 156، ـ أ.و.ت. السلسلة التاريخية، صندوق 44، ملف 506، ـ أ.و.ت. السلسلة التاريخية، صندوق 44، ملف. 507، ـ أ.و.ت. السلسلة التاريخية، صندوق 44، ملف.509، ـ أ.و.ت. السلسلة التاريخية، صندوق 44، ملف.510، ـ أ.و.ت. السلسلة التاريخية، صندوق 44، ملف.511.

41 ـ رضا الضيف، 2001 .

42 ـ بيرم الخامس،1999، ص.464.، الحشايشي، 1994، ص. 343.

43 - أ.و.ت. السلسلة التاريخية، صندوق 44، ملف 509.

44 - ابن عذارى، 1983، ج.1، ص. 34.

45 - ابن أبي دينار، 1967، ص. 79

46 - أ.و.ت. السلسلة التاريخية، صندوق 44، ملف 509.

47 - أ.م.ع. ملف 8097.

48 - أ.م.ع. ملف 8097.

49 - يدعى أبو عبد الله محمد ويدعى حمدة بن علي الشباب، من أبناء الحاضرة وأبوه أمين صناعة الشعر. تعلق بخدمة أحمد باي في دولة عمه. ولما دالت له الدولة رف منزلته وقربه وأولاه خططا هامة كالقمرق. توفي في سنة 1263 هـ = 1846م. ووزعت تركته في الديون. انظر ابن أبي الضيّاف، 1989، ج.8، ص. 65.

50 - أ.م.ع. ملف 8097.

51 - أ.م.ع. ملف 8097.

52 - أ.م.ع. ملف 8097.

53 - أ.م.ع. ملف 8097.

54 - تقدم لخطة الكتابة في ديوان الإنشاء وكان من أواسط رجالها في الوقت، توفي في ذي القعدة 1263 هـ = 1847م . شغل خطة نايب باش كاتب. انظر ابن أبي الضيّاف، 1989، ج.8، ص.66.

صورة رقم 1- صورة عامة للبرج

صورة رقم 2- المدخل الرئيسي للبرج

صورة رقم 3- الواجهة الجنوبية

صورة رقم 4- الواجهة الغربية

صورة رقم 5- الرواق الداخلي

صورة رقم 6- مدخل الغرفة الرئيسية

صورة رقم 7- الفناء المكشوف

صورة رقم 8- إحدى الغرف

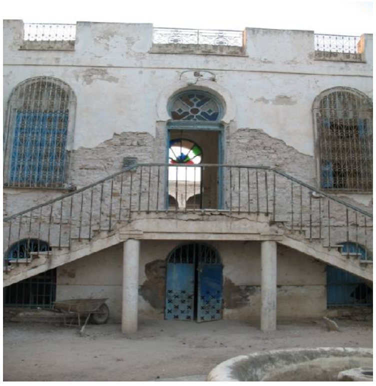

صورة رقم 9- مدخل البرج

صورة رقم 10- سقيفة المدخل

صورة رقم 11- سقف من الخشب الملون

صورة رقم 12- غرفة ذات مقصورتين

المصادر و المراجع

الأرشيف الوطني، السلسلة التاريخية، صندوق 16، ملف 174.
- السلسلة التاريخية، صندوق 16، ملف 156.
- السلسلة التاريخية، صندوق 44، ملف 506.
- السلسلة التاريخية، صندوق 44، ملف. 507.
- السلسلة التاريخية، صندوق 44، ملف.509.
- السلسلة التاريخية، صندوق 44، ملف.510.
- السلسلة التاريخية، صندوق 44، ملف.511.

أرشيف الملكية العقارية، ملف 8097.

ابن أبي دينار ابو عبد الله محمد، المؤنس في أخبار افريقية وتونس، تونس، 1967.

ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، بيروت، 1983.

ابن أبي الضيّاف أحمد، إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، تونس، 1989.

الحشايشي محمد بن عثمان، العادات والتقاليد والتونسية، تحقيق الجيلاني بن الحاج يحي، سيراس للنشر، تونس، 1996.

الباشا حسن، موسوعة العمارة والآثار والفنون الإسلامية، بيروت، 1999.

جباهي مبروك، سيرة الوزير المملوك شاكير صاحب الطابع 1805-1837، شهادة كفاءة في البحث، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس، 2002.

ضيف رضا، الحياة اليومية في البلاط الحسيني في عهد احمد باشا باي 1837- 1855، شهادة كفاءة في البحث، تونس، 2001.

بية عبيدي، سواني وقصور الضاحية الشمالية لمدينة تونس خلال الفترة الحسينية 1957 1705- ، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، تونس، 2010.

Bahri Raja, Restauration et réaffectation de la résidence d'été à Carthage : Borj Bou Khriss, mémoire de fin d'étude, Tunis, 2007.

Revault Jacques, Palais, demeures et maisons de plaisance à Tunis et dans ses environs, Paris, 1984.

تطور المحراب في عمارة المغرب الأوسط خلال العصر الإسلامي.
(من بداية الفتح الإسلامي إلى نهاية عصر الدولة الزيانية)

د. مطروح أم الخير
المركز الوطني للبحوث الأثرية

تقـديم:

تعتبر العمارة الإسلامية من أهم فروع الدراسات المتعلقة بالآثار الإسلامية عموما، فهي تعبر عن المراحل التي مرت بها العمائر الإسلامية خلال تطورها عبر مختلف العصور، منذ قيام الدولة الإسلاميـة، و ذلك ببناء المسجد النبوي بالمدينة، إذ يعتبر هذا الأخير ، هو الأساس الذي بنيت عليه المدينة الإسلامية، و ظل أصلا يحتذي به في بناء جميع مساجد الدول الإسلامية على قواعده التي أسست في عهد الرسـول -صلى الله عليه و سلم – و تطورت و أضيفت إليها عناصر خلال و بعد حكم الخلفاء الراشدين.

إن الدارس للآثار الإسلامية سيجد أن العمارة الدينية (المساجد) بصفة خاصة حضيت باهتمام المسلمين، و نالت الحظ الأوفر من البناء، لأنها كانت و مازالت تعبر عن كيان مجتمع بكل شرائحه ، فالاهتمام ببناء المساجد يرجع إلى أن أول بناء يجب أن يقام عند بناء أي مدينة إسلامية ، وهو المسجد، تأسيا بالرسول – صلى الله علية و سلم- عند بنائه لمسجده، فهي وسيلة من وسائل التقرب إلى الله عز و جل يتخذها المسلم ، و ذلك بالاهتمام ببنائها و تشييدها و تجديدها ، و كانت نتيجة ذلك الاهتمام أن تتوفر البلاد الإسلامية على عدد هائل من المساجد التي تعود إلى عهود مختلفة منذ العصر الأموي الذي يعتبر أولى مراحل تطور العمارة الإسلامية بعد ظهورها في عهد الرسول – صلى الله عليه و سلم- و الخلفاء الراشدين بعده.

لقد بقيت من العصور الإسلامية في المغرب الأوسط مجموعة من المساجد بها محاريب قائمة و بالغة الأهمية، في تطور العمارة من حيث اختلاف مواضعها و تواريخها و أشكالها و موادها و زخارفها، إلا أنها لم تحظى بدراسات وافية من قبل المختصين في الآثار.

و ما لفت انتباهي إلى هذا الموضوع الخاص بالآثار الإسلامية جدة البحث فيه و طرافته، وخلو المكتبة العربية من مؤلفات جامعة لهذا الفن بالمغرب الإسلامي في العصور الوسطى ، و لان دراسة عنصر المحراب يعتبر فرعا من فروع الدراسات الأثرية الإسلامية و المغربية خاصة.

كما أن دراسة هذا الموضوع تعد من بين الدراسات الهامة و الجادة في إبراز و كشف النواحي السياسية و الإدارية الفنية و المذهبية للدول التي تعاقبت على حكم هذه المنطقة.

على الرغم من الدراسات و البحوث التي أجريت على المغرب الإسلامي في العصور الوسطى، فإنها تكاد تنحصر في النواحي التاريخية و السياسية و الفنية، دون إعطاء هذا الموضوع حقه من البحث و الدراسة، بطريقة علمية و موضوعية جامعة.

لهذه الأسباب جميعها وقع اختياري على موضوع تطور المحراب في عمارة المغرب الأوسط خلال العصر الإسلامي، و هي فترة طويلة نسبيا تبدأ من بداية ظهور عنصر المحراب في المشرق و المغرب إلى نهاية العصر الزياني بالمغرب.

أولا : أهمية دراسة المحاريب في العمارة الإسلامية:

لعلي لا أبالغ إذا قلت بأن المحاريب في العمارة الإسلامية عامة، تعتبر من بين الموضوعات الهامة، و هذا الموضوع يكتسي طابعا هاما في ميدان الدراسات الأثرية الإسلامية عامة، و المغربية خاصة، ذلك أن دراسة هذا الموضوع دراسة موضوعية يميط اللثام عن جوانب مختلفة من تطور المجتمع الإسلامي في المغرب، و الذي بلـغ مداه في عصر المرابطين و الزيانيين و المرينين و العصر العثماني.

نشأت العمارة الإسلامية كحرفة بسيطة في البناء في أبسط أشكاله، ثم تطورت حتى كوَّنت مجموعة الفنون المعمارية المختلفة. وفن العمارة من أهم مظاهر الحضارة،أنها مرآة تعكس آمال الشعوب وأمانيها، وقدراتها العلمية وذوقها وفلسفتها، ومن الحقائق الثابتة أن العمارة كانت دائمًا الصورة الصادقة لحضارة الإنسان وتطورها وانعكاسًا لمبادئه الروحية على حياته المادية،بما يكتب عليها-أي على العمارة- من كتابات وما ينقش عليها من نقوش.

وقد اشتمل الفن المعماري الإسلامي على عدة أنواعٍ منها: فن عمارة المساجد، وهو أرقى فن معماري عند المسلمين، وقد برع المسلمون في فنون العمارة بكل أشكالها؛ لأنهم فهموا نماذج العمارة في الحضارات السابقة ثم طوروها بما يتناسب مع عقيدتهم ودينهم، ثم أبدعوا بعد ذلك نموذجًا إسلاميًّا خاصًّا بهم.

و سنضرب أمثلة من فن العمارة الإسلامية لبعض العصور الإسلامية حتى نكشف عن مدى محافظة المسلمين على أسس وقواعد البناء الإسلامي.ففي عصر النبوة و الخلفاء الراشدين طبق المسلمون قواعد البناء أروع تطبيق.

فقد بنى النبي صلى الله عليه و سلم (المسجد النبوي بالمدينة، وكان هذا المسجد بسيطًا، بما يتفق مع روح الدين الإسلامي، ومع قواعد وأسس البناء في الإسلام، وكان المسجد مربعًا، وصحنه الأوسط مكشوفًا، لا سقف عليه، أما جوانبه الأربعة فكانت مسقوفة، وكانت المساحة المسقوفة من الحائط المجاور للقبلة أكبر من غيرهـا، وجدير بالذكر الإشارة إلى أهمية وجود الصحن المكشوف في وسط المسجد للإضاءة والتهوية.

وقد تم توسيع المسجد بعد عهد رسول الله (، ففي عهد عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- سنة (17 هـ)، زيد في مساحة المسجد، ونتج عن هذه الزيادة زوال الجدران التي بناها الرسول الكريم ، ماعدا الجـدار الشرقي التي كانت تلتصق به بيوت النبي ، وقد اتبع المسلمون التخطيط الذي وضعه الرسول صلى الله عليـه و سلم لمسجده.

توالت العصور و أنشأت المساجد و اتسمت بسمات فنية معمارية كثيرة منها عنصر المحراب الذي يعتبر مظهرا من مظاهر الحضارة الإسلامية، تجملت به مساجد المشرق و المغرب الإسلامي، فهو من الموضوعات الهامة التي تهم الباحث في الدراسات التاريخية والأثرية، كما يعتبر مصدرا عـلاوة عن ارتباطه بالفنـون الإسلاميـة كالكتابات الأثرية، و تطور الخط العربي. فالكتابات الواردة على المحاريب بما تحويه من آيـات قرآنية وألقـاب و أسماء أو تواريخ أو عبارات قد تؤثر تأثيرا واضحا على تحديد بعض الحقائق التاريخية.

ثانيا: تعريف المحراب لغة و اصطلاحا.

1- **لغـة:** هو عنصر معماري يتواجد في المساجد و الجوامع و الزوايا و المدارس و هو التجويف أو ألحنية الموجودة في جدار القبلة.

أخذت هذه اللفظة من الفعل حرب، ومحراب جمع محاريب ويقال في هذا الصدد: (فلان حرب لفلان، أي استعد له أو بينهما بعد وتباغض).

وذكر ابن منظور: ((أن رجل الحرب شجاع، و محراب شديد الحرب، ومحراب صاحب حرب)).[1]

وذكر أن المحراب هو المكان الذي ينفرد به الملك ويتباعد عن الناس، وقيل أن المحاريب هي صدور المجالس، ومنه سمي محراب المسجد، والمحراب قبلة المسجد، وسمي محرابا لإنفراد الإمام فيه وبعده عن الناس.

ويطلق هذا الاسم على الغرفة وفي هذا الصدد قال وضاح اليمني:

ربة محراب إذا جئتها - لم ألقها أو أرتقي سلما[2].

يعني أن المحراب هو أرفع مكان في الدار و المسجد[3] .

واشتقاق لفظ محراب أخذ من المصدر (محاربة) لأن المصلى عند صلاته يحارب الشيطان ويحارب نفسه بإحضار قلبه[4].

وذكر الزبيري أن المحاريب هي صدور المجالس، وصدر البيت وأكرم موضع فيه[5].

في حين يذكر ابن منظور عن الإمام أبي حنيفة عن أبي عبيدة: أن المحراب أكرم مجالس الملوك وسيدها ومقدمها وأشرفها[6]، وجاء في بيت شعر يتضمن مايلي:

أو دمية المحراب قد لعبت بها - أيدي البناة بزخرف الأتراصي[8]،[7].

وفي هذا البيت يقصد بلفظة محراب الغرفة أو المكان المفضل حيث أحكم الصناع في صناعته وزخرفته.

وجاء في ديوان امرؤ ألقيس بيت شعر يتضمن المعني السابق الذكر للمحراب، فيقــول:

وماذا عليه إن ذكرت أوناسا - كغزلان رمل في محاريب أقيال.[9]،[10].

وذكر ابن منظور عن الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء، قال:

(دخلت محرابا من محاريب حمير، فنفخ في وجهي ريح المسك)، فالمحراب معناه القصر[11]؛ أي أن العرب كانت تسمى القصر محرابا لشرفه ورائحته الطيبة،وجاء في ديوان عمر بن أبي ربيعة هذا البيت:

أو دمية عند راهب ذي اجتهاد - صورها في جانب المحراب[12]

استعمل هذا المعنى قديما في الشعر الجاهلي، و معناه التجويف الذي يوضع فيه التمثال.

ومن خلال هذه النصوص نستخلص أن للمحراب معاني متعددة، و هي:

- ❖ الاستعداد لفعل الشر أو البعد والتباغض.
- ❖ الشجاعة عند المحارب.
- ❖ محاربة الإنسان للشيطان عند القيام بالصلاة.
- ❖ أهمية الموضع في البيت أو المسجد، كما يعني به تحديد اتجاه القبلة عند المصلى.

- ❖ المحراب هو صدر البيت و أكرم موضع فيه و الجمع محاريب و هو أيضا الغرفة.
- ❖ المحراب في اللغة يعني الدخلة أو التجويف في المعابد القديمة، أو الكوة التي توضع فيها الأشياء أو التماثيل.

ومهما اختلفت الآراء، فهي في مجملها تؤدي إلى لفظ واحد وهو المحراب، فأصبحت هذه الكلمة بعد ظهور الإسلام تعني شكلا معماريا في المسجد، يشير إلى اتجاه القبلة واتجاه مكة، وأنه المكان الذي يقف فيه الإمام ليؤم المصلين.

-2 اصطلاحا:

لقد ورد اصطلاح المحراب عند المسلمين في الكتاب والسنة والأمر الذي دفعني إلى البحث والتحري في الآيات والأحاديث التي تشير إلى المحراب لفظا ومعنا لأحدد مفهوم إصلاحه، وبرجوعي إلى المصحف الشريف وجدت للفظة- المحراب- قد وردت في عدة آيات، نذكر منها الآية الكريمة:بعد بسم الله الرحمن الرحيم ((**كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا**))[13].

فالمحراب هنا يعني إما قاعة الاستقبال أو المقصورة أو بيتا خصص لمريم بينما نجد الآية التالية: (**فنادته الملائكة وهو قائم يصلى في المحراب......**)[14]. ،ولفظة محراب في هذه الآية معناها المسجد[15].

وفي سورة مريم عليها السلام قوله تعالى:(**فخرج على قومه من المحراب فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشيا**))[16].

والمحراب في هذه الآية هو المسجد أو المصلى، وتفسير هذه الآية: أن النبي عليه السلام أشرف على قومه من المصلى أو المسجد[17] والمحراب أرفع مكان وأشرف المجالس بحيث كانوا يتخذون المحاريب أرفع من مستوى الأرض، والدليل على ذلك هو محراب داود عليه السلام[18].

وفي سورة سبأ قوله تعالى: ((**يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفاف كالجواب وقدور راسيات**....))[19]. فالمعنى واضح في هذه الآية، وهو أن الجن يعملون لسليمان ما يشاء من محاريب؛ أي قصور ومساجد،ومعناه أيضا المساكن أو البنايات[20].

ونستخلص من هذه الآيات أن المحراب يقصد به الغرفة العالية أو المسجد أو المصلى، وهو شكل معماري اتخذ في الجدار لتحديد اتجاه القبلة.

وقد ورد ذكر المحراب في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، كما يبدو من هذا الحديث: (فقد

أرسل عروة بن مسعود إلى قوم له في الطائف فأتاهم ودخل محرابا له فأشرف عليهم عند الفجر ثم أذن للصلاة) [21] . فالمحراب في الحديث الشريف يقصد به الغرفة العالية التي يصعد إليها بسلم.

و طبقت هذه اللفظة في الإسلام على الموضع الذي كان يصلى فيه الرسول صلى الله عيه وسلم، و مصلاه يبعد عن جدار القبلة بمقدار ثلاث أذرع.[22] محاذيا لجدار القبلة، وهذه المساحة تكفي لركوع وسجود الإمام، وهذا المكان أشرف موضع في المسجد،لأن النبي عليه السلام يقف ويؤم المسلمين في الصلاة.

ويذكر السمهودي: (**أن هناك وزرة رخامية في جدار القبلة مثبت بها وتد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتكئ عليه عند وعظه لرفاقه وللمؤمنين**)[23].

لقد أشار أبو هريرة إلى أنه هناك قطعة حجارة تبين اتجاه القبلة مثبتة في الجدار الشمالي، وعندما حولت القبلة إلى مكة المكرمة حولت تلك الحجارة إلى الجدار الجنوبي[24]، وحسب هذا الحديث الشريف وضعت هذه الحجارة ليتمكن المصلى من تعيين اتجاه القبلة أثناء الصلاة.

وقال الإمام الشيباني في حديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، ((**إذا صلى أحدكم فليجعل تلقاء وجهه شيئا، فإذا لم يجد فلينصب عصا فإذا لم يكن فليحظ خطا ثم لا يضره من مر بين يديه**))[25].

وكان الرسول عليه الصلاة والسلام يتخذ من الصحراء مصلى للمسلمين، مركزا أمامه عند صلاته في الفضاء الحرية[26]أو العنزة[27] سترا له، لتحديد اتجاه القبلة.

وعن ابن مسلم بن السائب عن أنس بن مالك حيث قال :((كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يضع يمينه على العود الموجود داخل المصلى ثم يلتفت إلينا فيقول استووا واعدلوا صفوفكم))[28]. أما وظيفة الوتد فهي لا تختلف عن وظيفة العود أي أنهما مترادفان في استعمالهما ،فكان الرسول صلى الله عليه وسلم متوكئا عليه في محرابه الأول[29]، ومحراب الرسول (صلى الله عليه وسلم) في هذا النص مكان مصلاه.

و ذكر أن قبلة المصلى صندوقا خشبيا بديع الصنعة يعلوه محراب قد أنتج الصناع فيه نتائج مبدعة في صنعة النجارة، والمحراب المذكور شبه باب مقنطر لموضع لطيف على ظهر الصندوق المذكور، يحتوي على كتابة داخلية؛ أي في واجهة الباب، البسملة وآية الكرسي. وعلى ظاهر الباب بعد البسملة الآية الكريمة:((**قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا**))[30]صدق الله العظيم.

وجاء في صحيح البخاري عن سهل بن أبي حثمة أنه قال (إذا صلى أحدكم إلى ستر فليدنوا لا يقطع الشيطان عليه صلاته) [31].

وكان أحب إلى الرسول صلى الله علية و سلم الصلاة إلى جهة الأسطوانة ،قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه مما وصله ابن أبي شيبة:(المصلون أحق بالسواري في التستر بها ،ورأى ابن عمر رجلا يصلي بين أسطوانتين فأدناه أي قربه إلى سارية فقال : صل إليها، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يتحرى الصلاة عند الأسطوانة، لأنها أولى أن تكون سترا له من العنزة[32].

إن لفظة محراب في السنة نعني بها ورودها في الأحاديث النبوية الشريفة، حيث وردت الإشارة إلى مصطلح المحراب في أحاديث كثيرة اكتفيت بذكر البعض منها نظرا للمعنى.

بعد استعراض الأحاديث النبوية الشريفة استخلصنا مايلي :

أنه مهما يكن ومهما اختلفت الآراء، فإن استعمال كلمة محراب بعد ظهور الإسلام تعني شكلا معماريا داخل المسجد لتحديد المكان المميز لاتجاه القبلة.

-3 الأصول المعمارية لنشأة المحراب:

استنادا إلى البيئة التي نشأ فيها الرسول صلى الله عليه وسلم والتي انبعثت منها الرسالة المحمدية، فإن مصدر وأصل المحراب يكون في شبه الجزيرة العربية ويؤكد هذه الظاهرة الدكتور جون سوفاجي[33] J. Sauvaget بقوله :(أن كلمة محراب أخذت من الحبشة ، كما أعتقد أنها مأخوذة من شبه الجزيرة العربية).

وقد وردت اللفظة في كثير من أبيات الشعر العربي المبكر، كما سبقت الإشارة إلى ذالك وجاء ذكرها في آيتين واضحتي المعنى والدلالة ،الأولى في سورة مريم وتمهد لها آيات سبقتها في قوله تعالى : ((**فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا**))[34].فالمعنى واضح في هذه الآية ومدلولها: أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج إلى قومه من المحراب – داعيا إياهم إلى ألإيمان؛ أي من مكان مقدس معد للعبادة والاتصال بالله عز وجل[35]. والثانية قوله تعالى :((**فنادته الملائكة وهو قائم يصلى في المحراب....**))[36].

وتفسيرها أن زكريا عليه السلام كان يناجي ربه في المحراب[37].

لقد سبقت الإشارة إلى أن الرسول صلى الله عليه وسلم اتخذ الحربة والعنزة والوتد أثناء إقامته الصلاة في الصحراء لتحديد اتجاه القبلة، ثم تطورت هذه العلامة لتصبح عبارة عن

محراب مجوف، ويؤكد هذه الحقيقة السمهودي بقوله :(أن الرسول صلى الله عيه وسلم كان يصلى في الكعبة وبينه وبين جدار القبلة ، ثلاث أذرع([38]، فالإمام يحتل ثلاث أذرع على طول جدار القبلة، ويحرم صفا كاملا من المصلين الصلاة داخل المسجد، لذلك الغرض اتخذ المحراب المجوف، مع تنوع أشكاله حسب التطور الزمني.

وفي هذا المضمار نجد جلال الدين السيوطي يقول: (أن أصل المحراب أخذ من مذابح الكنائس المسيحية) ويدعم هذا الرأي المستشرقون الذين جاؤوا بعده، أما الدكتور أحمد فكري فيرى غير ذالك، فقال:(أن المحراب المجوف صغير بحيث يكفي لركوع وسجود الإمام فيه، بينما مذبح الكنائس واسع يسهل على القائم بالشعائر الدينية أن يمشي فيه بسهولة ذهابا وإيابا)[39] والمذبح يرتفع عن أرضية الكنيسة في حين يكون المحراب بمستوى أرضية المسجد، وكذالك ينظر إليه المسيحيون نظرة تقديس وإجلال، بينما المحراب عند المسلمين هو رمز تحديد اتجاه قبلتهم.

أما بالنسبة للقائم بالشعائر المسيحية يقف مواجها للناس، بينما يكون ظهر الإمام أثناء وقوفه في المحراب مواجها للمصلين.

وقيل أن المحراب أخذ من المذابح القبطية وسبب ادعائهم هذا يعود إلى بعض العمال الذين استقدمهم الوليد بن عبد الملك أثناء إعادة بناء مسجد الرسول(صلى الله علية و سلم) كانوا من القبط[40]، وهذا ليس صحيحا أن يتصرف القبط في جدار القبلة والمحراب دون توجيه من المسلمين، بينما يرجع البعض أصل المحراب إلى الهياكل اليهودية، ولكن لو أراد المسلمون اقتباس هذا العنصر فلماذا لم يقتبسوه من الجزيرة العربية، ففي العصر الجاهلي كانوا يعبدون الأصنام والأوثان، وقد وضعت هذه التماثيل داخل تجاويف أطلقوا عليها اسم المحاريب، وظاهرة التجويف الذي كان يوضع فيها التمثال مستمدة من الجزيرة العربية وغيرها من البلاد الأخرى، وهي قريبة الشبه من حيث السعة؛ أي أن المحراب يكفي لركوع وسجود الإمام والتجويف يستوعب قامة تمثال لكنه يختلف عن المحراب، لأن تجويف المحراب يقع بمستوى أرضية المسجد، والتجويف الثاني غالبا ما يكون أعلى من مستوى أرضية المعبد، والفرق الثاني أن شكل تجويف التمثال مستطيلة، بينما أشكال المحاريب متعددة فمنها المسطحة والمجوفة والمستطيلة و المخمسة الأضلاع، هذه الأشكال تدل دلالة قاطعة على أن المحراب يعود الفضل فيه للمسلمين وتفننهم بهذا العنصر المعماري، ثم أن شكل المحراب لم يكن صعب عليهم

ابتكاره ولا هم بحاجة لاقتباسه لكونه شكل بسيط بالنسبة لباقي أجزاء المسجد الأخرى.

كما نجد نظريات متعددة عن نشأة المحراب المجوف، وقد أمدتنا المصادر التاريخية بمعلومات عن إدخال المحراب المجوف، كشكل معماري إلى بناء المسجد.

فالسمهودي في كتابه يقول: (**هناك وزرة رخامية في جدار القبلة مثبتة بها وتد كان الرسول صلى الله عليه وسلم، يتكئ عليه عند وعظه لرفقائه وللمؤمنين**)[41].

لقد أشار أبو هريرة رضي الله عنه إلى أنه كانت هناك قطعة حجارة تبين اتجاه القبلة مثبتة في الجدار الشمالي، وعندما حولت القبلة إلى مكة المكرمة حولت هذه الحجارة إلى الجدار الجنوبي [42] . و الجدير بالذكر أنه ليس من السهل معرفة أين ومتى تم إدخال أول محراب مجوف إلى المسجد.

أجمع المستشرقون على أن المحراب المجوف لم يدخل في المساجد الأولى، وبعض النصوص تشير إلى أن المحراب المجوف أول ما أدخل كان بمسجد الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة ، ويرجع زمنه إلى عمر بن عبد العزيز عندما ولاه الوليد بن عبد الملك على المدينة وقد أمره بهدم المسجد واعدة بنائه[43].

وذكر المقدسي: أن عمر بن عبد العزيز لما وصل إلى جدار القبلة عندما هدمه دعا مشيخة من أهل المدينة من المهاجرين والأنصار، فقال لهم : (**أحضروا بنيان قبلتكم لا تقولوا غيرها عمر، فجعل لا ينزع حجرا إلا ووضع مكانه أخر**)[44].

هذا النص يشير إشارة واضحة إلى أن المحراب المجوف كان موجودا في جدار القبلة قبل بناء عمر بن عبد العزيز المسجد، وهناك إشارة إلى وجود المحراب المجوف في زمن أبي بكر الصديق سنة 11 13-هـ/632 م634- م[45]، فقد وجد في زمن الخليفة عثمان بن عفان سنة 24- 26هـ/644 م – 646 م، وحسب الروايات التاريخية فإن عمر بن عبد العزيز لم يغير قبلة المسجد .

وجاء في رحلة بن بطوطة :أن عثمان بن عفان زاد في مسجد الرسول صلى الله عليه و سلم، وباشر بنفسه الأعمال ووسعه من ثلاث جهات إلا من جهة ألشرق ووضع له محرابا وقيل مروان هو واضع المحراب وقيل عمر بن عبد العزيز[46]. يقع محراب مسجد الرسول في وسط جدار القبلة بل أميل بحوالي 20 ذرعا إلى الشرق.

وذكر بعض المؤرخين أن محراب المسجد الأقصى الذي قام بوضع أسسه عمر بن الخطاب،

وشيد على أنقاضه عبد الملك بن مروان ألبناء الحالي، وهو يقع وسط هضبة صخرية واسعة، ويوجد تحت الصخرة محراب يعرف باسم قبلة الأنبياء[47]. وقد سجل بعض المؤرخين إلى أن قرة بن شريك قد أدخل المحراب في مسجد عمرو بن العاص بالقسطاس سنة80-79هـ/699-698 م [48]، وهناك نص آخر يذكر أنه عندما تولى قرة بن شيك مصر نزل بباب مسجد عمرو وصاحباه، فأتاهم حرس المسجد فقالوا لهم أن هذا مجلس الوالي ولكن في المسجد سعة[49]، يتضح من هذا النص أن القبلة معناها ألمحراب ويشير إلى أن المحراب هو المكان المخصص للإمام، والإمام هنا الوالي فهذه وثيقة تاريخية تشير إلى أن المحراب المجوف استعمل قبل ولاية قرة بن شريك على مصر.

أما بالنسبة إلى محراب مسجد الكوفة، فقد ذكرت فيه عدة روايات أهمها :رواية المسعودي الذي يذكر أنه عندما صرف الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه الوليد بن عقبة بن معيظ والي الكوفة عنها وعين مكانه سعد بن أبي وقاس، وبسبب عزله شرب الخمر مع ندمائه، فلما أذن المؤذن للصلاة تقدم إلى المحراب وهو سكران[50].

وجاء في رحلة أبن جبير عن مسجد الكوفة، أن في قبلته محرابا ملحقا عليه بأعواد الساج، ويرتفع عن صحن البلاط كأنه مسجد صغير وهو محراب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم وجهه[51]، فهاتان الوثيقتان صريحتان تشيران إلى أنه كان في أيام عثمان بن عفان محرابا مجوفا ولكن كان ذالك يحتاج إلى دليل أثري بواسطة الحفر لدعم هذه النصوص التاريخية.

أما ابن بطوطة فذكر أنه في جامع دمشق يوجد على يسار المقصورة محراب الصحابة كما ذكر المؤرخون أنه أول محراب وضع في الإسلام[52]. غير أنهم لم يشيروا إلى الشخص الذي قام بوضعه لمعرفة تاريخه، وهذا فضلا عن أننا لا نعرف شكل هذه المحاريب إن كانت مسطحة أم مجوفة، غير أن هناك أدلة ثانية على المحراب المجوف كان متخذا في مسجد القيروان سنة 50هـ/670 م وفي مسجد عمرو بالفسطاط79-80 هـ/698-699 م، وقد قام الدكتور أحمد فكري بنقيبات فعلية في محراب مسجد القيروان وتوصل إلى وجود المحراب الأصلي الذي وضعه عقبة بن نافع لكنه غطى بالقطع الرخامية التي وضعت في زمن زيارة الله الأغلبي الذي أراد أن يخفي معالم محراب عقبة ،وسبب بقاء المحراب إلى يومنا هذا أن الصحابي عقبة بن نافع وضع أسسه، وقد انتزع الدكتور أحمد فكري من المحراب لوحتين من مكانين مختلفين فظهر له جدار مكسو بطبقة من التراب قاتمة اللون شديدة الرائحة ثم انتزع جزء من الغلاف الجيري فظهر له جدار المحراب المبني بحجارة غير منتظمة وجهات أخرى رصفت بالأجر المنتظم، مما يدل

على قدم البناء ولاحظ الدكتور أحمد فكري انحراف القبلة نحو الغرب بعدة درجات والسبب في ذلك أن عقبة بن نافع وأصحابه لم يكونوا على علم دقيق بتحديد اتجاه القبلة التي حددها عقبة ، ولأن المحراب كان من وضع الصحابي فترك تبركا به[53].

نستنتج من كل هذه النصوص أن رأي الدكتور أحمد فكري هو الأرجح، إذا يرى أن إدخال عنصر المحراب المجوف إلى المسجد هو ضرورة وظيفية، لأن المساجد التي ليس بها محاريب مجوفة يشغل الإمام منها صفا كاملا أثناء الصلاة، وعلى الإمام أن يقف وحده لإمامة المصلين، والمسافة المحصورة بين جدار القبلة والصف الأول من المصلين يمكن استعمالها من قبلهم، وعلى ذالك فإن وجود حنية في المسجد لازمه ضرورية ليشغلها الإمام، وهذه بدورها تجعل كثيرا من المصلين قادرين على تأدية الصلاة في ظلة القبلة بدلا من صلا تهم في الصحن.

إننا نميل إلى رأي الدكتور أحمد فكري ونستخلص أن السبب الوظيفي هو الذي دعا بنائي المساجد في صدر الإسلام إلى استحداث بناء محاريب مجوفة في المساجد، لتحديد اتجاه القبلة، و فكرة المحراب المجوف، - ألحنية النصف دائرية - كانت من أكثر الأشكال المعمارية استعمالا في الزخرفة المعمارية.

و نستخلص من هذا أن شكل المحراب في البداية كان شكلا بسيطا لم يقتبسه المسلمون من الكنائس المسيحية أو المعابد، يتوسط جدار القبلة ، و إن كان محراب المسجد النبوي في المدينة يبتعد عن الوسط الحالي اثني عشرا مترا باتجاه الشرق، وهو يحدد القبلة و يشير إلى اتجاه الكعبة، و يقع عادة في مساجد المغرب بشكل خاص مع المئذنة و المجاز القاطع على محور واحد[54] .

و ليس بالضرورة أن يكون المحراب جنية بل يكفي تعيين موضعه في جدار القبلة، و في بعض المساجد الأولى كان يكتفي بوضع علامة مثل اللواء تعين المكان الذي يقف فيه الإمام، و لم تظهر المحاريب المنحنية إلا خلال عصر الوليد بن عبد الملك، و نماذجها الأولى تشبه في هيئتها المحارة المقلوبة و خاصة في الجزء العلوي من ألحنية في هيئة المحارة بالضبط، و هذا ما نجده في مسجد الأقمر بالقاهرة و، و في مسجد قرطبة ، و هو المحراب الفريد الذي صنع في الزيادة الثالثة للمسجد و قد أمر بها عبد الرحمان الناصر و تمت على يد ابنه الحكم المستنصر ، و الجزء الأعلى من ذلك المحراب قطعة مرمر واحدة في هيئة محارة [55] .

كما يمكن الإشارة إلى المحاريب الركنية التي يقع نصفها في جدار و النصف الثاني في الجدار الملاصق المتعامد مع الأول، و هي ككل المحاريب تحدد اتجاه القبلة و لكنها لم تنشأ في المساجد

لصعوبة وقوف المصلين أمامها، بل أقتصر إنشاؤها على الأضرحة كالمحرابين المقامين في ضريح يحي بن القاسم في الموصل (738هـ/1240م) و ضريح الإمام عون الدين في نفس المدينة (646هـ/1284م).[56] .

لم يكن هذا العنصر معروفا قبل زمن الوليد بن عبد الملك، و هناك العديد من الكتاب الذين يشرون إلى أن المحراب المجوف الذي وجد بالمسجد النبوي بالمدينة، كان من ضمن ما ألحقه عمر بن عبد العزيز على المسجد أثناء بنائه له بصفته واليا على المدينة أيام الوليد بن عبد الملك[57].

و استنتاجا لما ما سبق يمكن ذكر أقدم المحاريب في العالم الإسلامي حسب التسلسل الزمني فيما يلي:

1. محراب المسجد الأقصى الذي وضع أسسه عمر بن الخطاب، ويعرف بقبلة الأنبياء أملس غير مجوف ينسب إلى الوليد بن عبد الملك.
2. محراب مسجد الكوفة، ويرجع تاريخه إلى عهد عثمان بن عفان سنة(26-24هـ/646-644 م).
3. محراب مسجد الرسول صلى الله عليه الصلاة والسلام بالمدينة، وهو الآخر يعود إلى عهد عثمان بن عفان حسب النصوص التاريخية.
4. محراب المسجد الجامع بالقيروان، الذي يعود إلى عهد عقبة بن نافع الفهري سنة (50 هـ/670 م).
5. محراب جامع عمرو بالفسطاط، ويعود إلى عهد قرة بن شريك سنة(80-79هـ/699-680 م).
6. محراب المسجد الأموي بدمشق، ويرجع تاريخه إلى الخليفة الوليد بن عبد الملك سنة (88 96-هـ/714-707 م).
7. محراب مسجد مدينة الإسلام، الذي أسس على يد أبو جعفر المنصور سنة (145هـ/762 م).
8. محراب المسجد الجامع بالأندلس، و أسس على يد عبد الرحمن الأول سنة(170-169هـ/ 785.786م).

-4 وظيفة المحراب:

لقد وردت آراء كثيرة حول وظيفة المحراب، فذكر الدكتور أحمد فكري أن أهم وظيفة للمحراب المجوف هو أنه مكان مخصص لوقوف الإمام أثناء الصلاة، لكي لا يمثل صفا كاملا

ويحرم الكثير من المصلين في داخل قاعة الصلاة مما يضطرهم للصلاة في صحن المسجد، فتواجههم صعوبات الحر والبرد[58]، وقد أيد هذا الرأي العالم سوفاجي[59] (SAUVAGET). أما ابن الحاج فذكر أنه إذا كان المسجد متسعا ولم يضق بالناس فلا يدخل الإمام إلى المحراب، وإذا ضاق بهم فيدخل إلى الضفة المتقدمة، لأنه إذا لم يدخل يحتل بوقوفه خارجا عنه موضعا مبنيا من السجد وهو يسع خلقا كثيرا[60]. ونظرا لتعدد وظيفة المحراب يمكن حصرها في النقاط الآتية:

-1-4 الوظيفة الأولى: تندرج في دخول الإمام فيه، لأن النبي عليه الصلاة والسلام أثناء تأدية الصلاة كان يترك بينه وبين جدار القبلة ثلاث أذرع وأقله ممر شاه، ولهذا اضطر المسلمون إلى ابتكار المحراب المجوف لوقوف الإمام فيه وأبدعوا في أشكاله حسب الأزمنة والعصور.

-2-4 الوظيفة الثانية: تتمثل في تحديد جدار القبلة، فالمصلى يحتوي على أربعة جدران، والكثير من عامة الناس عند دخولهم المسجد لا يعرفون إلى أي جهة يتجهون، ولهذا اتخذ المحراب في جدار القبلة لتميزه عن باقي أجزاء المسجد.

-3-4الوظيفة الثالثة: لتضخيم صوت الإمام أثناء تأدية الصلاة كي يسمعه جميع المصلين، وعلى العموم أن المحراب يتوسط جدار القبلة، لكن هذه الفكرة لم تكن قاعدة ثابتة، ففي بعض المساجد نجد انحراف المحراب عن وسط الجدار، كما هو الحال في محراب المسجد النبوي بالمدينة، ومحراب المسجد الجامع بقرطبة-الأندلس-، ومحراب مسجد تنس بالمغرب الأوسط، وجعلت لهذه المحاريب تغطية ذات سقوف مقعرة لنقل الصدى إلى قاعة الصلاة، ومعظم هذه المساجد كانت تكتفي بمحراب واحد.

كما تعدد المحاريب في بعض المساجد الأخرى ، هذا ما نلاحظه في جدار القبلة لدير سانت كـاترين الذي أنشأه أبو جعفر في العصر الفاطمي مابين سنة(433-429هـ/-1037-1041م) عندما كان واليا على الشام من قبل المنتصر بالله، إذ نجد في قبلة هذا الدير ثلاثة محاريب[61]وتعددت في المسجد النبوي الشريف ومسجد عمرو، ومسجد ابن طولون، والجامع الأموي بدمشق، والمسجد الأقصى، وقد أشار الدكتور أحمد فكري إلى الغرض من تعددها، فهي عناصر للزخرفة فقط لا شيء أخر[62]، هنا يبدو أن رأي الدكتور أحمد فكري صائب في هذا المجال، لكون المحاريب المتعددة في المصلى الواحد لا يستعمل منه إلا واحد والبقية لا يمكن استعمالها، لأن إماما واحدا يؤم المصلين الذين لا يحتاجون إلا إمام واحد، وعليه لا يمكن أن يقف إمام ثان .كما استعمل المحراب في الصحن في حالة الحر، فالإمام يقف في المحراب المتواجد في الصحن تفاديا للحرارة الناتجة عن اكتظاظ ألمصلين ، كما نجد أمثلة واضحة في وجود المحراب

في الصحن في مساجد العراق، وخير مثال على ذالك جامع البنوري الذي احتوى على محرابين: الأول في المصلى والثاني في الرواق.

و الملاحظ أن هذه الظاهرة قد انتشرت في بلاد المغرب، وخاصة بالجزائر متمثلة في المسجد الجامع بتلمسان، والمسجد الكبير بالجزائر العاصمة.

5- علاقة المحراب بتحديد اتجاه القبلة:

قبل التعرض لتحديد اتجاه القبلة وعلاقتها بالمحراب، وكذالك الجهود التي بذلها المسلمون من أجل ذالك، يجدر بنا تعريف القبلة لغة واصطلاحا:

5-1- القبـلة لغـة: هي الجهة « أي قابل قبلة» حيث يقال « ما لهذا الأمر قبلة».

5--2اصطلاحــا: هي الكعبة التي نستقبلها في صلاتنا [63]. لقوله تعالى:(**قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِـمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ**) [64].

لقد أجمع الأئمة على أن استقبال القبلة شرط صحة الصلاة على من تعذر عليه كالحرب أو عند تنقل المسافرين للضرورة، مع كونه مأمورا باستقبال القبلة حالة التوجه في تكبيرة الإحرام، فلو اجتهد في تحري القبلة ثم تبين له أنه غيرها فلا حرج عليه.

وعندما نزلت الآية الكريمة في قوله تعالى:((**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّه هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**))[65]. لم يكن المسجد الأقصى و لا القدس في يد المسلمين و كذا الأمر حينما كان رسول الله صلى الله عليه و سلم و المسلمون يتجهون إلى في صلاتهم إلى بيت المقدس، و في هذا الصدد نزلت الآية الكريمة لقوله تعالى:

((**إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي**))[66]. و نزل قوله تعالى: (**وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**)) وتم هذا بعد هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة وقد أمره الله عز وجل مع أصحابه أن يصلى نحو صخرة بيت المقدس ليكون أقرب إلى تصديق اليهود له إذا صلى إلى قبلتهم،وعلى الأساس نزلت الآية السابقة الذكر،فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هؤلاء يهود يستقبلون بيتا من بيوت الله، فاستقبله عليه الصلاة والسلام مع أصحابه،فصلوا ببيت المقدس سبعة عشرا شهرا وقد

صلت الأنصار قبله ستين يوما،وكانت الكعبة أحب القبلتين إلى رسول الله عليه الصلاة والسلام.

وقد اختلفوا في السبب الذي كان الرسول(صلى الله عليه و سلم) من أجله يكره قبلة بيت المقدس ويهوى قبلة الكعبة،وكانت عمارة البيت بأمر من الله عز وجل لنبيه داود عليه السلام أن يعمره وقدره الله تعالى على يد سيدنا سليمان بن داود عليهما السلام،فهو الذي عمر بيت المقدس،ولم يبعث الله عز وجل نبيا إلا وجعل قبلته صخرة بيت المقدس[67].

ولما استقبل النبي عليه الصلاة والسلام بيت المقدس بلغه أن اليهود تقول:(والله ما درى محمد وأصحابه أين قبلتهم حتى هديناهم)[68].

يتبين من هذا النص من أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يريد الانصراف عن التوجه إلى بيت المقدس بسبب إدعاءات اليهود،ولذالك مافتئ يتطلع إلى الكعبة الشريفة ويسأل جبريل عليه السلام لو أن الله عز وجل صرفه عن قبلة اليهود إلى غيرها، فنزلت الآية الكريمة من سورة البقرة السابقة الذكر.

ولما حان وقت الصلاة أي صلاة الظهر، صلى الرسول عليه الصلاة والسلام ركعتين من الظهر في مسجده بالمسلمين، ثم أمر أن يتوجه إلى المسجد الحرام، فاستدار واستدارت معه جموع المسلمين [69] .

لقد أثار تحويل اتجاه القبلة من القدس إلى الكعبة انتباه مشركي قريش الذين يؤولون هذا الحديث تأويلات تخدم إدعاءاتهم وتظاهر الرسول عليه الصلاة والسلام بمظهر الحنين إلى موطنه[70].كما عبر القرآن الكريم عن ذالك تعبيرا صادقا حيث يقول سبحانه وتعــالى: ((**سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلاَّهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ**))[71].

وقد عمد الرسول عليه الصلاة السلام في الصحراء التي كانت مصلى إلى اتخاذ الحرية أو العبرة كعلامة أو رمز لتحديد اتجاه القبلة،وقد جعل ذلك حتى في صلاة العيدين،وفي حديث روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال (إذا صلى أحدكم فليجعل تلقاء وجهه شيئا فإن لم يجد فلينصب عصا، فإن لم يكن فليخط خطا ثم لا يضره من مر بين يديه)[72].

ومنذ ذالك الوقت صار المسلمون في كل أنحاء العالم يتوجهون إلى القبلة التي اختارها الله لنبيه والمسلمين عامة، وهي مكة المكرمة، ويقفون في صفوف منظمة، وفي وقت واحد وإلى نقطة محددة وهي اتجاه القبـلة.

ثم تطور مفهوم القبلة عند المسلمين عبر فترات التاريخ الإسلامي حيث أصبح يعني من الناحية الجغرافية مركز مكة على الخريطة، ولذالك تجد للمواقع الجغرافية دورا كبيرا في اختلاف اتجاهات القبلة،فعلى سبيل المثال نجد بلاد مصر والشام وفلسطين يكون اتجاه القبلة فيها نحو الجنوب،أما بالنسبة لبلاد المغرب فهي الشرق، ولدالك وقعت أخطاء بالقيروان[73]، ومحراب مسجد تنس بالمغرب الأوسط ومحراب المسجد الجامع بقرطبة

إن موضوع تحديد اتجاه القبلة يجرنا إلى البحث في جهود علماء المسلمين لحل هذه الإشكالية اعتمادا على علم الفلك وحساب المثلثات والمساحة،ومما ساعد على الاهتمام بعلم الفلك ورود آيات قرآنية تشير إلى الظواهر الفلكية منها قوله تعالى ((**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**))[74]. وقوله تعالـى ((**لا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِـي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ**))[75].وقال العالم تانون (TANON) (يعتبر علم الفلك من أنبل العلوم يفيد في الأمور الدينية والشرعية)[76].ولم يكتف العرب بالدراسات الفلكية لحل هذه المشكلة بل اعتمدوا على حساب المثلثات وبرعوا فيه حتى أصبح علما قائما بذاته،فاستنبطوا الظل والظل التماس وهو ما يعرف اليوم بالمماس، وعن طريق حساب المساحة توصلوا إلى تحديد اتجاه القبلة،فهي تتمثل في (**أنلام**)[77]، وهي نظرية بطليموس ونظرية ميتا لا رؤوس حول رباعي الأضلاع الكروي، وكذالك حساب المثلثات،كما استعملوا صيغا عير مباشرة توافق الصيغة المستعملة اليوم،وهي:

$$\textbf{تظل}-1 \quad \frac{\text{جيب هـ تجيب}\quad\text{(طا) جيب}\triangle\text{ ظل هـ}}{\text{جيب}\quad\text{ط}\quad\triangle}$$

ولحساب سمة القبلة في مختلف المدن الإسلامية ينبغي معرفة كل المعلومات الجغرافية؛ أي هيئات وخط الطول بها لقياس كل العناصر، وهذه العملية طويلة ودقيقة لا داعي للعمل بها لان في أيامنا هذه يمكن أن نجد القيم في القواميس الجغرافية ونجد عدد كبيرا، في كتاب مناخ الجزائر للكتاب سلتنزر([78] SELTZR ، وعند القيام بهذه المقاييس يجب الأخذ بعين الاعتبار أصل خطوط الطول والعرض وخط التنصيف الذي هو حاجز في البداية على ممر الزمن.

والشكل يتلخص في حساب سمت اتجاه معين بواسطة نقطتين يعرف مركزهما الجغرافي إنه مشكل حساب المثلثات الكروية، ولحل هذا المشكل يجب العمل بدقة كبيرة كما يجب الأخذ بعين الاعتبار الرموز المستعملة للنقاط في غرب خط التنصيف الأصلي، وهذه الصيغة استعملت لحساب سمت مكة وكل المدن الموجودة في الآتي:

هذه الحسابات تقام بواسطة جداول القيم الطبيعية للعلاقات لحساب المثلثات وآلة الحساب، ويمكن استبدال هذه الآلة بمسطرة الحسابات أو جهاز طوبوغرافي تفاديا للوقوع في أخطاء[79]، وعلى سبيل المثال يمكن أن نعطي سمت مدينة الجزائر ومكة في الجدول رقم 01:

	الجزائر	مكة
هيئتها	46، ° 36 شمالاً	28، ° 21 شمالاً
خط الطول	3، ° 3 شرقاً	15، ° 40 شرقاً

جدول رقم 01:يبين سمت مدينة الجزائر.

وبواسطة هذه الجداول يمكن أن نعطي رسما بيانيا نبرز فيه خط الطول والعرض، وخط التنصيف **(شكل رقم 1:)**[80]

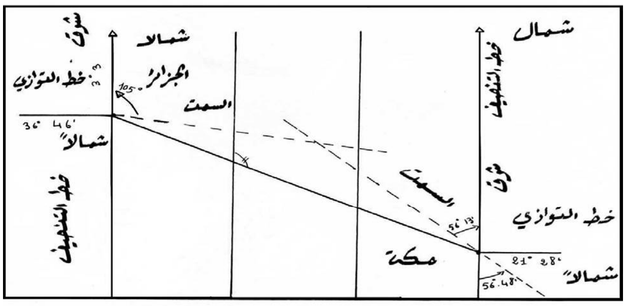

كما يمكن إعطاء حسابات سمت بعض المدن في الجدول رقم [81]:02

المدينة	الدرجة	المسافة
المدينة- مكة	0°ر2،	قرطبة، خط الطول يساويها
القيروان- مكة	6°ر40،	بعيدة، خطوط الطول والعرض مختلفة
الجزائر- مكة	9°	بعيدة، خطوط الطول والعرض مختلفة
تلمسان- مكة	9°ر23،	أكثر بعدا، خطوط الطول والعرض مختلفة

قرطبة- مكة	،23ر11°	بعيدة ، خطوط الطول والعرض مختلفة بنسبة كبيرة

جدول رقم 02 : حسابات سمت بعض المدن.

والعمل الثاني إذا تقدمت هذه الشروط لا بد من التنقل إلى عين المكان لأخذ القياسات أو استعمال مخطط المبنى في حالة وجوده، فإذا كنا في عين المكان نقوم بقياس الاتجاه بواسطة بوصلة، وإن لم يوجد على مقربة منا تأثير مغناطيسي، أو كتلة معدنية أو خطوط كهربائية، وهنا يجب الآخذ بعين الاعتبار قيمة الميل وأيضا يمكننا القيام بعملية طبوغرافية، وإذا وجد مخطط المسجد يمكننا قياس الخط الباني للسمت في حالة ما إذا كان المخطط موجها نحو الشمال، ولكن مع الأسف يهمل المخططون في أغلب الأحيان هذه التفاصيل المهمة، وأحيانا أخرى يقتصرون بتوجيه مخططاتهم بسم قصير غير دقيق في تعيين الاتجاه، وفي جدول المقارنة الآتي نبرز ظاهرة اختلاف النسب لتحديد اتجاه القبلة والاتجاه المحقق حسب البعد والترتيب التاريخي، الذي يتمثل في تاريخ البناء،لأن الجدران السميكة الداخلية هي التي تعين في معظم الأحيان اتجاه القبلة، حيث نوضح هذه الظاهرة في جدول رقم 03 الخاص بالمقارنة.

اسم الأثر	السمت			
	تاريخ الأثر	المحقق	النظري	اختلاف
المسجد الجامع بالقيروان[1].	50-55هـ/670-674م	146°	110،21°	+36°
المسجد الجامع بقرطبة[2].	169-170هـ/785-786م	154°	99،52°	+45°
الجامع بالجزائر.أخذت المقاييس بالبوصلة	491هـ/1097م	169°	104،59°	+58°
المسجد الجامع بتلمسان[3]	539هـ/1136م	151°	99،6°	+52°
مسجد سيدي بلحسن.أخذت المقايس بالبوصلة	696هـ/1296م	143°	99،6°	+44°
مسجد سيدي أبي مدين المقاييس بالبوصلة	740هـ/1339م	151°	99،6°	+52°
مسجد سيدي الحلوى	753هـ/ 1353 م	135°	99،6°	+36°
مسجد سيدي إبراهيم		143°	99،6°	+44°

جدول رقم 03: يبين اختلاف النسب لتحديد اتجاه القبلة

هذه المقاييس يمكن أن نوضحها بواسطة رسم بياني يحدد الاتجاه ونسبة درجات الاختلاف، فمثلا في مدينة الجزائر وخاصة في ساحة الشهداء، نجد اختلافا واضحا بين الجامع الجديد وجامع كتشاوة في اتجاهاتهما بنسبة 50 درجة على عكس ما يمكن اعتقاده أن الكاتدرال التي

أنشئت في نفس موقع المسجد عام 1794م ذات توجيه صحيح، سنعطي رسم بياني يوضح الاختلافات بين اتجاهات القبلة واتجاهات بعض المساجد لمدينة تلمسان والجزائر، وهذه الاختلافات تقدر بحوالي 33° درجة لتلمسان ،أي أن المسجد الجامع خطأ(+25°)[82] ،

أما إذا تطرقنا إلى أهل مصر والإسكندرية وبلاد الصعيد وأسفل الأرض وبرقة وإفريقية وطرابلس والمغرب وصقلية والأندلس وسواحل المغرب إلى السوس الأقصى والبحر المحيط وما على سمت هذه البلاد ، يستقبلون في صلاتهم من الكعبة ما بين الركن الغربي إلى الميزاب[83]،فمن أرد أن يستقبل الكعبة في هذه البلاد فليجعل الشمس إذا غربت خلف كتفه الأيسر وإذا طلعت على صدغه الأيسر، ويكون الجدي حذو أذنه اليسرى،ومشرق الشمس تلقاء وجهه أو ريح الشمال خلف أذنه اليسرى أو ريح الظهر-الدبر- خلف كتفه الأيمن، أو ريح الجنوب التي تهب من ناحية الصعيد على عينه اليمنى،فإنه حينئذ يستقبل من الكعبة سمت محاريب الصحابة الذي أمرنا الله عز وجل بإتباع سبيلهم ،ونهانا عن مخالفتهم[84].

إن المسلمين قد جعلوا لكل بلد مسلم كيفية تحديد اتجاه القبلة حسب موقعه من مكة المكرمة.

6- المحراب و عناصره المعمارية في المشرق و المغرب

6-1- المحراب في العصر الأموي.

انبثق الدين الإسلامي في الجزيرة العربية ببعثة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام وأخذ ينتشر فيها، و استطاع الرسول صلى الله عليه وسلم أن يكون نواة لدولة إسلامية كبيرة بالمدينة المنورة ،وبعد أن استقر العرب في مختلف البلاد الإسلامية التي فتحوها وجعلوها تعتنق الدين الإسلامي،نشطوا في الفتح الثاني وهو الفتح العلمي والصناعي.

ولقد اندمج العرب مع أهل البلاد المفتوحة وشاركوهم في الصناعة والزراعة العمارة وغيرها، فالحضارة الإسلامية لم تظهر فجأة بل أن العرب اقتبسوا واشتقوا من الحضارات السابقة فأضافوا إليها الكثير واخترعوا ما لم تعرفه الحضارات.

فالفن المعماري الإسلامي وجد أسسه في شعوب العربية و البلاد المفتوحة. وهناك عوامل تأثرت بها العمارة الإسلامية، منها العوامل الروحية والمعنوية والمادية.وأهم العوامل الروحية هو العامل الديني و ألمعتقدات ، ذلك أن التقاليد والطقوس الدينية تتطلب أشكالا وأنواعا خاصة من العمارة تلائم أهدافها وتحقق أغراضها، بل أن الدين قد يستخدم العمارة والفنون

للتأثير على الناس، أو يستخدمه هؤلاء للتعبير على شعورهم نحو دينهم ، فلهذا نجد منذ أول الأمر أن الإسلام ارتبط أشد الارتباط بالدين، إذا أن الفن ولد لخدمة الدين وشق الدين الإسلامي مجرى جديدا في تاريخ الحضارة البشرية، وكان لابد لأجهزة الحضارة أن تقوم بسد حاجة ذلك الدين من نواحي مختلفة.

هذا الفن مع بداية الدعوة الإسلامية وأخذ ينمو بفضل رسوخ تعاليم الإسلام وتقاليده ووضوح أهدافه. ومهما يكن من أمر فإن منطق الحضارات البشرية منذ فجر الإنسان على الأرض، لا يترك مجالا للشك في أن العرب في تلك الحقبة كانت عندهم إحساسات فنية، لابد أن تكون قد تأثرت بطريقة ما في تطور الفن العربي في البلاد الإسلامية ،منذ أن بدأ العرب فتوحاتهم ونجحوا في تكوين إمبراطورية عظيمة من تلك الأقطار التي كانت معروفة لديهم في تلك الأوقات. فمن الملاحظ أن الفنون العربية، أخذت تتكون ولها طابع خاص واضح منذ اللحظات الأولى في العصر الإسلامي في بلاد المغرب والأقطار التي دخلوها ونشروا فها الإسلام وسارت في طريق التطور الذي اختطته لنفسها مثل غيرها من الطرز.

والعمارة الإسلامية وضعت أسسها على قواعد إسلامية عربية خالصة، ولم تتأثر بالفنون الأخرى التي كانت سائدة في تلك المنطقة،إلا بما وافق طبيعة التقاليد العربية الإسلامية الجديدة فلم يأخذ الفن الإسلامي إلا العناصر والوحدات المعمارية الزخرفية التي تصلح لأغراضه، لا كنه مع ذلك يأخذها كما هي إلا في أحوال قليلة.

فإن الفنانين العرب والمسلمين كانوا يعالجونها إما بطريقة خاصة جعلت لها ملامح عربية إسلامية.أو يدخلونها مع عناصر ووحدات أخرى ضمن تكوينات صيغت ضمن قالب وذوق عربي إسلامي. ثم أخذت جميع تلك العناصر والوحدات تتطور مع الوقت، وتكتسب الطابع الإسلامي الذي يبعدها عن المصادر الأصلية التي جاءت منها، حتى ضاعت الصلة بينها وخاصة بعد اندمجت مع العناصر والوحدات التي ابتكرها الفنانون العرب والمسلمون مع مرور الوقت.

لقد تعددت الأساليب الفنية بالنسبة للفن الإسلامي بانقسام وحدة المسلمين، فحدث تنافس شديد كان عاملا على انتشار الفن الإسلامي ،ونشأت العمارة الإسلامية أو ما نشأت في المدينة المنورة عندما اختطت أول بيت للصلاة وأول مسجد جامع للمسلمين. وظهر في تاريخ العمارة من هذا المسجد البسيط نظام تخطيطي لبناء جديد، له اليوم شأن عظيم في صرح الآثار، وبنيت أغلب المساجد فيما بعد على هذا النموذج مع بعض الإضافات التي صاحبت تطور المعمار الإسلامي من بناء وزخرفة وكسوة الجدران بالرخام والفسيفساء والكتابات، فمسجد

الرسول صلى الله عليه وسلم استمد ميزاته من خصائص البيئة المحيطة به وأحوال سكانها.

-6-1-1 مسجد المدينة المنورة:

بدأت بشائر هذا الحديث المعماري عندما خطط الرسول صلى الله عليه وسلم في السنة الأولى من الهجرة النبوية الشريفة، بعد أن نجح الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه في الوصول إلى يثرب التي أطلق عليها اسم المدينة المنورة لينتها من اضطهاد قريش،فنصره أهلها فأتخذ منها قاعدة لنشر دعوته على أوسع نطاق، ولتجميع قوى المسلمين وإعدادهم للوقوف أمام الكفار.

-6-1-1-1 تخطيط مسجد المدينة المنورة.

ظهر هذا الحديث المعماري عندما خطط الرسول عليه الصلاة والسلام دارا لنفسه ولآل بيته[85]، بعدما اشترى قطعة أرض من غلامين يتيمين هما سهل وسهيل، فسويت الأرض ووضع تصميم المسجد، وجهزت مواد البناء واستعملت لحجر لبناء أساسات المسجد وحجرات زوجات الرسول عليه الصلاة والسلام، وكان أسلوب بناء المسجد وظلته بسيطا لا تأنق فيه، استخدمت فيه جذوع النخيل للأعمدة والدعامات وفروعه وسعفه للتسقيف، واستعمل اللبن لبناء الجدران[86]. ثم دخل التخطيط في طور جديد بعد أن تلقى الرسول صلى الله عليه وسلم من السنة الثانية للهجرة الأمر من ربه باتخاذ الكعبة قبلة يتجه إليها مع المسلمين في صلاتهم. فأضاف ظلة ثانية جهة الجنوب وجعل في وسط جدارها الجنوبي علامة تعيين القبلة. واستعملت الظلة السابقة لإيواء الصحابة رضوان الله عليهم (**مخطط رقم : 01**).

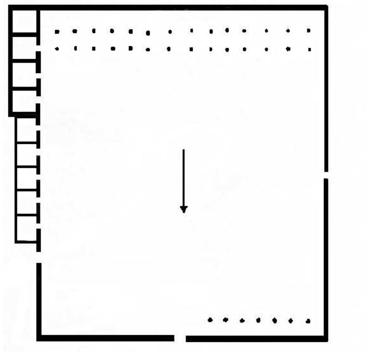

مخطط رقم : 01.مسقط أفقي يبين مسجد المدينة أيام الرسول صلى الله عليه و سلم .مقياس الرسم 10 / 1

هذا المسجد عبارة عن شبه مربع مساحته 70×70ذراع[87] ، لكن هناك شبه إجماع على أن

مساحة المسجد 100×100ذراع ،لم يزود بمحراب في عد الرسول صلى الله عليه وسلم،ثم زاد عمر بن الخطاب في مساحته سنة 17هـ/670م[88]،كما انتهز الفرصة وزاد في عمق ظلة القبلة، وبهذه الزيادات لم يبق من الجدران الأصلية التي شيدت في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم،سوى الجدار الشرقي الذي تلتصق به حجرات آل الرسول[89] ومن المحتمل أن تكون تلك الضلات الثلاثة قد جددت أو أضيفت كلها أو بعضها في العمارة التي بدأها عثمان بن عفان لتوسيع المسجد للمرة الثانية في عام 24هـ/644م[90]. (**مخطط رقم : 02**)، وبذلك تكامل الشكل النهائي لتخطيط أول مسجد بالمدينة.

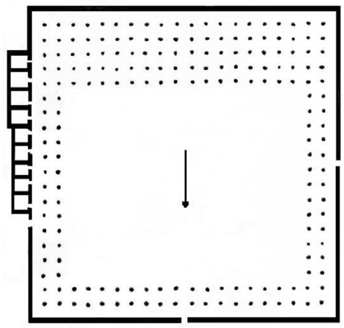

مخطط رقم : 02.مسقط أفقي لمسجد المدينة أيام عثمان بن عفان. مقياس الرسم : 10 /1 .

ومنذ ذالك الوقت صار نموذجا يقتدي به المسلمون في تخطيط مساجدهم في العالم الإسلامي من المشرق إلى المغرب. ومنذ هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم حتى العصور الأخيرة، لا تزال تبنى عليه المساجد مع بعض التغير في النسب وأحجام الظلات وطرق التسقيف وأساليب البناء حسب التطور الزمني ووجود مواد الخام للبناء، مع الاحتفاظ بالفكرة الرئيسية في التخطيط ، بحيث كان يتكون مسقط المسجد دائما من صحن أوسط مكشوف وظلات تحيط به من الجوانب الأربعة أكبرها ظلة القبلة و الظلتين ألجانبيتين ويكتفي بظلة القبلة فقط.

-2-1-1-6 محراب مسجد المدينة المنورة :

الجدير بالذكر أن مسجد الرسول عليه الصلاة والسلام لم يزود بمحراب مجوف بل اتخذت الحربة أو العنزة والوتد كعلامة أو رمز لتحديد اتجاه القبلة كما سبق وأن أشرنا،في حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال((إذا صلى أحدكم فليجعل تلقاء وجهه شيئا فإذا لم يجد فلينصب عصا، فإن لم يكن فليخط خطا فلا يضره من مر بين يديه))[91]

ومنذ ذلك الوقت صار المسلمون يتجهون إلى القبلة التي اختارها الله لنبيه والمسلمين عامة

وهي مكة المكرمة، وقد تطورت هذه العلامة لتصبح عبارة عن محراب مجوف في جدار القبلة، وقد تنوعت أشكاله حسب التطور الزمني، ويذكر السمهودي في كتابه أن هناك وزدة رخامية في جدار القبلة مثبت بها وتد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يتكئ عليه حين إلقائه الخطبة[92]. وذكر أبو هريرة رضي الله عنه أن هناك قطعة حجارة تبين اتجاه القبلة مثبتة في الجدار الشمالي، وعندما حولت القبلة إلى مكة المكرمة حولت هذه الحجارة إلى الجدر الجنوبي[93].

ليس من السهل معرفة متى تم إدخال أول محراب مجوف إلى مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم، فالبعض يرى أن ذلك حدث في عهد أبي بكر الصديق سنة 13-11هـ/634-632م، وآخرون ينسبونه إلى عثمان بن عفان سنة24هـ/644م[94].

بينما يرى البعض الآخر أنه يعود أنه يعود إلى زمن معاوية بن أبي سفيان هو أول من أدخل المحراب المجوف إلى مسجد الرسول[95]صلى الله عليه وسلم، غير أن هناك شبه إجماع من الرواة والمؤرخين الأوائل في الإسلام أن الوليد بن عبد الملك كان أول من أدخل المحراب المجوف عندما أمره واليه على المدينة-عمر بن عبد العزيز- بإعادة تجديد بناء مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة سنة86هـ/705م.

ولما وصل إلى جدار القبلة دعا مشيحة من أهل البلاد من قريش والأنصار من العرب والموالي.فقال لهم:أحضروا بنيان قبلتكم لا تقولوا غيرها عمر، فجعل لا ينزع حجرا إلا ووضع مكانه آخر[96].

نستخلص من كل ما سبق أن عرب الحجاز قد بدؤوا فتوحاتهم الأولى في عصر الخلفاء الراشدين، وقد تبلورت في أذهانهم أهداف وأركان الدين الإسلامي،الذي آمنوا به واتضحت أمامهم المطالب والاحتياجات الروحية والمادية اللازمة له. ومن ثم أخذوا يبتكرون ويقتبسون كل ما يمكنهم من الوسائل التي تساعدهم على تلبية كل ذلك،ومنذ ظهور النبي عليه الصلاة والسلام وقيامه ببث الدعوة الإسلامية، وعلى انتشار هذا الدين في منطقة كبيرة من العالم، فإن ما أحدثه محمد بما أتى به من عقيدة دينية وتعاليم يدعوا بها الناس إلى عبادة الله وحده لا شريك له،وإلى خلق كريم قويم راشدا إياهم إلى ما فيه خير وصلاح البشرية، كل ذلك بعد نقطة تحول هامة في مجرى حضارات العالم.

واتسع مجال الاحتكاك بين عرب الحجاز والحضارات الأخرى منذ أن جد المسلمون في فتوحاتهم في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وخليفته عمر بن الخطاب وتولى عثمان بن عفان الخلافة بعده وواصل العرب والمسلمون الفتح في مناطق هامة في شمال شرقي الجزيرة

العربية وفي الشمال الشمالي الغربي منها، فاستولوا على عدة مدن.و ليس من شك في أنهم أصبحوا متصلين بالطرز الرئيسية للعمارة والفنون التي كانت مزدهرة في تلك البلاد في ذلك الوقت.

بادر هؤلاء العرب المسلمون بمجرد إتمام الفتح بتخطيط المدن والمساجد الجامعة. ومما يجدر ذكره أن هذا الفن الجديد جاء مع بداية الدعوة الإسلامية وأخذ مكانه بين الفنون المعروفة،وكل ذلك قد ساعد على تبلور مطالبه من ناحية العمارة، ومن ثم فقد وضعت أسسها على قواعد إسلامية عربية خالصة ولم تتأثر بالعمارة والفنون الأخرى التي كانت سائدة إلا بما وافق طبيعة التقاليد العربية الإسلامية الجديدة، فلم يأخذ الفن الإسلامي إلا العناصر والوحدات المعمارية و الزخرفية التي تصلح لخدمة أغراض الدين، ومن العوامل المؤثرة على تطور الفنون المعمارية والروحية والمعنوية والمادية، والعامل الجغرافي والجيولوجي، التأثر الديني على المسجد النبوي بالمدينة وتخطيطه يتمثل في الصحن و الظلات التي ظهرت في المساجد المبكرة.

كانت البساطة في أداء فرائض الإسلام عاملا أساسيا في وضع تخطيط سهل لا تعقيد فيه ولا تكليف في توزيع وحداته أو في أسلوب بنائه، وكان ذلك المسجد النبوي أول نواه لبناء المساجد في جميع الأمصار وفي كافة العصور، ولم يتطلب الدين الحنيف أكثر من جدران تقام بأي مواد للبناء لتحديد محيط المسجد وتحفظ حرمته من سقف وظلة أو أكثر يحتمي بها المسلمون أثناء صلاتهم. و المسجد النبوي بالمدينة وضعت خطوطه الأول في السنة الأولى من السنة الهجرية وحدثت الخطوة الثانية في السنة التالية بعد الهجرة سنة 24 هـ/644م و ذلك عندما تمت الزيادة التي أضافها عثمان بن عفان لتوسيع المسجد، وأكثر الظن أنه أصبح متكاملا والنموذج الرئيسي الذي شيدت على غراره المساجد الجامعة في بلاد المسلمين وحسب رواية البلاذري الذي يقول ((أنه في ذلك الوقت كتب الخليفة الوليد إلى عمر بن عبد العزيز عامله على المدينة المنورة يأمره بهدم المسجد وبنائه،وبعث إليه بمال وفسيفساء ورخام ثمين وصناعا من الروم والقبط من أهل الشام ومصر وولي القيام بأمره في سنة87هـ/705م))[97].

ويذكر أحمد فكري عن السمهودي((أن عمر بن عبد العزيز لما وصل إلى جدار القبلة دعا مشيحة من أهل البلاد من قريش والأنصار من العرب والموالى ،فقال لهم:أحضروا بنيات قبلتكم لا تقولوا غيرها عمر فجعل لا ينزع حجرا إلا ووضع مكانه أخر))[98].

واستنتاجا لما سبق أن المحراب المجوف كان معروفا بمسجد الرسول عليه الصلاة والسلام قبل

تحديد المسجد على يد عمر بن عبد العزيز 87هـ/705م.كما أعلم الوليد ملك الروم بأنه قد أصدر أمرا بالبحث عن الفسيفساء في الأماكن المندثرة وإرسالها إلى عمر بن عبد العزيز[99] بالمدينة المنورة،ويشير المقدسي قائلا:((كتب الوليد إلى ملك الروم أنا أريد أن يعمر مسجد نبينا الأعظم فأعني فيه بضائع وفسيفساء))[100] ، وبناء على ذلك فإنه بعث إليه بأحمال وبضعة وعشرين صانعا،وهذا يوضح لنا أن مسجد الرسول قد كسيت جدرانه بالفسيفساء والذهب، وهذا هو الحال في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ،الذي أنشأت على غراره مساجد الإسلام واشتقت نظامها ومظهرها من نظامه ،كما يتضح من مسجد القيروان المعاصر له، فبيت الصلاة في كليهما يرتسم في الفضاء بالشكل الذي ترتسم به الصفوف ممتدة متوازية ومتساوية،ولم يخضع بناء هذا المسجد في تخطيطه إلا لما تطلبه حاجة المصلين تبعا لشريعة دينهم وسنة رسولهم .وبني بالحجارة النظام الذي أقام عليه الرسول مسجده بجذوع النخيل، هذا الذي أقيم على هذا النمط سوف نتطرق إلى محرابه بالتفصيل، وهو النموذج الثاني بعد محراب مسجد الرسول.

6-1-2- محراب المسجد الجامع بالقيروان:

6-1-2-1- المحراب من الداخل

6-1-2-1-1- التخطيط

محراب المسجد الجامع بالقيروان عبارة عن كوة في جدار القبلة، يرجع تاريخها إلى أيام الفاتح عقبة بن نافع الفهري سنة50هـ/670 م، ومنذ ذلك الوقت أصبحت قبلة الجامع مكان إجلال وتقديس، دون إحداث أي تغيير أو تعديل في تجاهه عبر العصور.

وأثناء الزيادة المتتالية التي أجريت على الجامع عامة وبيت الصلاة خاصة لم يتغير وضع القبلة ولم يهدم جدار المحراب،على الرغم منة انحراف القبلة عن الوضع الصحيح[101] وبقي على حاله إلى يومنا هذا، لأنه وضع على يد مؤسسه الأول سنة84هـ/703م، غير أن حسان بن النعمان الغساني هدم المسجد من أجل الزيادة ماعدا جدار القبلة، ونصب في محرابه ساريتين موشيتين بصفرة نقلتا من أنقاض كنيسة[102]، وأحتفظ بالمحراب كما هو، وتمت الزيادة في الجهة الشمالية المقابلة للمحراب تجنبا لتغيير جدار القبلة.

ولما تولى زيادة الله بن إبراهيم إمارة إفريقية، بدأ بهدم أجزاء كثيرة من المسجد سنة 221هـ/736م دون أن يغير من نظامه أو يبدل من حدوده (**مخطط رقم 3**)، ولما أراد هدم المحراب حتى لا يكون أثر لغيره فأشار عليه بعض البناة والمهندسين بإدخال المحراب بين

حائطين وبذالك لا يظهر أثره لغيره، فأستحسن الرأي وعمل به، وأشار عليهم بالتنفيذ ولم يطرأ عليه تغيير أو تهديم.

إن ما قام به زيادة الله من الإصلاحات والزيادات في المسجد ذا أهمية كبيرة ويدل عليها ما قيل من أن النفقات بلغت ثمانين ألف مثقال[103]،التي تتمثل في زيادته في سعة رواق المحراب وتجديده بالرخام الأبيض المنقوش[104] (صورة رقم 1).

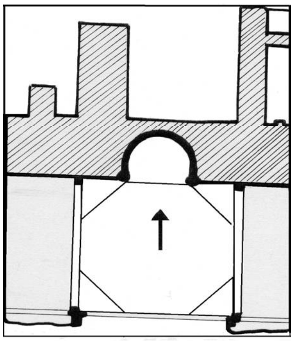

مخطط رقم: 03.مسقط افقي لمحراب المسجد الجامع بالقيروان.مقياس الرسم : 100 /1 .عن مارسال فيليب

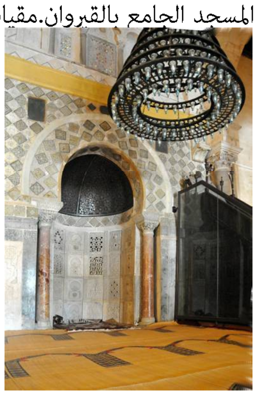

صورة رقم: 1 واجهة محراب المسجد الجامع بالقيروان.

ولا يزال محراب الصحابي عقبة بن نافع قائما إلى يومنا هذا يرى من خلال الكسوة الرخامية، وقبلة هذا المسجد الجامع لم تتغير منذ أن وضع الصحابي الجليل لواءه فيها[105].

هذا المركز هو الجزء الأساسي في شكل المسجد، فهو الذي يحدد القبلة التي يجب أن تكون عمودية على خط القبلة إلى مكة كما سبقت الإشارة إلى ذلك، وكان يرجى أن يكون هذا هو الواقع في محراب المسجد الجامع بالقيروان، إلا أن أصحاب عقبة أخطئوا في تحديد الاتجاه ،لأنهم لم يكونوا على علم بتحديد اتجاه القبلة[106].

ويرى بعض العلماء أن وجود هذه الكوة بجدار القبلة أمر طبيعي،لأن لوحات الرخام تتطلب إيجاد فراغ خلفها حتى تظهر نقوشها بارزة[107]، ونعترض على هذا الرأي لأن هذه الجوفة لو شيدت في الوقت الذي أمر فيه زيادة الله ببناء المحراب، لكان قد أولاه عناية خاصة وحرص على أن تكون مواده ثمينة وصناعته بديعة، كما نلاحظ اختلافا كبيرا في جوف المحراب القديم على أنه غليظ مبني من الطوب والآجر الأحمر،أي أن هناك اختلافا بين مواد البناء وهذا وحده يكفي للدلالة على أنها تنتمي إلى عصر زيادة الله، وإن كانت هذه ألحنية شيدت خلف لوحات الرخام لتكون ستارا يزدان به بيان نقوشا وضوحا وجمالا، بل كان هذا الجدار قائما، و حنية المحراب مشيدة به فأضيفت إليها لوحات الرخام في عصر زيادة الله، هذه فكرة اقتراحها البناة والمهندسون لإرضاء رغبة الأمير للاحتفاظ بهذا الأثر القيم[108].

فمحراب عقبة كان مجوفا وما هذه ألحنية إلا قبلة يتجه نحوها المصلون، وقد تطور شكل المحراب فأصبح مقوسا واتخذ جوفه شكلا مستديرا فخيل إلى البعض أنه صورة مصغرة لمحراب الكنائس، والحقيقة أن بناة المسجد الجامع بالقيروان لم يكونوا يستطيعون أن يضعوا محرابهم على شكل أخر، ذالك لأن عقود المسجد كلها أنصاف دوائر ولا ينسجم شكل المحراب في نظام بيت الصلاة بغير هذا المظهر.

وبهذا يكون الأصل في إدخال المحراب إلى المسجد عملية دينية، والعلة في ذلك تعود لتناسق البناء الذي كان سببا في اتخاذ شكله المقوس،ويعد محراب المسجد الجامع بالقيروان،أقدم محراب مجوف أدخل على المسجد بالمغرب والأندلس، وبالتالي أصبح مثالا فنيا يحتذي به في جميع المساجد الجامعة فيما بعد.

-2-1-2-1-6 القبـــة:

تغطى حنية محراب المسجد الجامع بالقيروان قبة كروية الشكل ثلاثية الأضلاع من الرخام المذهب،تحمل زخارف نباتية محزمة، بحيث تظهر القبة الأولى التي تغطى محراب الصحابي عقبة، المكونة من الطوب الأحمر والأجر، في حين ترتكز الثانية على شريـط نصف دائري يحمل مربعـات خزفيـة تزين كـوة المحراب.

-2-2-1-6 المحراب من الخارج:

-1-2-2-1-6 العقـد:

عقد محراب المسجد الجامع بالقيروان عبارة عن تجويف داخل جدار القبلة، والقوس على

شكل حذوة الفرس، عرضه1،98موعمقه1،58م مكسى بمربعات من الرخام تتكون من أربع مجموعات، في كل منها سبع حشوات تفصلها ست أشرطة ، فيكون عدد الحشوات

ثمانية وعشرين، أبعاد كل منها 44×(68-61) ترتكز على قاعدة دائرية الشكل إذا نجد الصفائح الرخامية كونت بها سبعة أضلاع (**شكل رقم:** 02)، كلها مزينة بخروم على شكل زخارف.

ينسب المحراب الحالي إلى زيادة الله بما احتواه من بلاطات ذات الرخام الأبيض ويوجد خلفه-المحراب- حائط من الطوب، يرجع تاريخه إلى عقبة بن نافع ، ويبدو في شكل تجويف داخل جدار القبلة ، شيد بعده تجويف من الرخام الأبيض يقترب من اللوحات ويلمسها في مواضع عديدة، فلا يخترق النظر خرومها.

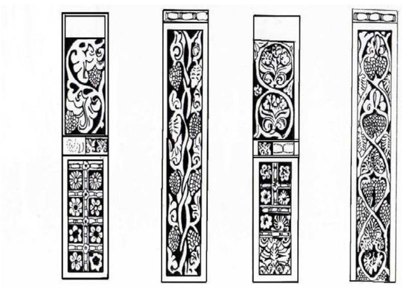

شكل رقم : 02 شرطة زخرفيه تفصل بين البلاطات.

-2-2-2-1-6 العمودان:

يكتنف المحراب من جانبيه عمودان أحمران تاجهما من الطراز البيزنطي هذان التاجان متلاصقان شكلا وحجما،وواجهاتهما المنحوتة صورة متطابقة أيضا[109]، بل أن درجات التاج الثلاثة؛ أي أن رأسه وقرمته ووسطه تكسوهم أشكال زخرفية مكونة من عنصر واحد، نجده مكررا مرتين في وسط التاج، وسبع مرات على رأسه،وستة على كل واجهة من واجهة قرمته (**شكل رقم : 03**).

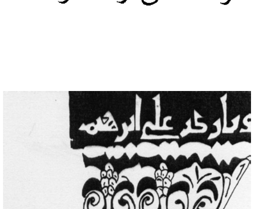

شكل رقم:03نموذج زخرفي لتاج عمود محراب المسجد الجامع بالقيروان.عن جورج مارسي.

ومن الملاحظ أن المحراب غني بالزخارف التي شكلت تشكيلا محكما من طرف الفنان. فأضفت عليه منظر قداسة و جمالا خارقا، ونظرا لأهميته ارتأينا أن نقسم هذه العناصر حسب أهميتها إلى ما يلي:

-3-2-1-6 توزيع العناصر الزخرفة:

-1-3-2-1-6 توزيع العناصر الكتابية:

يفصل بين اللوحات الرخامية التي تزين كوة المحراب، شريط كتابي من الخط الكوفي المتقن،ومحتوى هذا الشريط آيات قرآنية من سورة الإخلاص وهي السورة الوحيدة التي تزين المحراب هذا نصها: بسم الله الرحمن الرحيم

((**قُل ْهُوَ اللَّهُ أَحَدٌ،اللَّهُ الصَّمَدُ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ**))[110] صدق الله العظيم.هذه السورة تكررت على تيجان أعمدة المحراب.

6-1-2-3--2 توزيع العناصر النباتية:

تقتصر هذه الزخرفة على ورقة العنب وتتفرع منها أوراق أخرى،هذه الورقة هي التي تكون العنصر الأساسي لأكثر المركبات الزخرفية، وهناك قانون تخضع له جميع هذه المركبات أينما كان موضعها وهو العنصر الذي تتفرع منه،وينقسم إلى قسمين متساويان وهما صورتان متطابقتان،كما نجد في ورقة العنب في زخارف عديدة، تارة يانعة وطورا منكمشة ضيقة مستقيمة أحيانا، وملفوفة في مواضع أخرى، ومقصوصة في مواضع أو جامدة، أو يابسة الوريقات في مواضع أخرى، وكثيرا ما تستبدل ورقة العنب بورقة نباتية غيرها ذات ثلاثة نصوص، ونرى الزخرفة مكونة في بعض المواضع من زهور أو سعف النخيل، لكل منها ثلاثة أو خمسة فصوص، وتتميز في بعض الأحيان بعنقود العنب أو الرمان أو كيزة من الصنوبر

نستخلص من كل هذه الأشكال الزخرفية،تلك الفكرة الأصلية التي حركت موهبة الفنان زيادة الله في المسجد الجامع بالقيروان في القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي والتي تحكم القواعد الهندسية في رسم الخطوط والنباتات.

يسمى هذا بالطراز من النحت بالطراز المخرم الذي يتمثل في جوف المحراب فيلتصق به ستار رقيق من الرخام،ينفذ الضوء من خرومه الصافية، ويجري بين فتحاته الرشيقة ويتلألأ بياض الرخام الناصع، ويبرق على ظل الفراغ القائم.

إن زخرفة المحراب وزخرفة تيجانه و قبيبته تتصل بفن واحد، وترتبط بصناعة واحدة

وأسلوبه واحد لا يختلف عن بعضه بالرغم من أنه يتفرع إلى طرازين،وأن اليد التي اختطت الكتابة الكوفية على تيجان المحراب وستاره الرخامي،وهي اليد التي نحتت نقوش وطاقات القبة.

6-1-2-3--3 توزيع العناصر الهندسية:

الزخارف الهندسية التي توشي المحراب تتمثل في الزخارف المحفورة و الخطوط، بالإضافة إلى الدوائر والمثلثات والمربعات .

تعتبر الزخرفة الهندسية بسيطة جدا وقوامها المربع والدوائر، والنوافذ المخرمة ذات الزخارف الرشيقة الهندسية المخرمة، وتكون المربعات دائما برأس إلى الأسفل في شكل معينات وتحتوي على مربعات،ودوائر متصلة بخطوط أفقية تكون في غالب الأحيان وريدات بشكل بسيط.

يزين واجهة المحراب الخارجية عدد من البلاطات ذات البريق المعدني داخل إطار مستطيل،كل بلاطة ذات مقياس 1،21 سنتمتر مربع، وبسمك1 سنتم، تحتوي على 139 بلاطة كاملة وحوالي 16 جزءا من بلاطات غير كاملة، كما أن البلاطات المكونة للإطار المستطيل،صناعتها من الخزف على شكل معنيات، مكونة في مجموعها شكلا شطرنجيا مائلا في الجدار،والبلاطات من نوعين مختلفين سواء في اللون أو الزخرفة:الأولى ذات لون واحد والثانية متعددة الألوان.

من خلال ما سبق اتضح لنا نموذجا أولى للمحاريب المضلعة في العالم الإسلامي، الذي يمكن تتبع مدى تأثيره في تطور المحاريب المغربية، ولهذا الغرض ارتأينا تقديم نموذجين يعود الأول إلى العصر العباسي- محراب مسجد المنصور- والثاني لتأثير هذه الفترة على محاريب المغرب من خلال المسجد الجامع بقرطبة.

6--2 المحراب في العصر العباسي.

أمتاز العصر العباسي بازدهار الحضارة الإسلامية وخاصة من الناحية المعمارية وذالك بين سنة132-656هـ/749-1258م، وأنجزت مدن عديدة منها: بغداد سمراء، وبنيت مساجدهم على غرار مسجد أبو جعفر المصور، ويعتبر المسجد الأول الذي شيد في أرض بغداد من العصر العباسي الأول، وهو أكبر المساجد الجامعة وقد فاق جامعي البصرة والكوفة، حيث وصفه الخطيب البغدادي بقوله: (جعل أبو جعفر المنصور المسجد الجامع للمدينة ملاصقا لقصره المعروف بقصر الذهب، وهو الصحن العتيق، وبناه من الطين واللبن، مساحته مائتين، في

مائتين به أساطين من الخشب كل أسطوانة تتكون من قطعتين معقدتين بالقصب[111] و ضابات من الحديد[112]، وعند منارته خمسة أساطين تتألف كل منها من قطع ملفقة[113] مدورة من الخشب.....)[114].

أسس هذا الأثر الجليل على يد الخليفة أبي جعفر المنصور سنة145هـ/768مذا تخطيط مربع الشكل متساوي الأضلاع طول كل ضلع مائتا ذراع أي ما يعادل100م. والقبة فيه تنحرف نحو باب البصرة.

ظل قائما على حاله إلى عهد هارون بن الرشيد الذي أعاده بالآجر و الجص، وكتب عليه اسمه من ناحية باب خرسان سنة -192- 193هـ/807-808م، أضاف إليه الدار المعروفة بدار القطان التي كانت ديوان للمنصور[115].

وبعد انتقال الخلافة العباسية من سمراء إلى بغداد زاد عدد السكان وضاق المسجد بالمصلين، فزاد المعتضد بالله الصحن الأول وهو قصر المنصور وأطلق عليه اسم الصحن العتيق، وأصبحت مساحته أربع أضعاف مساحة المسجد التي كانت تساوي عشرة ألاف متر مربع، ووصفه الرحالة ابن جبير بقوله:(**إنه جامع كبير عتيق كبير البنيان**[116]).

ويشير هرز فلد إلى تخطيط المسجد وتعيين موضعه بالنسبة للقصر، فهو في الجدار الجنوبي الغربي المقابل لباب الكوفة، والإضافات تتمثل في17طاقا في الجدار الذي يفصل المسجدين،13 منها إلى الصحن، وأربعة إلى الأروقة الجانبية، هذا مم يدل على أن المسجد القديم كان يحتوي على 17 رواقا من اليسار إلى اليمين والأروقة الجانبية كانت في كل جانب[117].

يعد هذا المسجد النموذج الأول من العصر العباسي الأول في المشرق، والذي يهمنا من هذا العصر المزدهر بالعمارة المدنية والدينية على ما يزيد من خمسة قرون، محاريب ذلك العصر، ووقع اختياري على نموذجين من المحاريب الإسلامية التي تعود إلى القرن الثاني الهجري وهما محراب مسجد المنصور ومحراب المسجد الجامع بقرطبة لقرب الفترة الزمنية واختلاف التخطيط.

-1-2-6 محراب مسجد أبي جعفر المنصور(بغداد)

-1-1-2-6 المحراب من الداخل:

محراب أبو جعفر المنصور قطعة أثرية ثمينة كانت تتصدر جدار قبلة مسجده ، تعود إلى العصر العباسي الأول ، عندما انشأ مدينته في بغداد سنة 1309هـ /1891م [118] وعندما

دمر الجامع [119]. اهتمت وزارة الأوقاف بناءه [120] و نقل المحراب. وقد ذكر أن المعتضد نقل المحراب إلى جامعه[121] فكان من السهل نقل هذا المحراب لأنه يتألف من قطعة واحدة ارتفاعها الكلى 2،06م وعرضها 1،25م أما عمقه33سنتمتر،بينما ارتفاع قاعدته 68سنتمتر وسعة فتحه أي(القطر 65ستم)، في حين نجد كل عمود 91ستم والتاج 18ستم، كما نجد في وسط التجويف عمود ارتفاعه 1،31م.

كما ذكر انه نقل في القرن11 هـ/17م إلى جامع الخاصكي، هذا المحراب تحفة نادرة من نوعها وثمينة ذات قيمة تاريخية وأثرية، وقد تنبه إليه الإنجليز أثناء احتلالهم العراق، وحاولوا انتزاعه ونقله إلى بلادهم لعرضه في متاحفهم.

بعد تصدع جامع الخاصكي إثر الحرب العالمية الأولى، تقدم أهل المحلة بعرض إلى وزارة الأوقاف، مطالبين إياها أن تتخذ كل التدابير للمحافظة على هذا المحراب، إلى أن يعمر الجامع مرة أخرى، وفي سنة(1343هـ/1925م) كتب وزارة الأوقاف إلى إمام الجامع تأمره بالمحافظة عليه لكنه رفض، فاضطرت الوزارة إلى نزعه- المحراب- من ووضعه في صندوق خشبي، وظل محفوظا في مبني الأوقاف[122]، حتى تم نقله إلى متحف القصر العباسي في الغرفة السادسة[123]، وبقي هناك حتى سنة(1381م/1961م)، ثم تم نقل إلى المتحف العراقي، وعرضه في قاعات التي تختص بالمعروضات الإسلامية تحت رقم 1185ع و26463 م ع.

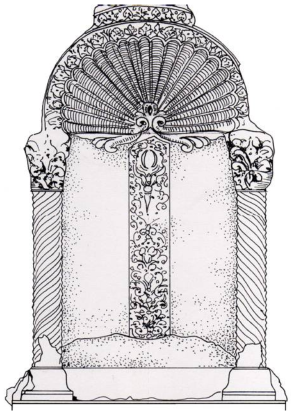

شكل رقم 04 : مقطع عمودي لواجهة محراب ابي جعفر المنصور (جامع الخاصكي).مقياس الرسم : 10 / 1

صنع المحراب من قطعة واحدة من الرخام المصفر، تتوجه من الأعلى قبيبة على هيئة محارة، تتفرع من ضلوعها ورقة تتكون من خمسة أضلاع تقع في الوسط، وحافة محورة على هيئة عقد نصف دائري مفصص يتكون من ستة عشر فصا، ويعلو المحارة شريط نباتي عرضه8

سنتم ويحتوي على أوراق وعناقيد من العنب.. **(شكل رقم:04).**

-2-6-2-1-2 المحراب من الخارج:

-1-6-2-1-2-1 العقـد:

المحراب على شكل كوة تحمل في كل جانب عمودا يرتكز عليه العقد النصف دائري المفصص(شكل رقم :04)، ظهره محدب ليماثل تقعير التجويف الداخلي، ويتوجه إلى الأعلى على شكل محارة تغطي التجويف ذو القاعدة البيضاوية **(مخطط رقم: 04).**

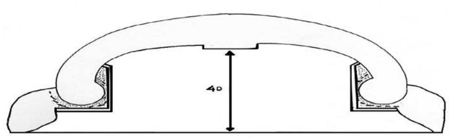

مخطط رقم: 04.مقطع أفقي لمحراب مسجد ابي جعفر المنصور (الخاصكي).مقياس الرسم 100/1

-2-6-2-1-2-2 العمودان:

ترتكز هذه المحارة والعقد النصف دائري مباشرة على تاجين كورنثين[124]،محمولين على عمودين حلوزنيين، طول كل منهما92 سنتم ، وقد أصيب بتلف في الجزء الأسفل إثر العوامل الطبيعية وبنقله من مكان إلى أخر ورمم بالحبس، ويرتكز بدن كل عمود على قاعدة ذات شكل مخروطي ناقص ارتفاعه 17سنتم وترتفع على أرضية المحراب ب 11سنتم والقاعدتان خاليتان من الزخرفة. وفي وسط تجويف المحراب عمود زخرفي يمتد من أسفل الورقة المركزية إلى أسفل أرضية التجويف ارتفاعه 1،31سنتم، وقد زال القسم الأسفل منه بمقدار 40 سنتم ورمم بالحبس.

-3-6-2-1-3 العناصر الزخرفية:

نظرا لثراء هذا المحراب وتعدد زخارفه النباتية التي شكلت تشكيلا محكما وأضفت عليه جمالا خارقا، ونظرا لأهميته التاريخية و يعد الفريد من نوعه في العالم، وبما أنه قطعة واحدة تحمل عنصرا واحدا وهي الزخرفة النباتية التي تزين القبة المحارية في شكل شريط نباتي بارز عرضه 8 سنتم ،مشكلا من أوراق نباتية وعناقيد العنب، وشكل هذه الأوراق والعناقيد مع بعضها بساق نباتي متعرج، هذا الشريط يبرز عن واجهة المحراب بحوالي6 سنتم، وأسفل هذا البروز نجد شريطا نباتيا عرضه 7ستم إلى 10ستم يتكون من العقد المفصص، يتألف من أوراق

متعددة الأضلاع وبين كل ورقتين كاملتين نجد نصف ورقة زهرية مكونة من ثلاثة أغصان، هذه الزخارف بارزة قليلا،هذا البروز يدنوا من حافة المحارة أو فصوصها ويتدرج متسعا، فهي أكبر فتحة عند رأس المحارة منها عند أطرافها.

أما الضلوع السبعة عشر فتتفرع جميعها من ورقة العنب الخماسية التي تقع في المركز ، وقد حفر على الورقة ثلاثة حفر أو عيون، ومن أسفل هذه الورقة يتفرع نصفان من الأوراق النخيلية، يقع كل نصف في نهاية الضلوع في كل من الطرفين. وقد احتوت زخرفة كل واحد من التاجين على صفين من أوراق الأكانتس[125] والأوراق النخلية، واختلفت في كلى التاجين، فالأيسر تتدلى أوراقه على نفسها نحو الأسفل ، كما تبدوا أوراق النصف السفلى منها أقل اتساعا من أوراق النصف العلوي، والملاحظ أن عروقها دقيقة تظهر بوضوح وراء هذه الأوراق الناتئة، مما يدل على براعة الفنان، أما التاج الأيمن فتزينه أوراق الأكانتس المحفورة بعمق والمسننة وتقف منتصبة بشكل الطراز السوري[126] ، وبين بدن العمود وأسفل التاج شريط زخرفي ضيق عرضه 2 سنتم يدور حول عنق العمود وعليه أشكال دائرية، الواحدة بجانب الأخرى تشبه حبات عقد التسبيح. ويدنوا من هذه الحلية العمودان الحلزونيان وقد سبق أن أشرنا إلى وجود عمود زخرفي وسط هذا التجويف ممتدا من أسفل الورقة المركزية إلى أسفل أرضية المحراب، وقد زال القسم السفلى منه بمقدار 40 سنتم ورمم بالجبس للمحافظة عليه، ويعلو الجزء المرمم أشباح بشكل أوراق العنب وهي ليست واضحة، وينتهي علوها بمزهرية وضعت في داخلها حبة صنوبر على جانبيها أنصاف أوراق النخيل، وفي أعلاها ورقتان من أوراق العنب ويعلوا هذه المزهرية وعاء يشبه الكوب حفر على قاعدته بعض الخطوط،وفي أعلاه بعض الزخارف لكنها غير واضحة، وتخرج من فوهتها ثلاثة أوراق من الأكانتس وفوقها شكل نباتي قرني يشبه الجزر، وعلى جهته اليسرى ورقتان من أوراق العنب بينهما عنقود، وعلى الجهة اليمنى ورقة عنب أخرى وعنقودان، وقد قطع الشكل الجزري بغصن نباتي محيط به، ويعلوا هذا الشكل ما يشبه القلب على جانبيه فروع نباتية وأوراق.

إن زخرفة هذا المحراب وجماله المتناسق يرجع للعهد الإسلامي الأول وللفن الإسلامي المتأثر بالفن البيزنطي، وأسلوب زخرفته يشير إلى تطور الزخارف السابقة للإسلام في منطقة الشرق الأدنى.

ولاحظنا أن ظهر المحراب يختلف عن باقي المحاريب التي تكون ظهورها بشكل تربيع كامل غير مدور، بينما ظهر هذا المحراب محدب، وقد وضع بهذا الشكل للتخفيف من حدة الثقل.

أما فيما يخص مواد البناء المستعملة لبناء هذا المحراب، فهي عبارة عن قطعة واحدة من الرخام الأبيض المصفر ذو لمعان، ولا يستبعد أن يكون قد صنع بالشام ونقل إلى بغداد ، وذلك لأن نوع الرخام الذي صنع منه لا يوجد ما يشبهه في أرض ألعراق ، ولأن زخارفه تمت بصلة كبيرة بالزخارف الهلنيستية الأموية التي كانت سائدة في منطقة الشام[127]

وبناء على أوصاف المحراب السابقة نلاحظ أنه من نوع المحاريب الجاهزة التي تم إنجازها بواسطة النحت الدقيق، ونظرا لغلاء المادة وندرتها بذل الفنان جهدا فنيا معتبرا لإخراجه بهذه الصورة الجميلة و عليه يمكن اعتباره نموذجا فريدا من نوعه الأمر الذي جعله نقطة جلب، فأقبل عليه بعض الولاة ورغبوا في نقله إلى المساجد التي بنيت فيما بعد.

ويتضح مما تقدم أن محراب مسجد المنصور، يمثل نموذجا للمحاريب ذات الشكل المجوف، وقد ارتأينا استكمالا لهذه الدراسة أن نظيف نموذجا آخر من الأندلس يمثل طرازا المحاريب المضلعة في بلاد المغرب.

6-2-2- محراب المسجد الجامع بقرطبة .

6-2-2-1- المحراب من الداخل

6-2-2-1-1التخطيط

المحراب عبارة عن كوة سداسية الأضلاع تتوج جدار القبلة من بيت الصلاة، وهو المثال الوحيد في العمارة الإسلامية بهذا التخطيط الهندسي

هذه الكوة تتكون من ثمانية ألواح رخامية طول كل واحدة منها ثمانية أذرع،أي ما يعادل4 متر، وعرض ستة ألواح منها ستة أشبار، وعرض اللوحتين الباقيتين ثلاثة أشبار إلى موضع الرف المستدير لموضوع على رؤوس الألواح المعمولة من الرخام،[128] (**مخطط رقم : 05**) (**صورة رقم: 2**).

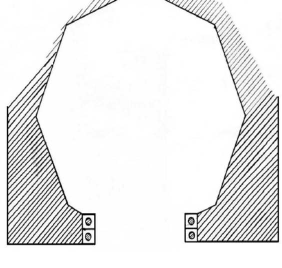

مخطط رقم :05 مقطع أفقي لمحراب المسجد الجامع بقرطبةمقياس الرسم 100/1

صورة رقم: **02** تبين كوة محراب المسجد الجامع بقرطبة

-2-1-2-2-2-6لقبـة:

يغطي جوف المحراب قبيبة رخامية تتكون من قطعة واحدة مشبكة ومحفورة ومزينة بعدت ألوان من الذهب و البلازورد[128] وقد وصفها المؤرخون: (سقف القبو رخامة بيضاء منقورة بالحديد على صفة المحارة (**شكل رقم:10**) ، فقد أحكمت وأنزلت في موضعها بأتقن صنعة ترتكز فوق ثماني أضلاع)[129].

هذه القبيبة المحارية محورة عن الطبيعة منبتها في الركن،(**صورة رقم 3**)، وهي بذلك تشبه قبيبة محراب المنصور ببغداد ؛أي أن بها تأثيرات من المشرق الإسلامي، وتعتبر النموذج الثاني بعد قبيبة محراب جامع المنصور.

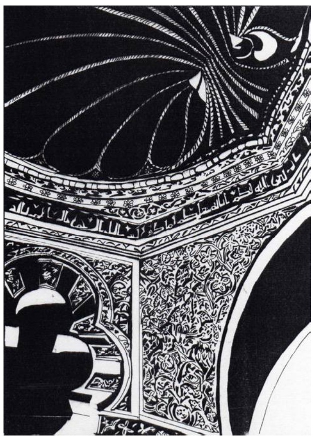

شكل رقم:05 **صورة رقم : 03**

منبت قبيبة محراب المسجد الجامع بقرطبة (عن جوميث مورينوا)

-1-2-2-6 **المحراب من الخارج.**

-1-2-2-2-6 العقـد:

عقد محراب المسجد الجامع بقرطبة على شكل حذوة الفرس ، ويتألف من سنجات مستطيلة تمتد منكبيه، وقد وصفه أبو إبراهيم محمد بن صاحب الصلاة الولبني عند حضوره لمشاهدة الاحتفال بليلة القدر بقوله (قوس محرابه أحكم تقويس، ووشم يمثل ريش الطواويس، حتى كأنه بالمجرة مقرطق، وكأن اللازورد حول وشومه وبين رسومه نتف من قوادم الحمام أو كشف من ظلل الغمام)[130].

ونستنتج من هذا الوصف أن تقويسة المحراب محكمة على شكل حذوة الفرس، وقد زينت بأنواع الزخارف والألوان، حتى تبدو كأنها وشم أو ريشات من أرجل الحمام الجميلة أو قطع من السحاب تزين أديم السماء، (صورة رقم:04) **(شكل رقم 06).**

صورة رقم : 04

واجهة محراب المسجد الجامع بقرطبة

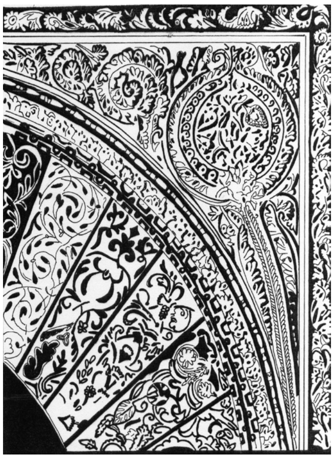

شكل رقم : 06

زخرفة تزين كوشة عقد محراب المسجد الجامع بقرطبة

(عن جوميث مورينوا)

كان أهل الأندلس ينظرون إلى المسجد بنظرة لا تقل عن نظرتهم إلى المسجد الحرام، وكانوا يؤمونه في المناسبات الكبرى، ويطوفون به ويحفون بمحرابه.

طوله من القبلة إلى الجوفة ثمانية أذرع ونصف،أي4،25 متر، وارتفاع قبوه ثلاثة عشرة ذراعا

ونصف، أي ما يعادل 7أمتار وعرضه من الشرق إلى الغرب 4أمتار.كان طبيعيا أن يبلغ محراب المسجد الذروة في الروعة والجمال، حيث يؤم الخليفة بالمسلمين بصفته إماما- أيام الجمعة والأعياد بالموعظة والسيرة الحسنة.

-6-2-2-2-2 العمودان:

عقد المحراب قائم على زوجين من الأعمدة الرخامية،كانتا تزينان عضادتي محراب عبد الرحمن الأوسط،ثم اقتلعهما مهندسو الحكم ونقلهما إلى الزيادة المحكمة لتوضع في موضعها من المحراب الجديد.

تتميز زوج من تيجان هذه الأعمدة بصف من أوراق الأكانتس التي تنحني من أعلاها وعددها ثمانية، وتعلوها أربعة ركنية يتوسطها في كل وجه غصنان نباتيان متداخلان على شكل دائرتين متقاطعتين، ينتهيان من أعلى ورقتين من الأكانتس، تنبت في أعلاها لفيفتان ركنيتان متدابرتان في كل جانب، ويتفرع منهما في الوسط لفيفتان متقابلتان، وكلتاهما أصغر من اللفيفتين الركنيتين، ويزدان طنف-كورنيش-التاج عند منتصفه بزهرة كبيرة[131] **(صورة رقم :05)**.

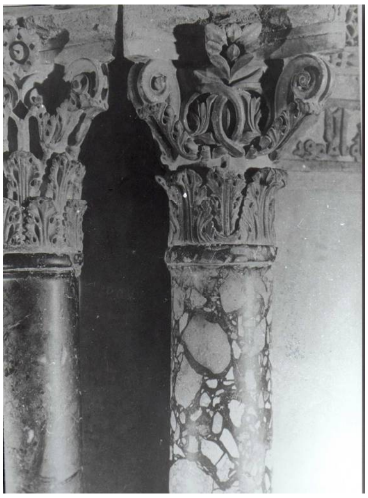

صورة رقم: 05 عمودا محراب المسجد الجامع بقرطبة

6-2-2-2 **العناصر الزخرفية:**

نظرا لثراء هذا المحراب بالزخارف المتنوعة التي شكلت تشكيلا محكما من طرف الفنان بواسطة المواد الثمينة، نحو ما تم عليه المسجد الجامع بدمشق أيام الوليد، يمكن أن نقسم هذه العناصر إلى ما يلي:

6-2-2-3-1- توزيع العناصر الكتابية:

يغطي منكبي عقد المحراب كتابة كوفية تصطف في ثلاثة أشرطة مذهبة على أرضية حمراء، نجد في الجهة اليمنى من عقد المحراب النص التالي:

((بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، لقد جاءت رسل ربك بالحق))[132] ،(أمر الإمام المنتصر بالله عبد الله الحكم أمير المؤمنين)[133]. (**شكل 07 رقم: 1).**

وفي الجهة اليسرى نجد النص التالي: ((أصلحه الله مولاه وحاجبه جعفر بن عبد الرحمن رضي الله عنه ينصب هذين المنكبين فيما أسسه على تقوى الله من الله ورضوان فتم ذلك في شهر ذي الحجة سنة أربع وخمسين وثلثماية))[134](**شكل07 رقم :2).**

1

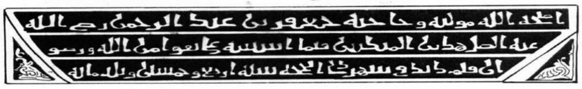

2

شكل رقم : 07اشرطة كتابية تزين منكبي المحراب.- عن امادور

ويزين المحراب من الداخل لوحات ملساء من الرخام المجزع،يعلوها شريط بارز من الرخام، نقشت فيه كتابة كوفية بارزة، هذا نصها:((بسم الله الرحمن الرحيم حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطي وقوموا لله قانتين))[135].

(أمر الإمام المنتصر بالله عبد الله الحكم أمير المؤمنين أصلحه الله بعد عون الله فيما شيده من هذا المحراب بكسوته بالرخام رغبة في جزيل الثواب وكريم المآب فتم ذلك على يد مولاه وحاجبه جعفر بن عبد الرحمن رضي الله عنه بنظر محمد بن تمليخ وأحمد بن نصر وخالد ابن هاشم أصحاب شرطته و مطرف بن عبد الرحمن الكاتب عبيدة في شهر ذي الحجة من ستة أربع وخمسين وثلاث مئة ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى وإلى الله عاقبة الأمور)[136].(**شكل رقم:08).**

شكل رقم : 8اشرطة كتابية تزين واجهة المحراب. (عن ليفي بروفنسال)

يعلو هذه الزخرفة الكتابية رف بارز من الرخام لف حول جوف المحراب، ويستند على مساند مزينة بتوريقات محفورة حفراً غائرة على أسلوب أوراق التيجان، ويجري تحت هذه المساند مسبحة حباتها بارزة، وبين المسند والمسند كتابة بارزة في إطار، وفي الإطارين الواقعين إلى اليمين نجد كتابة كوفية هذا نصها:(عمل فتح وطارق) وفي الإطارين الواقعين إلى اليسار نجد النص التالي:(عمل نصر وبدر)وهما من فتيان الخليفة،كل هذه التوقيعات من طرف الفنانين تقع في وزرة الجدار الداخلي للمحراب وإفريزها،كلاهما من الرخام الأبيض عليهما توقيع الفنانين نصر وبدر ثم فتح وطارق، والإفريز الذي يضم التوقيعات،يكشف عن تأثير الأسلوب الكلاسيكي في تكوينه من استخدام الزخارف التي تزين الكوابيل والمسطحات المربعة[137].

يعلو الإفريز المذكور كتابة كوفية تتضمن آية قرآنية محصورة بين بحرين من الفسيفساء المذهب في أرض الزجاج اللازوردي بمحيط المحراب هذا نصها:

((**ذَلِكَ عَالِمٌ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ العَزِيزٌ الرَّحِيم** ْ))[138].((**هُوَ الحَيٌّ لاَ إِلهَ إِلَّا هُوَ فَأدْعُوهٌ مٌخْلِصِينٌ لَهٌ الدِينَ الحَمْدٌ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِيَنَ**))[139].

(موفق الإمام المنتصر بالله عبد الله الحكم أمير المؤمنين أصلحه الله لهذه البنية المكرمة ومعينة على نيته الخالدة في التوسيع لرعيته....ما أليه وإليهم الرغبة فيما ابتدأ من فضله فيهم،وصلى الله على محمد .أمر الإمام المنتصر بالله عبد الله الحكم أمير المؤمن وفقه الله مولاه وحاجبه جعفر بن عبد الرحمن رحمه الله بتشبيك هذه البنية فتم ذلك بعون الله بنظر محمد بن تمليخ وأحمد بن نصر وخالد بن هاشم أصحاب شرطته ومطرف بن عبد الرحمن الكاتب)[140].

وبنفس الإفريز نجد الكتابة التالية((بسم الله الرحمن الرحيم هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون))[141]. **(شكل رقم : 09).**

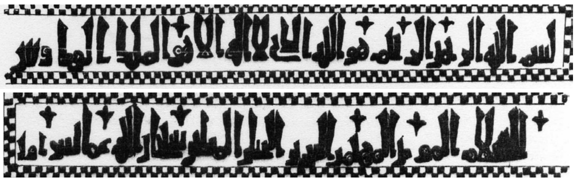

شكل رقم : 9اشرطة كتابية تزين واجهة المحراب

-6-1-2-3-2 توزيع العناصر النباتية:

تزين جدار المحراب وجنب عضادتيه لوحتان من الرخام الأبيض حفرت فيهما زخارف من التوريقات الدقيقة حفراً غائرة وعميقة، تبرزها كما لو كانت مفرغة على نحو ما تشاهده في المنمنمات (**شكل رقم: 10**) .وتعتبر هذه الزخارف من أروع أمثلة فن النحت على الرخام في العصر الإسلامي.

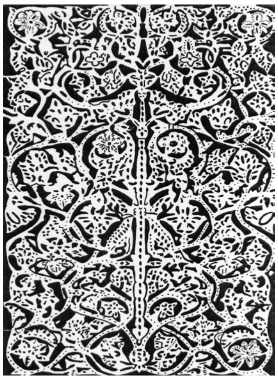

شكل رقم : 10لوحات رخامية تزين مجنبات المحراب

-6-1-2-3-3 توزيع العناصر الهندسية:

العناصر الهندسية قليلة في واجهة هذا المحراب، فهي تتمثل في تخطيطات هندسية متشابكة وتختص بها النوافذ باستثناء النافذة الحديثة، كما نجد توريقات كبيرة مضفورة، ومن جهة أخرى تتجلى الزخرفة الهندسية المؤلفة من مربعات تتشابك فيما بينها، إلى جانب تشبيكه تتألف من دوائر ومربعات متعاقبة، وتشبيكات تظم نجوم ثمانية الأقطاب تصل إلى تكوين تشابك مثمن معتمدة على أشكال رباعية إلى جانب الفسيفساء المكونة من مربعات ومثلثات.

نستخلص من دراسة الجامع بقرطبة وتحليل عناصره الزخرفية، أنه كان يمثل ظاهرة معمارية جديدة في عمارة المغرب والأندلس من ناحية التخطيط الهندسي للمحراب، بالإضافة إلى كونه علامة بارزة في جدار القبلة، لتحديد الاتجاه وتوحيد صفوف المسلمين نحو اتجاه قبلتهم عند أداء الصلوات.

وللوقوف على مدي التطور الذي عرفته محاريب المغرب الأوسط والأندلس، ينبغي علينا التطرق إلى دراسة مثالين من العهد المرابطي حتى يتسنى لنا معرفة عناصر هذا التطور المعماري والفني.

-6-3 المحراب في عصر المرابطين.

6-3--1 محراب مسجد القرويين

6-3-1--1 المحراب من الداخل

لقد اهتم المرابطون بشيئين رئيسيين عندما تسلما الحكم بالمغرب سنة (448م/1056م)، أولهما بناء عاصمة لهم تكون قريبة من ديارهم بالصحراء، وثانيهما العناية بجامع القرويين بفاس، باعتباره أهم جامع في العاصمة الأولى للإسلام بالمغرب الأقصى ، هذا الصرح التاريخي و الديني قامت ببنائه فاطمة بنت محمد الفهري سنة (245هـ/859م) حيث وهبت كل ما ورثته لبنائه.

ولقد تميز خلال مرحلتيه الأولى والثانية بطابع ألبساطة ، إلى حين ظهور دولة المرابطين، الذين قاموا بإضافات على المسجد إلا أنهم حافظوا على ملامحه ألعامة ، ويكفي الوقوف أمام جدار القبلة، هذه الظاهرة تتجلى في اللوحة التي نقشت بالخط الكوفي تخلد تاريخ بناء المسجد الإمام داود بن إدريس[142] إذ تعتبر نموذجا واضحا للبساطة التامة، التي كان الأقدمون يستعملونها في كتاباتهم. ومنذ الوقت الذي ظهرت فيه دولة المرابطين ظل المغرب مركز القوة الحية للإمبراطورية- البقعة التي تحتوي على أكثر المباني المعمارية- وكل ما أدخله المرابطون من تغيرات وزيادات على شكل المسجد هو أنهم رغبوا في اكتساب المحراب منظرا أبهي وأكمل.

6-3 1-1-1- التخطيط:

يتخذ المحراب شكلا خماسي الأضلاع، فتحته عبارة عن قوس أكثر من نصف دائرة،يبلغ قطرها 1،55م وارتفاعه 1،30م واتساع فتحة القوس 1،10م(**مخطط رقم:06).**

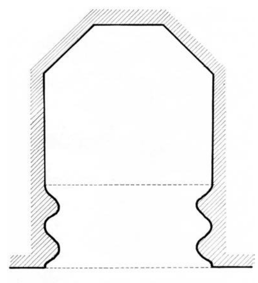

مخطط رقم : 06مقطع افقي لمحراب مسجد القرويين بفاس.مقياس الرسم 100/ 1

ويعتبر هذا المحراب النموذج الأول بالمغرب ألإسلامي وأجمل المحاريب التي خلفتها لنا هذه ألدولة ، لا يزال يحافظ على شكله، ويظهر هذا جليا في واجهة المحراب الخارجية، ذات الزخارف الكتابية والنباتية و ألهندسية، هذا مما يدل على ما كان للمحراب من مكانه محترمة ومقدسة (صورة رقم 06).

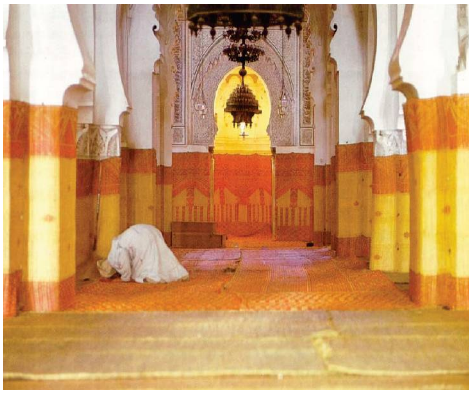

صورة رقم: 6واجهة محراب مسجد القرويين بفاس

-2-1-1-3-6 القبـة:

إذا ما تجولنا داخل هذا المسجد وبالضبط في البلاطة الوسطى، نلاحظ سلسلة قباب ممتدة على طول البلاطة، تظهر ما أبدعته عبقرية الفنان المغربي منذ ذلك التاريخ المبكر ، فابتداءً من قبيبة المحراب نجد في أعلى هذا التجويف قبيبة مقرنصة ، منبتها وريدة ثمانية الفصوص ترتكز على مثمن الأضلاع، وتقوم على أقواس مفصصة محمولة على أسوار قصيرة ذات تيجان، تتخذ أشكالا نباتية من سعف النخيل في تركيب متناسق الأجزاء في كل جهة منها وعند منبت القوس.

هذه القبيبة ثرية من حيث تطريزها ووشيها، فيها ما نقش بالخط الكوفي و ألنسخي، و بها تتعانق أشكال الزخارف لتكون منظرا خلابا .

-2-1-3-6 المحراب من الخارج .

-1-2-1-3-6 العقد:

تقويسة هذا المحراب حددتها فتحة العقد، وهي عبارة عن نصف دائرة يبلغ قطرها 2،89 م وارتفاعها 2،33 م واتساع فتحتها 2،20 م، حافتها مكونة من شريط مجدول على شكل ضفيرة هذه الحافة موجودة بين فتحة القوس والواجهة، ونلاحظ أن هذه الزخرفة فريدة من نوعها.

-6-3-1-2-2 العمودان :

فتحة العقد ترتكز على عمودين رخاميين بارزين، يبرز كل واحد منهما بحوالي 0،7 سنتم، نقلت مع أكاليلها ذات الطراز الكوررنثي من المباني الأموية بالأندلس[143] (صورة رقم:07)

.

صورة رقم: 7تبين عمودا المحراب.

-6-3-1-3 العناصر الزخرفية:

هذا المحراب غني بالزخارف الكتابية والنباتية والهندسية، شكلت تشكيلا محكما من طرف الفنان المغربي، الذي تأثر بالعمارة الأندلسية في تشكيل زخارفه، هذه الظاهرة نجدها أيضا في محراب المسجد الجامع بتلمسان، ونظرا لأهميته وللتطورات الزخرفية بينه وبين المسجد الجامع، قسمت هذه العناصر غلى ما يلي:

-6-3-1-3-1 توزيع العناصر الكتابية:

لقد شكل العنصر الكتابي ظاهرة بارزة في زخرفة هذا المحراب، حيث تنوعت موضوعاتها بتنوع أسلوب الخط الذي نفذت به النصوص الكتابية، إذا اعتمد الفنان الخط الكوفي البسيط و ألنسخي المغربي، حيث نقرا ما يلي:

- **الشريط العمودي الأيسر نقرأ:** ((أعوذ بالله من الشيطان الرجيم)).
- الشريط الأفقي وينقسم إلى قسمين:
  - القسم الأول نفذت فيه الآتية التالية((بسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم)).
  - القسم الثاني.((تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة))[144].

ويفصل بين هذين الشريطين شكل مثمن، ويصنف مع اللوحات التذكارية ويتضمن مايلي:

(عمل عبد الله بن محمد وكمل بحمد الله وحسن عونه في شهر رمضان المعظم إحدى وثلاثين وخمس مائة).

- ❖ الشريط العمودي الأيسر نقرأ: ((يا أيها الذين أمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخيرات لعلكم تفلحون))[145] صدق الله العظيم.

الشريط العلوي الذي بتصدر واجهة المحراب:((بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد رسوله الكريم أرسله بالهدى بشيراً ونذيرا وعلى أله الطيبين الطاهرين وسلم تسليما ولا حول ولا قوة إلى بالله العظيم وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين مما أمر بعمله عن أمر الملك العدل الآمر بالخير والفضل أمير المسلمين وناصر الدين علي بن يوسف بن تاشفين أدام الله له أسباب التأييد والتمكين الفقية المشاور والأجل الإمام الفضل أبو محمد بن عبد الله بن معيشة الكناني أدام الله توفيقه، فعمل ابتغاء وجه الله العظيم ورجاء ثوابه الجسيم وعنده تعالى وجل حسن الثواب وكريم المئاب فرحم الله من قرأه ودعا إلى الله سبحانه في عاجل القبول وإعظام الأجر والمجازاة له يوم النشر والحشر، وكان إتمامه ذلك كله بحمد الله وعونه وتوفيقه ومنه في شهر رمضان المعظم في سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة)).

ونلاحظ أن قبيبة المحراب تحتوي على ثمانية أقواس حذوية الشكل،نقش على كل منها بالخط الكوفي البسيط آيات قرآنية.منها ما هو ظاهر استطعنا قراءته،ومنها ما هو مطموس نظرا لوجود طبقات الجص التي ظلت تكتم أنفاس هذه الكتابة الأثرية.

هذه الكتابة قريبة الشبه بكتابة المسجد الجامع بالقيروان وهي تتمثل في الآية التالية:

القوس الأول:((أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر))[146].

القوس الثاني:(لقد صدق الله رسوله............)) .

-1-3-1-3-6 توزيع العناصر النباتية:

وإذا ما انتقلنا إلى العناصر الزخرفية النباتية التي أفرغ فيها الفنانون المغاربة جهودهم، فنجد أنفسنا أمام حقول من باقات متنوعة من الزهور والأوراق المختلفة، فهناك أشكال من سعف النخيل المضلع والبسيط وكيزان الصنوبر الذي تطرز به بعض الفراغات إلى جانب زهرة الأكانتس التي تبدو في حالة زاهية.

-6-3-1-3-2 توزيع العناصر الهندسية:

تشكل العناصر الهندسية المختلفة في هذا المحراب أهمية خاصة، بحيث نفذت بطريقة محكمة المقاييس والأبعاد.(صورة رقم:08).

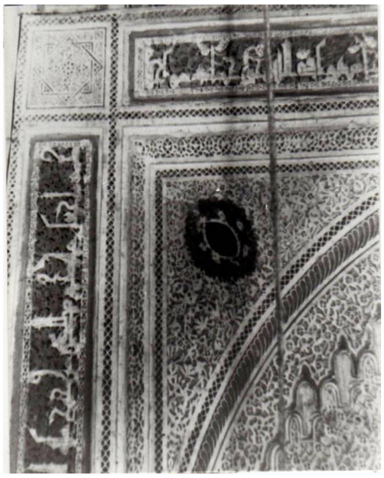

صورة رقم: 8كوشة المحراب توضح العناصر الزخرفية

-6-3-2 محراب مسجد الجامع بتلمسان:

-6-3-2-1 المحراب من الداخل:

يعتبر المسجد الجامع بتلمسان من أهم مساجد المرابطين، التي بقيت تطاول الزمن محتفظا بشكله الأصلي، الذي أسس على يد يوسف بن تاشفين سنة(530هـ/1136م).

إن الشكل المستدير لحنايا المحاريب هو الغالب في العصر الإسلامي المتمثل في الدولة الزيرية الحمادية، فنجد محاريب ذات تخطيطات مجوفة أو مقوسة متعددة الأضلاع، ونلاحظ بدقة استعمال هذا النوع من التخطيط في العصر العباسي وبالضبط في مسجد المتوكل وأبي دلف، كما قام أبو إبراهيم أحمد ألأغلبي سنة(242هـ249هـ/856م863م) بتكسية محراب المسجد الجامع بالقيروان- تونس- ذو الشكل المثمن بعد زخرفة القسم الداخلي من التجويف، و بعد هذا نجد مهندسي الحكم الأول يقومون ببناء محراب المسجد الجامع بقرطبة بشكل مجوف ثماني الأضلاع[147].ومن خلال ما تقدم نستطيع أن نحكم بأن المرابطين ليسوا أول من استعمل المحاريب المضلعة، وإنما الشيء الذي ينتسب إلى هذه الدولة هو ابتكار المحراب ذو الشكل الخماسي الأضلاع.

-6-3-2-1-1 التخطيط :

محراب المسجد الجامع بتلمسان يتخذ شكلا خماسي الأضلاع، فتحة القوس عبارة عن قوس أكثر من نصف دائرة يبلغ قطرها 1،53م وارتفاعها 1،31م واتساع فتحة القوس 1،80م ،ظهر لأول مرة في العمارة الإسلامية . (مخطط رقم: 07، 11) .

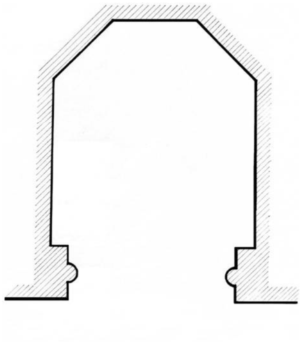

مخطط رقم : 07.مسقط أفقي لمحراب مسجد سيدي بومدين مقياس الرسم 100 / 1

-6-3-2-1-2 القبة

نلاحظ في أعلى هذا التجويف قبيبة وإفريزا مثمنا وأعمدة ذات أطر قائمة الزوايا، إضافة إلى إفريز خماسي الأركان، وتنتهي جوفة المحراب بدائرة مضلعة ومفصصة، على شكل قبيبة صغيرة ذات ستة عشر أخدودا (صورة رقم:09).

صورة رقم:09.قبيبة محراب المسجد الجامع بتلمسان.

لم يكن هذا النوع من القبيبات جديدا علينا في المغرب، بل وجد في قبة القيروان التي ترجع إلى العهد ألأغلبي، وفي القبة التي تتقدم محراب جامع قرطبة تعلوها أيضا قبيبة صغيرة ذات أخاديد نصف دائرية موضوعة بالتناوب مع مثلثات[148]، كما وجدت بالجعفرية قبيبات ذات

تسعة أضلاع ومن الملاحظ أن هذا العنصر استعمل في تلك المساجد المذكورة خارج جوفات المحاريب، ويبدوا أن المرابطين هم أول من استعمل هذه القبيبة لتتويج مشكوات تجاويف محاربهم[149]، و هذا مخالفا لما في العصور الإسلامية السابقة، و القبيبة السابقة تعتبر مظهرا للتأثيرات الأندلسية مع إدخال تحسينات على شكلها التخطيطي، والملاحظ أنها تتكون من عناصر زخرفية متعددة.

-2-2-3-6المحراب من الخارج

-1-2-2-3-6 العقـد

تقويسة هذا المحراب عبارة عن قوس أكثر من نصف دائرة حددته فتحة العقد، إلى جانب عقد آخر أكثر من نصف دائرة،هذه الدائرة الثانية يبلغ قطرها 2،88 م وارتفاعها 2،32 م واتساع فتحتها 2،20 م، ومركز هذه الدائرة الأخيرة يوجد على ارتفاع حوالي 22سنتم من السطح الأول، وقد أحدثت المسافة بين المركزيين شكلا جديدا.

أنهم لم ينقلوها كما هي بل غيروا فيها بما يناسب ذوقهم الفني، وتظهر بوضوح في وضع مركز مفتاح العقد في عددها ومكانها وزخرفتها.

الصنـج: تقع في المنطقة المحصورة بين العقد الحذوي الشكل والعقد الإكليلي، وهي عبارة عن قطع حجرية تأثثت قليلا، تتخللها فجوات ذات شكل شبه منحرف خالية من الزخرفة، يصل عددها بمحراب المسجد الجامع بتلمسان سبعة عشرة صنجة، وتسعة عشرة بمحراب مدينة قرطبة، وخمسة بمحراب مدينة الزهراء. وقد ظهر هذا النوع من الزخرفة في تحلية واجهات المحاريب، ويرجع أصله إلى جامع قرطبة، وطريقة بنائها عبارة عن صف يتكون من حجرة واحدة أو من المطلوب الأحمر والأبيض، مثلما هو في العقد الذي يحمل سقف جامع قرطبة، بينما نجد محراب المسجد الجامع بتلمسان مزخرفة بزخرفة عبارة عن كتلة حجرية بيضاء، واشتقاقها الأصلي جاء من العقد المنفوخ الذي اشتق من جامع قرطبة.

إن محراب المسجد الجامع بتلمسان يبلغ سبع مرات قطر الدائرة الصغيرة، وثلاثة عشرة مرة في قطر الدائرة الكبيرة، أما بالنسبة لمحراب مسجد قرطبة فيبلغ عشرون مرة لقطر الدائرة الصغيرة، والواحد والأربعون بالنسبة لقطر الدائرة الكبيرة[150]. أما في سيراقسطة يمثل الخامس بالنسبة للقصر الصغير، وثاني عشر للأكبر ، هذه الدقة المعطاة إذا ما قورنت بالمسجد الجامع بتلمسان نجده يتكون من ثلاث حواف.

- **الحافة الأولى:** توجد بين فتحة القوس والقوس الصغير زخرفة قد جمعت لبنات

العقد،ونلاحظ أن هذه الزخرفة ظهرت لأول مرة في تاريخ العمارة الإسلامية بمسجد قرطبة، وفي محراب مدينة الزهراء، رغم أن المرابطين قد أخذوا بهذه المباني، إلى أنهم لم ينقلوها كما هي بل غيروا فيها بما يناسب ذوقهم الفني، و تظهر بوضوح في وضع مركز مفتاح العقد في عددها و مكانها و زخرفتها.

- **شكل الصنج** (البنات): تتفق لبنات عقدي محراب قرطبة ومدينة الزهراء في شكليها الشبه المنحرف المقعر قليلا، في حين نجد لبنات عقد المحراب المسجد الجامع بتلمسان قاعدته العليا تأخذ هيئة شبه منحرف، عوض بعنصر دائري مزخرف بزخارف زهرية، أما محراب الجعفرية فقسمه العلوي مزخرف بعناصر نباتية، ومن ناحية أخرى نلاحظ اختلاف النسب بين ارتفاع القاعدتين:الصغرى والعليا مع اختفاء بروزاته، ويظهر هذا التغيير بشكل واضح[151].

- **الحافة المزينة**: تعتبر من ابتكار الفن المرابطين، فلا نجد لها مثيلا في الأندلس، وقد استطاع الفنان ألمرابطي إدخال هذه الحواف في العمارة الإسلامية، وهناك زخارف تتكون من سبعة عشرة إكليلا من خيوط بارزة وربعية[152]، محفورة على شكل ربع دائرة بدون أية زخرفة، وتتكون من أضلاع المثلثات وقوس كبير من الإكليل، في حين نجد الزخرفة النباتية قد شغلت القوس الأكبر من نصف الدائرة.

-**الحواف الدائرية**: زخرفت بإفريز من أوراق الأكانتس،حيث استخدمت بشكل كبير في منطقة الحواف المستطيلة (**شكل رقم:11**).

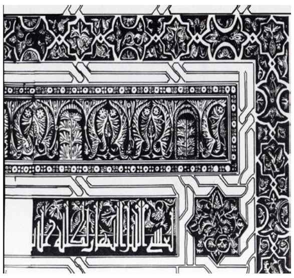

شكل رقم : 11نماذج من الزخرفة التي تزين إطار محراب المسجد الجامع بتلمسان.

- **الأركان:** عددها أربعة، العلوي منها مزخرفة بعناصر نباتية في المركز الذي يفصله مسمار ذو رأس مخروطي الشكل ومزخرف بمراوح نخيلية، ليست هذه الزخرفة من ابتكار الفنان المرابطي، بل تبناها الفنانون التلمسانيون لزخرفة أركان محراب جامعهم بتلمسان، وحولها بما يناسب ذوقهم الفني (صورة رقم:09).

صورة رقم **09:** زخارف كتابية و نباتية تزين أركان واجهة المحراب

6-3-2-2-2 العمـودان:

فتحة العقد ترتكز على عمودين من الجص بارزين، يبرز كل منهما على الجدار بحوالي(0،8 سنتم)، تؤطران المحراب من الجهة اليسرى.

- **العمود الأيمـن:** طوله أكثر من عرضه على شكل مستطيل،تبلغ مقاساته من الخارج(106×85 سنتم)،أما المقاسات الداخلية فتبلغ(62× 41 سنتم)، فهو ذو إطار عريض يزينه شريط من الكتابة الكوفية عرضه(10سنتم)، نص هذه الكتابة مايلي:

((نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين،يا أيها الذين أمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم (و)[152]افعلوا الخير لعلكم تفلحون))[153].

- **العمود الأيسـر:** مقاساته من الناحية الخارجية 87×76 سنتم، وهو أقل من العمود الأيمن بقليل؛ أي أضيق في الجزء العلوي ويتسع في الأسفل، به مستطيل صغير تبلغ مقاساته 32×22سنتم، تزينه زخارف نباتية وشريط من الكتابة يبلغ عرضها 10سنتم ونص هذه الكتابة قوله تعالى: بسم الله الرحمن الرحيم((في بيوت أذن الله أن تذكر فيه اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقامة الصلاة و إيتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه الأبصار))[154].

-6-3-2-3العناصر الزخرفيـة:

نلاحظ أن الزخرفة عامة تتميز بالسطحية حيث تلتصق مباشرة بالعنصر المراد زخرفته، هذا ما جعل أحد المؤرخين يقول: (بأنها لا تساهم في إيجاد توازن في البناء أو استقراره) [155]. و المقصود هنا أنها مجرد حلية معمارية فقط، وقد ثبت أثريا من الأبنية الأندلسية والمغربية معاً، أن كلا من الفنان الأندلسي والمغربي كانا يتجولان من الاتجاه المعماري إلى الاتجاه الزخرفي، هذا ما قام به مهندسو الحكم المستنصر الذي بلغ في عهده الفن المعماري درجة عالية من الكمال، وابتكر نظام القباب المضلعة التي تطورت بشكل عام إلى أن بلغت الذروة في المجال والكمال،كما يبدوا في قبة المسجد الجامع بتلمسان، وبهذا تتضح غلبة الاتجاه الزخرفي على الاتجاه المعماري في الأنواع الزخرفية، التي استعملت في الفترة المرابطية، وخاصة في المسجد الجامع .

-1-3-2-3-6 توزيع العناصر الكتابية:

لعب الخط العربي دورا هاما في تاريخ الفن الإسلامي الذي بدأ بسيطاً إلى أن بلغ الدقة، وأصبح عنصرا زخرفيا بكلتا فرعيه- الخط النسخي والكوفي-. أما العنصر ألمرابطي فقد احتوى على بعض الآيات والصيغ الدينية منها :

-**الصيغ الدعائية:** تبدأ بالبسملة، وتتصدر قبة الجامع والمقصورة، تعقبها صيغة((صلى الله على محمد وعلى أله وسلم))، إضافة إلى((صلى الله على محمد وعلى آله الطيبين وسلم)). إلى جانب الشهادتين((لا إله إلى الله محمد رسول الله)) كما هو الشأن بمنبر مسجد ندرومة، وتنتهي هذه الصيغ بعبارة ((بركة))التي تزخرف الحشوة اليمنى من إطار المحراب.

-**الكتابة التذكارية:** تخلد تاريخ البناء وتتصدر قاعدة القبة التي تتقدم المحراب، وحافة الحزام من المقصورة المحفوظة بمتحف تلمسان.

إذا ما تطرقنا إلى خصائص هذه الكتابة نجدها تشغل كل الحافة المربعة لقبة الجامع،نفذت بالخط النسخي المغربي الأندلسي على الجبس، ولا تتخلل عباراتها أية زخرفة حتى تحافظ على مظهرها الجمالي[156]، وهي ذات قيمة أثرية وتاريخية تحمل اسما مطموسا، وبقي التاريخ ظاهرا يسمح لنا بإرجاع الأثر إلى الأمير يوسف بن تاشفين، الذي خلف ولده في الحكم سنة(500هـ/ 1106م).

-2-3-2-3-6توزيع العناصر النباتية:

ظهرت في الفترة المرابطية أشكال زخرفة نباتية ذات تغيرات كثيرة، منها :

- **الأشكال البسيطة**: نجدها متمثلة في القبة ذات الأضلاع المتقاطعة وأقواس البلاطة.
- **الأشكال المركبة:** تتميز هذه الزخرفة بالثراء والتنوع، حيث نشاهدها في المسجد الجامع تزخرف الحافة المستطيلة الثانية للمحراب، وأنصاف المغازل المخرمة بقبة الجامع .
- **سعف النخيل:** هذه الأوراق مرت بنفس التغيرات التي حدثت بالسيقان ، غير أننا نجد النموذج الذي أخذته هذه الأوراق هي ورقة الأكانتس القديمة[157] ؛ أي ورقة الأكانتس المنبسطة أو المفروشة على الواجهة الأمامية بتفريعاتها الأصبوعية الشكل والعرق العمودي- وهي تزخرف الإفريز الموجود بإطار المحراب، والورقة المطوية تتبع العرق الأوسط وهي تزين قاعدة القبة، وأخيرا الأوراق ذات الاتصال البعيد بورقة الأكانتس البدائية[158]، إما أن تكون ملساء أو أصبوعية وهي الأكثر استعمالا .

6-3-2-3-2- توزيع العناصر الهندسية:

يبدو أن الزخرفة الهندسية لا تحتل مكان الصدارة، إذا استعملها الفنان ألمرابطي في زخرفة المسجد الجامع، وهي تؤطر الحواف المختلفة و الحشوات المتموجة للمحراب .

6-3-2-3-3- توزيع العناصر الحيوانية (الثعبانية):

إن الأقواس الأكثر استعمالا في الزخرفة الثعبانية، وهي الأقواس المفصصة التي لفتت انتباه المهندسين المسلمين، الذين ابتكروا ما يشبه الزخرفة الثعبانية، ويبدوا ذلك ظاهرا في المسجد الجامع بتلمسان انتقالا من الدعامة إلى القوس، على أن جميع الأقواس المفصصة لبيت الصلاة،حملت على دعائم متعامدة الشكل ما عدا الموجودة بالبلاطة المركزية[159]، ففي قوس الأسكوب الثاني من الناحية الشرقية، قوس بيت الصلاة، توجد ربعيه تأخذ عنصرا ثعبانيا، وجميع الأقواس المفصصة لبيت الصلاة محمولة هي الأخرى على دعائم متعامدة، باستثناء أقواس البلاطة المركزية التي زينت بزخرفة على شكل علامة استفهام. و خلاصة القول:أن الزخرفة الثعبانية استعملت للانتقال من الدعامة إلى القوس.

6--4المحراب في عصر الزيانيين:

6-4--1 محراب مسجد سيدي أبي الحسن.

6-4-1--1 -المحراب من الداخل:

يعتبر هذا المسجد من أهم المساجد الزيانية التي تعود إلى سنة (669هـ/1296م)، وقد أخذ اسم القاضي أبي الحسن الذي عاش في عهد أبي سعيد عثمان يغمراسن[160]، ويعتبر من أجمل المساجد الزيانية في مدينة تلمسان، إذ يعطينا نظرة كاملة على المدى الذي وصل اليه الفن الزياني من تطور في العمارة كما يمتاز عن باقي المساجد الأخرى المعاصرة له من حيث دقة الصنع وجمال الزخارف، رغم وجود بعض التأثيرات الخارجية التي استجلبت من الأندلس والشرق الأوسط، غير أنها انصرفت في قالب زياني ظهر في الآثار التي خلفها الأمراء الزيانيون بحيث تعد من أهم الآثار التي لا تزال تقاوم الزمن، كمحراب المسجد الذي يعتبر من أروع النماذج الإسلامية في الفن والعمارة بالمغرب الأوسط.

6-4-1-1--1 التخطيط:

يتصدر منتصف الحائط الجنوبي الشرقي، له شكل خماسي الأضلاع ارتفاعه 1،60م وعرضه1،30م وعمقه1،70م، طول الأضلاع المتعامدة مع المحراب 1،30م، هذا المحراب قريب الشبه من محراب المسجد الجامع بتلمسان أي الطراز المرابطي، حيث نجد القبيبة والكورنيش المثمن الأضلاع، ولائحات مستطيلة الشكل، وكورنيش مخمس الأضلاع (**مخطط رقم:08**)(صورة رقم:10).

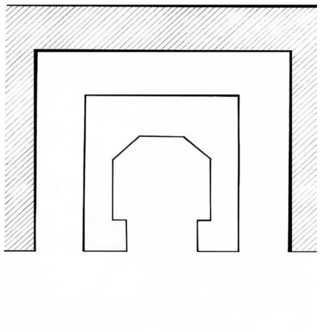

مخطط رقم : 21 مقطع افقي لمحراب مسجد ابي الحسن مقياس الرسم 001/1

صورة رقم : 01 واجهة محراب مسجد ابي الحسن

يعتبر هذا المحراب أجمل مثال للفن الزياني في الزخرفة الجصية من حيث النوع في الزخارف والمواضيع المختارة، إذا يحمل قوسا حذوي الشكل متجاوزا تتناوب فيه الزخارف الكتابية والهندسية سيرد لكلام في حينها.

-2-1-1-4-6 القبــة :

تغطى محراب المسجد قبيبة ذات مقرنصات، تقوم على قاعدة مثمنة الشكل، مرتكزة على ستة عقود حذوية الشكل، صغيرة مفصصة تحملها أعمدة اسطوانية من الجض، وتزين هذه القاعدة كتابة نسخية فوق أرضية نباتية متمثلة في الرقبة، وبمعنى أخر فمكان الانتقال يتم من المثمن إلى الدائرة، وبعد ذلك تأتي القبيبة التي تغطي المحراب المزينة بالمقرنصات، وفي وسطها زخارف نباتية، عبارة عن زهيرات متداخلة تشكل في الوسط نجمة،[161].

نجد هذه التغطية في محراب جامع القرويين بفاس، وجامع تنمل،وجامع الكتيبة بمراكش، يبلغ قطر قبيبة محراب مسجد سيدي أبي الحسن1،10م وعمقها 0،78م.

لقد أعطى كل من وليام وجورج مارسي نظرة إجمالية لهذه القبة ومسقطها هندسيا[162]، فهي ذات شكل مثمن الأضلاع تنتهي بقبيبة مركزية ذات أخاديد،تتألف من عناصر زخرفية،سأتحدث عنها في القسم الخاص بالزخرفة.

هذه القبيبة تتكون من مستطيلات مقوسة ومثلثات ومنحنيات وأشكال مختلفة وأسطوانات تعلوها كرات، ويتم الانتقال من المخطط الخماسي الأضلاع للمشكاة إلى المخطط المثمن للقبة،كما هو الحال للمسجد الجامع بتلمسان، وتعد قبيبة محراب مسجد سيدي أبي الحسن الوحيدة، التي بنيت على المخطط الخماسي والزاوية القائمة لهذه الأركان مزدانة بعناصر من المقرنصات، ويتم تكوين مربعين متداخلين وأربعة رؤوس حيث يوجد،هذا التخطيط يسمح بالامتداد الزخرفي لبقية أجزاء القبة، وتتميز هذه القبة بخاصية منفردة من حيث استخدام اللون،الذي يبدو في شكل مغازل مستطيلة بين الأخاديد (الصورة رقم:11).

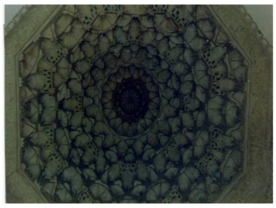

صورة رقم : 11قبيبة محراب مسجد ابي الحسن

أما فيما يتعلق بأرضية المحراب فقد فرشت ببلاطات مربعة من الجص، ساعدت على إيجاد تناسق وانسجام بين الأرضية والمظهر العام للمحراب، هذا مما يوحي ببراعة الفنان المغربي الذي استوعب الأساليب الأندلسية والمشرقية، حيث بلورها في قالب جديد متميز، يظهر في الانسجام بين الزخرفة ومواد البناء التي تتكون من مادة الجص.

-2-1-4-6 المحراب من الخارج .

6-4-1-2--1 العقـد:

إن الشكل خماسي الأضلاع للمحراب قد ظهر لأول مرة في العمارة الإسلامية بالمسجد الجامع بتلمسان، الذي اقتبسه بنو عبد الواد، و أدخلوا عليه بعض التحسينات، بعد ما كان المحراب المرابطي يبدو ضيقا عند فتحته، بينما نلاحظ اتساع المحاريب الأخرى التي نحن بصدد دراستها لا تختلف عن بقيت المساجد، كما نوضح أبعاد فتحتي محراب سيدي أبي الحسن ومحراب مسجد أولاد الإمام[163] في (جدول رقم: 04):

الأبعاد بالمتر	محراب مسجد سيدي أبي الحسن	محراب مسجد أولاد الإمام
1- العرض	1.30 م	1،18 م
2 - العمق	1.70 م	1.64م
3-الأضلاع المتعامدة مع المحراب	1،36م	1،24 م

جدول رقم 04: تبين أبعاد فتحتي المحراب

وعلى ضوء المعطيات السابقة، يمكن القول أن عقد كل من المحرابين السابقين على هيئة نصف دائرة منفرجة، تعطينا الأبعاد التالية (**جدول رقم: 05):**[164]

1-القطر	**1.11م**	**1،20م**
2-قمة القبة	0،90	1،90م
3-فتحة القاعدة	0،90	1،95م

جدول رقم05: تبين أبعاد فتحتي المحراب

-2-2-1-4-6 العمودان:

من خلال الدراسة الميدانية تبن لنا ان صناعة عمودي المحراب قد شكلت من مادتي الجص و العقيق، ارتفاعها 1،90م وقطرها 0،15 سنتم، بينما نجد الجزء السفلي أسطواني الشكل ارتفاعه 0،14 سنتم وعرضه 0،16 سنتم.

يرتكز عقد المحراب من الجهتين على شكل متوازي المستطيلات، الذي يعلوا التاج ويبلغ ارتفاعه 0،27 سنتم أما الجزء السفلي يسبق التاج فقد زخرف بعنصر نباتي ملتوي، يليه الجزء العلوي الذي يمثل التاج على هيئة شكل مربع، وقد زخرف هو الأخر بتشبيكة من الأوراق والسيقان، قوامها محارة مركزية)، و قد زينت هذه المحاريب بأوراق، بعضها يلتف نحو الأعلى و البغض الآخر يتجه إلى الأسفل، كما احتوت هذه الوراق على مجموعة أخرى من المراوح النخيلية، ذات فص واحد، تخرج منه سيقان تلتحم مع بداية مراوح نخيلية أخرى[165]

والملاحظ أن التيجان في هذا المحراب تعد من أجمل الأمثلة المغربية في العمارة الإسلامية، و هي تشبه في هيئتها إلى حد كبير التيجان الأندلسية، التي ظهرت في طراز قصر الحمراء، و الخلاف الوحيد الذي يكمن بينهما يظهر في الزخرفة.

-3-1-4-6 العناصر الزخرفية:

نظرا لثراء وغناء العناصر الزخرفية التي شكلت دور رئيسيا في بناء المحراب حيث تنوعت

موضوعاتها بتنوع أسلوب الخط الذي نفذت به نصوصها الكتابية، وقد لاحظت عند دراستي لهذا الموضوع أن الفنان اعتمد خطين رئيسين هما: الخط الكوفي والخط النسخي،سنتطرق لهما بالدراسة في الفصل الخاص بالكتابة:

أما بالنسبة للعناصر الكتابية في محراب مسجد سيدي أبي الحسن،فقد نفذت ضمن أشكال هندسية منتظمة، بها آيات قرآنية على أرضية من التوريق العربي[166]وذلك حسب توزيعها على الأجزاء التالية:

- **إطار المحراب: يشمل الأجزاء الآتية:**

- **الجزء العلوي:**

يشكل فتحة نصف دائرية منفرجة، نقشت بداخلها(صورة الإخلاص)التي تشغل المربع ،و (البسملة وسورة الفاتحة والشهادة) كتبت داخل إطار من الزخرفة النباتية (**شكل رقم 18،19:**).

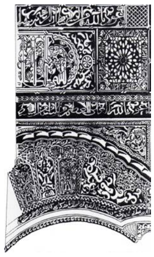

شكل رقم: 81 نماذج من الزخرفة تزين كوشة محراب مسجد سيدي ابي الحسن

91 نماذج من الزخرفة الجصية تزين محراب مسجد ابي الحسن

- **حنية العقـد:**

لم يبق من الزخرفة الزيانية سوى عقد محراب مسجد سيدي أبي الحسن، وهي موجودة بين فتحة العقد وعقد آخر من نفس الشكل، مفصصة ومركزة بالنسبة للأول، تبدو على غرار فتحة المسجد الجامع بتلمسان.

إن مساحة المركز بالنسبة لهذين القوسين قد شكلت نوعا من مقياس التناسب، وهي

محفورة سبع مرات في قطر الإطار الصغير[167] وأثنى عشرة مرة في الإطار الكبير وستة في قمة فتحة العقد، وتحتوى هذه الحنية على ما يلي:

- ✓ إفريز يحتوي على نتوءات تشبه النجارة رباعية خالية من الزخارف.
- ✓ خيط ذو بروزات.
- ✓ حافة ذات كتابة نسخية، تحتوى على آيات قرآنية كما جاء في قوله تعالى ((اللهُ نُورٌ السَّمَاوَاتِ وَالأَرض مَثَلٌ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ اَلْمِصْبَاحٌ فِي زُجَاجَةٍ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِيٌّ يُوقَدٌ مِن شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لاَ شَرْقِيَّةٍ وَلاَ غَرْبِيَّةٍ يَكَادٌ زَيْتُهَا يُضِيءٌ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَىَ نُورٍ يَهْدِي اللهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءٌ وَيَضْرِبٌ اللهُ اْلأَمْثَالَ لِلنَّاسِ َواللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمْ، فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ، يُسَبِحٌ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَال رِجَالٌ لاَ تُلْهِيهُمْ تِجَارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَ إِقَامِ الصَلاَةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ)[168]صدق الله العظيم.

❖ **صنج العقد:** البعض منها مزين بكلمة (الله)،التي فصلت وحدها في شبكة من ورقات النخيل.

❖ **الحافة المفصصة:** تتألف من نصوص كتابية تعتبر تكملة للكتابة السابقة، ويحتوي على ما يلي:

((أعوذ بالله من الشيطان الرجيم صلى الله على سيدنا محمد وعلى أله وصحبه وسلم تسليما)).

((يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إلاَّ وأَنْتُم مُّسْلِمُونَ واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إدا كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً ونتم على شفى حفرة من النار فأنقطكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون))[169].

(هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله)[170] (وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيراً))[172].

❖ **الحواف المستطيلة:**

لا تزال شاخصة في هذا المسجد، تزينها كتابة من الخط ألنسخي مقسمة إلى ثلاثة أقسام،تفصلها وردتان تشغلان زوايا المستطيلين العلويين.

❖ **الحافة ذات الكتابة الكوفية:**

بالنسبة لواجهة المحراب فقد ظهر بها الخط الكوفي بشكل هندسي، ونفذت به الصيغ الدينية على أرضية نباتية من الرقش العربي، أو التو ريق بأشكال هندسية مستطيلة.

تتألف الكتابة من ثلاثة أشرطة مستطيلة، و أربعة مربعات نشغل أركان المستطيل، توجد بداخلها إطارات مزخرفة تنتهي بعقود نصف دائرية ذات نطاقات مقوسة، وهي تدل بدورها تضم كتابة كوفية.

أما بالنسبة للحافة المستطيلة العليا اقتصر ظهورها على مسجد سيدي أبي الحسن، حيث تتكون من ثلاثة أشرطة وأربع مربعات حليت بنصوص كتابية نسخية.

❖ **اللوحة الأفقية العليا:**

تشغل طول البائكة كتابة تؤثثها شبكة زهرية هندسية تحتوي على نجوم ذات ثمانية أقطاب، بمقياسين مختلفين من أشكال سداسية مستطيلة، قائمة في وسط أضلاعها الكبرى زائدة مثلثة غير منتظمة ذات أربعة أقطاب.

❖ **المويجة**[173] : اقتصر استعمالها على جامع سيدي أبي الحسن، وتتألف من لوحتين مستطيلتين، تحتويان ما يلي:

- حافة مزخرفة بكاتبة من الخط النسخي .
- حافة ذات زخرفة هندسية مزدانة بمعينات.
- شريط مستطيل زخرفي ينتهي بعقدين نصف دائريتين مفصصين مؤنثين بكتابة كوفية. يمكن أن نقرأ على اللوحة اليمنى العبارة التالية:

(بنى هذا المسجد الأمير عامر إبراهيم أبن السلطان أبي يحي).

وعلى اللوحة أليسرى (يغمراسن بن زيان في سنة ست وتسعين وستمائة من بعد وفاته رحمة الله)،هذه الكتابة تقع على لوحة رخامية مقاساتها متر واحد على 0،53 سنتم مثبتة في الجدار الغربي،كما نجد نظير هذه الكتابة في إفريز المحراب،على لوحتين مستطيلتين من الجبس المنقوش، كلنا هما تحيط بها حاشية مستطيلة وشيت بأدعية ذات أحرف عادية، وفي وسط الكتابة التذكارية حروف كوفية مزدانة برهيرات[173].

نلاحظ أن الكورنيش الخماسي الشكل قد حظي هو الأخر بالزخارف الكتابية التي تحمل

مواضع مختلفة، نظرا لأهميتها والتي تعتبر جزء مكملا لهذه الزخارف.

❖ **الكورنيش العلوي بقبيبة المحراب:**

على هيئة ثماني الأضلاع، زخرف بكتابة من الخط ألنسخي، وقد قسمت إلى سبعة أقسام بواسطة وريدات تشغل الزوايا السباعية . كالأتي:

-1-3-1-4-6 توزيع العناصر النباتية:

يمكن تحديد الزخرفة النباتية التي تزين واجهة محراب مسجد سيدي أبي الحسن فيما يلي:

✓ **الأوراق**: تعد عنصرا رئيسيا في زخرفة المبنى، إذا تعدد أنواعها واختلفت أشكالها، فنجد الورقة التخيلية البسيطة و إ المزدوجة الملساء ، والمزدوجة المفرغة، أما المراوح النخيلية التي ظهرت بشكل كبير بالزخرفة الزيانية، ولا سيما في جامع سيدي أبي الحسن بصورتين، إحداهما بسيطة ذات فص واحد، بينما الثانية ملساء ويبدو أن المروحة النخيلية الملساء قد ساد استعمالها بشكل واسع في الزخرفتين الزيانية و المرينية.

وهكذا ظهرت منفردة أو متقابلة تضم ساق مرنة، تلتصق في غالب الأحيان في نهايات الحروف أو بداية أوراق أخرى، مثل الورقة النخيلية التي تشكل شبكة من الزخارف، قوامها سيقان ومراوح نخيلية مشبكة، وفي بعض الأحيان تمتزج مروحتان تخيليتان معا،تجمع بين مروحة ملساء مكونة من فص واحد استعملت كأرضية لمروحة مكونة من فصين[174]

وهنا نلاحظ أن المروحة النخيلية الملساء قد استعملت في هذا المجال كأساسات لعناصر نباتية متشابكة، وكأرضية قاعدية للزخرفة الكتابية، تزين كوشاة عقود الجدران و صنجات عقد المحراب[175] .**(شكل رقم: 20).**

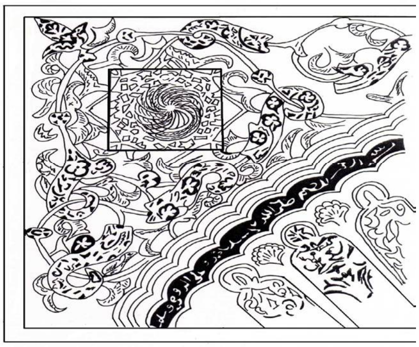

شكل رقم : 02 نماذج من الزخرفة تزين كوشة عقد محراب مسجد سيدي ابي الحسن .

أما في الأندلس فقد تجسدت في زخارف الزهراء، التي تعتبر المثال الأول الذي استوحى منه الفنان المغربي الأساليب الفنية، جاعلا الورقة النخيلية ذات الكأس المتوسط وبنفس الكيفية التي جعلها الفنان الزياني في أشكال ثانوية، تمثلت في شكل علامة الاستفهام أو النجمة[176] وفي حالات أخرى تتخذ المروحة النخيلية شكلا صغيرا، مزينا بزخارف على الحواف تشبه الحلزون أو الثقب الصغير، كمال زخرفت الأخرى بزهيرات أو مثلثات صغيرة. [177] كما استعمل فنانو العصر الزياني و المريني المروحة النخيلية الملساء،لأنها سهلت عملية الزخرفة خاصة بالنسبة للتشبيكات النباتية المعلقة، التي زخرفت بها المساحات المنتظمة،مثل الجدران وواجهات المحاريب[178]والحواف والنوافذ المخرمة(**شكل رقم:21**).

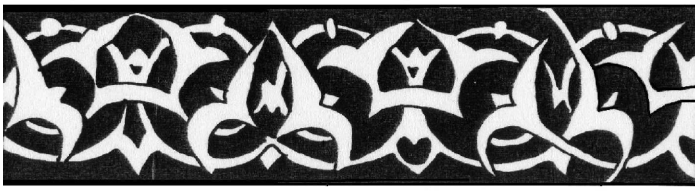

شكل رقم 21:نماذج من الزخرفة التي تزين إطار المحراب.

- ✓ **السيقـان:** ظهرت بشكل بسيط في ضفائر وعناصر نباتية ملتصقة وتشبيكات مختلفة ومتنوعة اتخذها الفنان كعنصر نباتي لربط المراوح النخيلية التي شكلت مع السيقان.
- ✓ **الأشكال المركبة** : تتمثل في التشبيكات النباتية (الأرابيسك)، تقوم الأولى على تجمع المراوح النخيلية الملساء، أو المزدوجة فوق أرضية من السيقان الرقيقة و الزهيرات، إلى جانب المراوح النخيلية الصغيرة ذات الفصين، وقد كونت هذه العناصر الزخرفية شبكة واحدة من الزخرفة ،نجدها محاطة بإطارات مستطيلة الشكل تحمل كتابات، وتمثل هذه الشبكة الزخرفية أرضية من الكتابات، تظهر على هيئة ضفـائر معقـدة، نجدها في كوشـاة العقـود وواجهـة المحراب[179] ويمثل هذا النوع من الزخرفة إحدى خصائص الزخرفة الجصية في القرن 7 هـ/13 م، التي سادت في كل العمائر الزيانية و المرينية رغم الاختلاف الذي نلاحظه في تنوع العناصر التي تكون هذه الزخرفة.

وقد نال مسجد سيدي أبي الحسن قسطا كبيرا منها، فاتخذه الفنان عنصرا أساسيا للزخرفة الجصية، وتمكن من استغلال ظاهرة الهروب من الفراغ[180]

و جديرة بالذكر، أن الزخرفة النباتية في مسجد سيدي أبي الحسن، تغلب عليها المسحة الأندلسية البحتة، وتتجلى في العناصر الزخرفية المختارة من المراوح النخيلية وكيفية تشكيلها

بطابع واحد، دون وجود أي خلط مع العناصر المعمارية من زخارف هندسية ونباتية خاصة في المحراب، والتي شكلت بطريقة أندلسية كما هو الشأن في الصنجات التي تحلى عقد المحراب مع العقود المفصصة[181] وإذا ما تتبعنا تطور العناصر الزخرفية النباتية نجد أنها الوثيقة المؤرخة للفن الإسلامي في القرن7 هـ/13 م بالمغربين الأوسط والأقصى.

-1-4-6 -2-3 توزيع العناصر الهندسية:

تشغل العناصر الزخرفية المختلفة في المحراب أهمية خاصة، ويبدو لنا ذلك جليا في توزيعها داخل الأطر، حيث استخدم الفنان الاطر بأسلوب مشابه بين بعضهما البعض محرابي سيدي أبي الحسن وسيدي أبي مدين، متخذا إياها كوحدة لتقسيم المساحة المراد زخرفتها إلى مساحات صغيرة، حتى يسهل على نفسه عملية الزخرفة في مسجد سيدي أبي الحسن، فشملت مساحة كبيرة مزجها بالزخارف النباتية والكتابية ليعطي الواجهة منظرا جماليا،أخذ أهمها وهي الإطارات المستطيلة، وكذالك تلك التي اتخذت شكل ضفائر وعناصر هندسية مختلفة، قوامها مربعات أو خطوط متقاطعة تشكل في وسطها أشكال سداسية، ويبدو أن هذا النوع من الزخرفة كان قد استعملها الفنان ألموحدي لتقسيم المساحات المزخرفة، التي نجد مثيلاتها في الزخارف الجصية في الأندلس[182]

هذا الأسلوب نفسه أقبل عليه الفنان الزياني و المريني في الزخرفة الجصية، ويتجلى ذلك في واجهتي محرابي مسجد سيدي أبي الحسن وسيدي أبي مدين، تحيط بهما أشرطة كتابية وزخارف نباتية معقدة.

6-4-1-3--3 الزخارف المركبة :

عبارة عن أشكال زخرفية ساد استعمالها في الزخارف الهندسية في محراب مسجد سيدي أبي الحسن، وتتألف من تشبيكات هندسية تقوم على عنصر أساسي هو المربع، وعلى تلعيبات وأشكال هندسية على هيئة نجوم.

أما في جامع سيدي أبي مدين نجدها تحلى أفاريز الجدران، قوام زخارفها معينات ونجوم صغيرة، وأشكال مضلعة، ومربعات متقاطعة تشكل نجوما صغيرة، كما احتوت سقوف سيدي أبو مدين على أمثلة رائعة من هذا النوع، زخارفها عبارة عن أشكال هندسية مختلفة تقوم على عنصر أساسي هو المربع، ونجوم ذات تسعة رؤوس، ومعينا أو أشكال سداسية ودوائر ومثلثات، وضعت هذه الأشكال المختلفة بمثابة لوحة واحدة لا نستطيع أن نفرق بينها، هذا ما نجده في الشمسيات الثلاث التي تحلى واجهة المحراب، ومن خلال وصف العناصر الزخرفة بواجهة

المحراب، يظهر أن الصفة المميزة لها هي الامتزاج والتزاوج والانسجام بين العناصر النباتية والكتابية والهندسية، التي أعطت للمشهد الزخرفي عامة روعة وجمالا ورونقا.

وهذا التطور الفني يدل على مدى التقدم الذي عرفه الفن الإسلامي في العصر الزياني و المريني.

الخاتمة:

لقد توصلنا من معالجتنا لموضوع تطور المحراب في عمارة المغرب الأوسط خلال العصر الإسلامي منذ بداية الفتح إلى نهاية العصر المريني، إلى عدة نتائج نرجو أن تكون ذات قيمة في مجال البحث الأثري والتاريخي لبلاد المغرب في العصور الوسطى نقتصر ها فيما يأتي على ذكر اهمها:

نستنتج من مخططات المحاريب أن شكل المحراب المجوف هو من أهم العناصر، وقد احتوى بحثنا على عدد من المحاريب المجوفة اختلفت أعماقها فبعضها عميقة والأخرى قليلة العمق،كما اختلفت زخارفها من الواحدة إلى الأخرى، ونشير هنا إلى وجود عدد من المحاريب ذات التجاويف المستديرة و البيضاوية والمستطيلة والشبه المنحرفة والمدرجة والمزدوجة و السداسية والخماسية الأضلاع منتشرة في مناطق العالم الإسلامي.

فقد كان قيام مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم من معالم قيام أمة الإسلام في المدينة، ثم تطورت الجماعة ونمت واتسعت وتطور الجامع معها دائما واتسع وما من دولة إسلامية قامت في الحجاز أو كان لها عليه سلطان، إلا أضافت إلى المسجد شيئا أو أعادت بناءه إلى يومنا هذا، ومن هنا نستنتج أن تاريخ مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم، هو سجل لفصول حافلة من تاريخ معظم دول الإسلام الكبرى في المشرق والمغرب.

كشفت هذه الدراسة أن المحاريب تطورت تطورا بعيدا، وأخذت أشكالا شتى في مختلف طرز العمارة الإسلامية، وأصبحت على مر العصور ناحية من نواحي التنافس والابتكار بين المعماريين.

ويجمع العلماء على أن محراب مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم الأول في المدينة موجهة نحو الكعبة بغاية الدقة، ولهذا قيل لا يجتهد في محراب رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه صواب قطعا إذ لا يقر على خطأ، أي أنه عليه الصلاة والسلام لا يوافق على خطأ، ومادام قد صلى إليه فهو صحيح، فلا مجال للاجتهاد بخلاف محاريب المسلمين، والمراد بمحرابه عليه

الصلاة والسلام مكان مصلاه، فإنه لم يكن في زمنه محراب.

وكان المسلمون يجدون صعوبة في تحديد مواقع محاريب المساجد، لأن ذلك يتطلب معرفة دقيقة بعلم الفلك لتحديد اتجاه الكعبة بالدقة، والظاهر أن الكثير من المحاريب وضعها من ليس له معرفة بهذا الفن ولا حرر فيه التحرير التام، وتركت كذلك تبركا ومقتدين بمن نصبها كما في جامع عمرو بن العاص عندما جدده عمر بن عبد العزيز واتخذ فيه محراب مجوفا، ومسجد ابن طولون، ومحراب عقبة بن نافع أثناء الزيادة، ومحراب المسجد الجامع بقرطبة الذي لم تكن قبلته صحيحة التوجيه، فقد تحدث الفقهاء في ذلك فلانحراف قليل.

إذن فالنوع الأول هو التجاويف ذات الشكل المستدير، وأقدم محراب من هذا النوع هو المحراب المسجد الجامع بالقيروان الذي يعود إلى العصر الأموي.

و نستخلص من هذه الدراسة أن هذا المحراب ابتكار ظهر في المغرب الإسلامي على يد الصحابي عقبة بن نافع وأصحابه، ضل طوال السنين موضع إجلال وتقديس لم يمسسه أحد، هذا التجويف المستدير نراه من بين خروم زخارف المحراب الجديد ونقوشها، وبعد تكسية بالبلاطات الزخرفية اتخذ شكلا ثماني الأضلاع، قوسه على شكل جذوة الفرس عرضه 1،98م وعمقه1،58م ، أطلق عليه اسم الطراز المغربي، ولم تجري عليه تجديدات إلا في عصر الولاة في أواخر القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي ، وأهم خصائص هذا الطراز هو أن جدار القبلة يصل إلى ارتفاع نحو مترين بالمربعات الخزفية وتترك بقية الجدار بيضاء، وقد تزين بزخارف جصية.

أما المحراب المجوف يكون بسيطا وهو في الغالب من الرخام، والسبب الرئيسي في احتفاظ الطراز المغربي بشخصيته وتطوره داخل نطاق الخصائص المميزة لكل جزء من أجزاء المبنى، هو أن المغرب لم يتعرض منذ دخول الإسلام لأي تيار ثقافي خارجي إلى مطالع العصر الحديث، فبينما بلاد المشرق الإسلامي تعرضت لعدة تيارات ، فكان لذلك أثر في تغير أشكاله وطرزه المعمارية، وظل المغرب الإسلامي من حدود إفريقية-تونس على الأقل إلى المحيط الأطلسي- بعيدا عن هذه التيارات مما أتاح للمعماريين وأهل الفن الفرصة للتطور بفنونهم على نفس الأصول وفي نفس الخطوط مما أضفى على الفنون المغربية أصالة فريدة.

ولم يتعرض المغرب لتأثير خارجي إلا من ناحية الأندلس، فكانت العمارة الأندلسية دائما ذات أثر بعيد في عمائر المغرب خاصة بعد قيام الدول المغربية الكبرى-دولة المرابطين والموحدين وبني مرين-وامتداد سلطانها على الأندلس، فأصبح المغرب وما بقي من الأندلس بلدا وحدا -سياسيا وحضاريا- في تبادل التأثيرات، وفي العمارة يمكن القول أنه أصبح لها طرازا معماري

واحد.

أما العصر العباسي فقد تميز بوجود عدد كبير من المباني الدينية اخترت منها نموذجين، محراب أبي جعفر المنصور،الذي ينفرد بشكله المستدير،أي يشبه الهلال وقليل العمق لا يتجاوز 33سنتم وسعته فتحته 65 سنتم. ويتبين لنا أن هذا المحراب يتخذ شكلا مجوفا كما جرت العادة في محاريب العصر العباسي، مكون من قطعة واحدة ذات الرخام المجزع بالصفرة المجلوب من بلد الشام.

أما النموذج الثاني هو التخطيط الثماني الأضلاع الذي يعد حسب هذه الدراسة النموذج الأول في العمارة الإسلامية بهذا التخطيط، يتمثل في محراب المسجد الجامع بقرطبة الذي أطلق عليه اسم الطراز الأندلس ولد مع بناء المسجد على يد عبد الرحمن الداخل ،وأهم خصائص هذا الطراز رصانة البناء والإبداع في الإحكام وتوازن العقود،كما زينت الجدران في أعاليها بشمسيات رخامية وفي داخل كوة المحراب بأشكال أعمدة صماء.

و نستنتج أن هذا المحراب أنجز بنفس الطريقة التي تم عليها النموذج الأول من حيث مواد البناء التي جلبت هي الأخرى من الشام، أما أوجه الشبه فيمكن حصرها في نقطتين أساسيتين هما:

-1**النقطة الأولى** تندرج في أن المحراب مكون من قطعة واحدة، بينما الثاني مكون من عدة قطع تتمثل في الألواح المشكلة في كوة المحراب.

-2**النقطة الثانية** تتمثل في وضعية القبيبة التي وضعت في النموذج الأول نواتها تتمركز في الوسط في حين نجد الثانية جانبية مع احتفاظ القبيبتين بشكلها الموحد الذي جاء على شكل محارة.

أما إذا تطرقنا إلى عصر المرابطين فنجده يتميز بحركة البناء والعمران حيث خلفوا لنا مجموعة من الآثار اخترنا منها نموذجين يتمثلان في محراب مسجد القرويين بفاس والمسجد الجامع بتلمسان، وقد تبين من دراستهما أنهما يتخذان نفس التخطيط وينفرد كل منهما بالشكل الخماسي الأضلاع والسداسي الزوايا، وقد خرجنا من دراستنا بمجموعة من الملاحظات أهمها:

- ✓ التخطيط: يعتبر ابتكار جديد يظهر لأول مرة في عمارة المغرب، حيث طبقت قاعدة التخطيط الخماسي الأضلاع ،وبلغت أبعاد ومقاسات محراب مسجد القرويين بفاس ، أي

أن فتحة عبارة عن قوس أكثر من نصف دائرة يبلغ قطره1،55م و ارتفاعه ر1،30م واتساع فتحة القوس1،10م، أما مقاسات النموذج الثاني فهي كالأتي: قطر الدائرة 1،53م وارتفاعها 1،31م، واتساع فتحة القوس 1،08م .

- ✓ من خلال ما تقدم نستنتج أن المرابطين ليسوا أول من استعمل المحراب المضلع بل ظهر في محراب المسجد الجامع بالقيروان ومحراب مسجد واسط ومحراب مسجد سامراء وأبي دلف وبن طولون .
- ✓ التغطية-قبيبة المحراب-جاءت في نموذج الأول مكونة من مقرنصات طويلة نسبيا انفرد بها هذا المحراب وفي النموذج الثاني جاءت على شكل خلية النحل وهذه الدقة توحي بنضج الفنان وتطوره في أساليب الزخرفة.

نظرا للفرق الزمني الذي يفصل بين عمارة المرابطين وبيني زيان ودخول تقاليد الفن الأندلسي من غرناطة والمغرب الأقصى إلى المغرب الأوسط كانت منشئات بني عبد الواد أندلسية الطراز، وبهذا استخلصنا مجموعة من أوجه الشبه والاختلاف تتمثل فيما يلي:

- ✓ مسجد سيدي أبي الحسن من أجمل المساجد التي ظهرت في عهد المرابطين.
- ✓ نظام التغطية المتمثل في القبيبة فقد جاءت بنفس الطريقة المعروفة عند المرابطين وتطورت لتصبح على هيئة خلية النحل .

هذا المحراب أجمل مثال للفن الزياني في الزخرفة الجصية من حيث تنوع الزخارف والمواضيع المختارة.

- ✓ البساطة في بناء المحاريب الشعبية التي تقترب من البداوة وتنطق بإيمان صحيح وتعبر عن إسلام صاف لا تشوبه شائبة، ولا تكلف فيه تقتصر على الحد الأدبي من عناصر العمارة المساجدية، منها مسجد أولاد الإمام الذي أنشئ خصيصا للأستاذين الأخويين، أبي زيد عبد الرحمن وأبي موسى عيسى.
- ✓ تخطيط محرابه جاء على نمط تخطيط مساجد المرابطين.
- ✓ كما استخلصنا من دراسة قبيبته أنها مكونة من مادة الجبس تحمل مقرنصات، بخلاف قبيبة محراب مسجد سيدي أبي الحسن المكونة من نفس مادة الإطار.

لم يكن بنوا مرين أقل عناية في إنشاء المساجد بالمغرب الأوسط من بني عبد الواد أنفسهم،

وإليهم يرجع الفضل في إنشاء مسجد سيدي أبي مدين شعيب بن الحسين قطب الصوفيين في المغرب، ويعتبر هذا الأثر من أجمل المساجد الأندلسية الطراز في المغرب كله.

- ✓ ومن بين النتائج التي استخلصنا ها، أن محرابه أندلسي الطراز، وهو صورة طبق الأصل لمحراب المسجد الجامع بقرطبة، كما ينفرد بالتخطيط الخماسي الأضلاع الذي عرف عند المرابطين،وينفرد بالألوان الزاهية-الأحمر القائم الأرجواني والأخضر الفاتح والأزرق والأبيض-هذه الألوان ألفت بها الزخارف بأنواعها، المختلفة.
- ✓ و جاءت القبيبة بنفس الأسلوب الذي ظهر في عهد الزيانيين-المقرنصات الدقيقة الصنع، إلى جانب وجود ميزة البساطة في هذا العصر ، التي تتمثل في محراب مسجد سيدي الحلوى ذلك الزاهد الأندلسي الذي هاجر إلى المغرب، ومن خلال دراسته توصلنا إلى أن محرابه خال من أي زخرفة، ما عدا كتابة نسخية دقيقة مطموسة تزين تيجان الأعمدة بالجزء العلوي.
- ✓ كما استخلصنا أن المواد المستعملة في بنائها هي: الرخام و الجص اللذان كان أكثر المواد استعمالا في عمارة المغرب الإسلامي، كما تعددت ألوانه منها: الأصفر والأبيض، التي استعملت في محراب جامع المنصور ببغداد وكذا المسجد الجامع بالقيروان والمسجد الجامع بقرطبة وزودت بالمادة الجصية للربط بين أجزائها.

وقد تميزت مباني المرابطين و الزيانيين و المرنيين باستخدامهم لمادة الجص، واستعمال الجص معروف في الفن الإسلامي منذ العصر الأموي وكل الطرز عرفته واستخدمته بطريقة مبتكرة، فهو ليس مجرد مادة تعطي بها الجدران لتخفي ما وراءها أو تسد بها الشقوق، ولا تستعمل كأرضية لعمل بعض الزخارف، بل كان يستخدم لتغطية مساحات صغيرة وسط زخارف لإضافة زخارف من ألوان أخرى، وينقش ويوضع داخل إطارات ويغطى بالكتابات والزخارف، أي لعب دورا رئيسيا لإكمال تشكيلة العناصر المعمارية نفسها.

وكشفت هذه الدراسة أن مساحات واجهات المحاريب مغطاة بالجص المنقوش داخل أفاريز أو بطون القباب التي تغطى تجاويف المحاريب، وتطور استعمال الجص في أشكال العمارة المغربية ، ويتمثل في محراب مسجد القرويين بفاس ، والمسجد الجامع بتلمسان، وسيدي أبي الحسن وأبي مدين. و أن جل الزخارف المستعملة بكثرة هي: الزخارف الكتابية و النباتية.

إن هذه النتائج المتواضعة التي توصلنا إليها في العمارة الدينية-المحراب-ليست نتائج نهائية، بل هي بعض ما توصلنا إليه من خلال الدراسة النظرية المتمثلة في الوثائق التاريخية والمصادر الأثرية، مدعمة ببحوثنا الميدانية لإضفاء طابع البحث العلمي الأكاديمي على موضوع دراستنا.

إن تاريخ تراثنا الإسلامي المغربي غير مستغل بشكل جدي لذلك نأمل أن تكون محاولتنا هذه إضافة جديدة في مجال دراسات تطور العمارة الإسلامية بالمغرب الأوسط في العصر ألإسلامي، و إنارة لبعض المسائل التي لم تأخذ في رأينا حقها من البحث.

هوامش البحث:

1. ابن منظور(أبو الفضل جمال الدين) لسان العرب_طبعة الدار المصرية للتأليف والترجمة،ج 1ص.296.
2. الجوهري(إسماعيل بن حماد)، تاج اللغة العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، نشره حسن شربتلي، مطبعة دار الكتب، مصر، ج5،ص .1795.
3. ابن منظور المصدر السابق،ج1،ص.296.
4. الزبيدي (محب الدين)، تاج العروس،الطبعة الأولى المطبعة الخيرية،مصر1306هـ/1888م،ج1،ص.205-206.
5. المصدر نفسه، ج 1، ص 207.
6. ابن منظور، المصدر السابق، الزبيدي المصدر السابق.
7. الأتراص، تراص الشيء أي الإحكام والصنعة، ابن منظور المصدر السابق، ج7، ص.40.
8. السكري(أبو سعيد الحسين بن الحسين)، شرح أشعار الهذيلين، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، وراجعه محمود شاكر،مطبعة دار العروبة، القاهرة 1385هـ/1965م، ج2، ص 489.
9. أقيال، ساعة الظهر أي القيلولة، المنجد في اللغة والإعلام، الطبعة الحادية والثلاثون، بيروت 1991م،ص 666.
10. ديوان مرؤ القيس، (بن مجر بن الحارث بن محمد)، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، مطبعة الاستقامة، القاهرة، 1358هـ/1939م، ص304.
11. ابن منظور المصدر السابق، ج1،ص 297، الزبيدي، المصدر السابق ج1، ص 207.
12. ديوان عمر بن أبي ربيعة، شرحه محمد العناني،مطبعة السعادة، القاهرة ، ص31.
13. الآية 37 من سورة آل عمران.
14. الآية 39 من نفس السورة.
15. الطبري(أبو جعفر محمد)، تفسير الطبري، أو ما يسمى جامع البيان عن تأويل القرآن، حققه وعلق عليه محمود شاكر، الطبعة الثانية، القاهرة1373هـ/1954م ج22، ص 70.
16. الآية 11 من سورة مريم.
17. القرطبي(أبو عبد الله)، الجامع لأحكام القرآن، مطبعة دار الكتب، القاهرة، 1356هـ/1937م، ج7، ص 84 .
18. المصدر نفسه، ج7، ص 85.
19. الآية 13 من سورة سبأ.
20. الطبري، المصدر السابق، ج22، ص70.
21. الزبيدي، المصدر السابق، ج1، ص .207
22. السمهودي(نور الدين)، وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، مطبعة الآداب والمؤيد- القاهرة، 1327هـ/1909م، ج1، ص 264.- الزركشي (محمد عبد الله)، أعلام الساجد بأحكام المساجد، حققه أبو ألوفا مصطفي المراغي،

القاهرة 1384هـ/1964م.

23. السمهودي، المصدر السابق، ج1، ص 216.- فكري(أحمد)، بدعة المحاريب، مجلة الكاتب المصري، مجلد 14، العدد14، 1369هـ/1949م، ص308-309.
24. الشيباني (محمد بن الحسين)، الحجة على أهل المدينة، علق عليه مهدي حسين الكيلاني القادري، مطبعة حيدر أباد،1385هـ/1965م ،ج1، ص 87.
25. نفس المصدر، ج1 ،ص 88.
26. الحربة: شكلها يشبه الرمح ولكنها عريضة النصل ويقصد بها الرمح القصير، القسطلاني(أحمد بن محمد)، إرشاد الساري إلى شرح صحيح البخاري، بولاق 1293هـ/1876م، ج1،ص380.
27. العنزة: أقصر من الرمح، وفي رأسها زج، المصدر السابق، ج2، ص 182.
28. السمهودي، المصدر السابق، ج1، ص 272، والإمام محمد بن محمد بن النجار، الدرة الثمينة، حققه صالح محمد جمال، مطبعة بريل، 1374هـ/1954م، ص 73.
29. أبو عمر الأندلسي(أبو عمر محمد بم محمد بن عبد ربه)، العقد الفريد، حققه أحمد أمين وإبراهيم الأنبا ري وعبد السلام هارون، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، 1369هـ/1949م، ج1، ص 261.
30. الآية 144 من سورة البقرة.
31. القسطلاني، المصدر السابق ج2، ص 308.
32. السمهودي، المصدر السابق، ج1، ص381.
33. Sauvaget (jean),La Mosquée Omeyyade de Midine ,Paris, 1363/1947, p 145.
34. آية 11 من سورة مريم.
35. القربي، المصر السابق، ج1 ، ص .84.
36. السمهودي، المصدر السابق، ج1، ص.271.
37. القرطبي، المصدر السابق، 7، ص .84.
38. السمهودي، المصدر السابق، ج1، ص.271.
39. فكري (أحمد)، بدعة المحاريب، مجلة الكاتب المصري، المجلد الرابع، العدد14، نوفمبر 1949، ص 206-220.
40. السمهودي، المصدر السابق، ج1، ص 193.
41. السمهودي، المصدر السابق، ج1، ص 193.
42. PEDERSON (Jons) ,<under Mihrab>In Encyclopedia of Islam. Leiden,1936,Vol iii,P,486.
43. الزركشي، المصدر السابق، ص 363.
44. المقدسي (شمس الدين)، أحسن التقاسم في معرفة الأقاليم، لبدن، 1906/1324، ج1، ص.8.
45. Miles (Georg.C), Mihrab and a study in Early Islamic, iconography (arehacologia), New York , 1952,P 162.
46. إبن بطوطة(محمد بن عبد الله)، تحفة النظار في غرائب الأسفار، القاهرة 1938/1357، ج1، ص ،71.
47. سامح(كمال الدين) العمارة الإسلامية في صدر الإسلام، مطبعة جامعة القاهرة، 1971، ص .26.
48. Miles (G) , OP, Cit, p 163.
49. الكندي (أبو عمر محمد)، كتاب الولاة القضاء، مطبعة اليسوعيين، بيروت 1908/1326، ص 66 .
50. المسعودي (أبو الحسن على بن الحسن)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق معمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة،القاهرة 1958/1377، ج2 ، ص 344-345.
51. إبن جبير (أبا الحسين محمد بن أحمد)، رحلة إبن جبير، مطبعة دار بيروت ، 1959/1357، ص 188.

52. ابن بطوطة، المصدر السابق، ج1، ص، 54.
53. فكري (أحمد)، (بدعة المحاريب) مجلة الكاتب المصري، ص 306-320.
54. عبد الرحيم (غالب) ،موسوعة العمارة الاسلامية،الطبعة الاولى ،جروسبرس، بيروت،1408هـ/1988م، ص 352.
55. حسين مؤنس ، المساجد، عالم المعرفة، عدد 37، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب، الكويت، 1401هـ/1981م، ص75.
56. عبد الرحمان غالب ، ص 352.
57. زكي محمد حسن، فنون الإسلام، دار الرائد العربي، بيروت، 1981م، ص 36.
58. فكري (أحمد)، (بدعة المحاريب)، مجلة الكتاب المصري، ص 1306-320، والمسجد الجامع القيروان، مطبعة دارا لمعارف، القاهرة، 1355/1936، ص 45.
59. Sauvaget (J) , OP.cit, p146.
60. ابن الحاج،(أبو عبد الله محمد بن محمد العبد ري) المدخل، الطبعة الأولى، القاهرة، 1348/1929، ج2، ص 272-273.
61. 1- SAUVAGET j ; OP. CIT. P. 146.
62. فكري (أحمد) مساجد القاهرة و مدارسها، القاهرة، 1385/ 1965من ج 1، ص 145.
63. وجدي (محمد فريد) دائرة المعارف القرن الرابع عشر و العشرين، المجلد السابع، الطبعة الثالثة، دار الطباعة و النشر ، بيروت، 1971م، ص 627.
64. الآية 144 من سورة البقرة.
65. الآية 1 من سورة الإسراء
66. الآية 14 من سورة طه.
67. هناك رواية بن عباس الذي يؤكد كراهية الرسول(ص) قبلة بين المقدس لأنها كانت قبلة إبراهيم عليه السلام، فقال مجاهد:(من أجل اليهود قالوا: يخالفنا محمد في ديننا ويتبع قبلتنا) وقال مقاتل بن حيان(لما أمر رسول(ص) أن يصلى نحو بيت المقدس قالت اليهود يزعم محمد أنه نبي وما نراه أحدث في نبوته شيئا أليس يصلي نحو قبلتنا ويستسن بسننا،فإذا كانت هذه النبوة فنحن أقدم وأفوفر نصيبا فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك فشق عليه وزاده شوقا إلى الكعبة)، النويري ، (شهاب الدين أحمد) نهاية الارب في فنون الادب، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1375/، ج17، ص 329.
68. النويري، المصدر السابق، ح17 ، ص 329 .330.
69. النويري، المصدر السابق، ج17، ص 318.
70. قال رفاعة بن قيس و قرذمة بن عمرو، وكعب بن الأشراف، ورافع بن ابي رافع، والحجاج بن عمرو والربيع بن الربيع أبن أبي الحقيق فقالوا: يا محمد ما ولاك عن قبلتك التي كنت عليها نتبعك ونصدقك، النويري المصدر السابق، ج ، ص .318.
71. الآية 143 من سورة البقرة.
72. نفس المصدر، ج17، ص 308. و الشيباني ، المصدر السابق ،ج1،ص 88.
73. اختلف الناس في تحديد اتجاه القبلة فقيل: (أن شخصا جاء إلى عقبة في منامه، وسمع صوتا يناديه أين يضع قبلته ومحرابه، و في الصباح أخذ اللواء وكان يسمع صوت التكبير أثناء مشيه وعندما انقطع التكبير ركز اللواء وقال هذا محرابكم) ، وقبلة هذا المسجد منحرفة نحو الغرب نتيجة عدم التدقيق في استخراج سمت القبلة، ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في اخبار ملوك الأندلس والمغرب، حققه كولان وليفي برومنسال، بريل، 1368/1948، ج1، ص 20-21.
74. الآية 191من سورة أل عمران.

75. الآية 40 من سورة يس.
76. Taton(René) Hidtoire générale des Sciences antiques et médivales (P.U.F), Paris 1957,T1, P.489.
77. الأنلام (analemme) هي وصف الكرة الأرضية على سطح مستوى جيب يرسم عليه مقاطع مختلفة لدوائر ويتم هذا عن طريق خطوط عمودية على سطح، هذا ما سماه المعرضون بالإسقاط الأرنوعرافي.
78. Selizer (Paul), Le climat de L'Algérie, Impr. La Typolitho , Alger,1946, p 219.
79. Philibert (Marcel), La Quibla et le Mihrab,La grande Mosquée, Lithographie Alger, 1838.1972 p52 .
80. Commissaire (H), Tables de Logarithmes et de Valeurs naturelles des raports Division sexagesimale division décimale 6[éme] edition,Paris,1964, p 247.
81. Philibert (M), OP .cit , p 52.
82. Philibert (M), OP .Cit, p 52.
83. الميزاب يقع في أعلى الصفح الذي على الحجز، وهو من الذهب وسعته شبر واحد، وهو بارز بمقدار ذراعين والموضع الذي تحت الميزاب مظنة (مظنة الشيء= موضعه) استجابة الدعاء، وتحت الميزاب في الحجر هو قبر سيدنا إسماعيل عليه السلام، وعليه رخامه خضراء مستطيلة على شكل محراب متصلة برخامة خضراء مستديرة وكلتاهما سعتها مقدار شبر، وكلتاهما غريب الشكل رائقة المنظر وإلى جانبه مما يلي الركن الغربي قبر أمه هاجر عليها السلام وعلامته رخامة خضراء مستديرة سعتها مقدار شبر ونصف وبين القبرين سبعة أشبار، رحلة ابن بطوطة ،المصدر السابق، ص 135.
84. المقريزي، الخطط المقريزية، المسماة بالمواعظ والاعتبار، يذكر الخطط والآثار، يختص بأخبار إقليم مصر والنيل وذكر القاهرة، وما يتعلق بها، مطبعة العرفان لبنان، 1379 1959، المجلد الثالث، ص 214-215.
85. البلاذري (احمد بن يحي)، فتوح البلدان، تحقيق عبد الله أنيس الطباع وعمر الطباع، مطبعة دار النشر للمجامعيين ،1377-1957ص.20-21.
86. السمهودي، المصدر السابق، ج1، ص 106-107.
87. السمهودي، المصدر نفسه، ص، 107-108.
88. البلاذري، المصدر السابق ، ص 20 .
89. الشافعي (فريد)، العمارة العربية في مصر الإسلامية، عصر الولاة، الهيئة العامة للتأليف والنشر، القاهرة، 1970/1390، المجلد الأول، ص 75.
90. البعقوبي(أحمد بن أبي يعقوب)، البلدان، مجلد واحد من كتاب الأعلاق النفسية لابن وستة ،ليدن، 1891/1309، ص.191.
91. النويري، المصدر السابق، ج16، ص 344.
92. السمهودي المصدر السابق،ص 116، أحمد فكري، (بدعة المحاريب) ، ص 315.
93. Pederson(Jons), <Under Mihrab> In Encyclopedia of Islam,p.486
94. فكري (احمد)، (بدعة المحاريب) ، ص 308.
95. السمهودي، المصدر السابق، ص 139. وأحمد فكري، نفس المرجع، ص 315..
96. فكري (احمد) ، المرجع نفسه.
97. البلاذري، المصدر السابق، ص21.
98. فكري (أحمد)، المرجع السابق، ص .315.
99. الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير)، تاريخ الأمم والملوك، مطبعة الاستقامة، القاهرة، 1358هـ/1939 ،ج2،

ص .1194.

100. المقدسي، المصدر السابق، ج1، 81.

101. لبكري (أبو عبيد الله)، المغرب فيذكر افريقية والمغرب، الطبعة الثانية، الجزائر، 1329هـ/1911م نشره وحققه دوسلان، 1965، ص. 23. وابن عذارى المصدر السابق، ج1 نص.13.

102. المصدر نفسه، ص 22.

103. المصدر نفسه، ص 24.

104. المصدر نفسه، وفكري (أحمد)، المسجد الجامع بالقيروان، ص. 14.

105. ابن غذارى، المصدر السابق، ص 13.

106. تروى بعض النصوص أن عقبة رأى في منامه أنه أتاه أتى، وأمره أن يضع لواء، على كتفه إذا أصبح الصباح ويسير فإنه سوف يسمع تكبيرا لا يسمعه غيره، فحيث ينقطع التكبير فهو المكان الصحيح للمحراب/ ابن عذارى المصدر السابق، ص.11.

107. Marcais(G) Manuel d'art musulman,Paris, 1926, p19.

108. تم بناء المسجد بالصخر والحجر والآجر بعد أن هدم، وبني المحراب كله بالرخام من أسفله إلى أعلاه، وهو منقوش بكتابة مشكلة في شريط ،هذا الرخام مجزع بأسود ناصع البيان شديد السواد،البكري، المصدر السابق، ص 23.

109. فكري(أحمد)، المسجد الجامع بالقيروان، ص 136.

110. 1 - الآية 1، 2، 3 من سورة الإخلاص.

111. معقبتين بالقصب، ملسوقتين الواحدة فوق الأخرى، المنجد الأبجدي، ص 797.

112. ضبات من الحديد، قطع من الحديد على شكل صفائح، المرجع نفسه، ص 646.

113. ملفقة، قطع ملتصقة يبعضها البعض، ويقصد بها تاج العمود المكون من عدة قطع، المرجع نفسه، ص .875.

114. الخطيب البغدادي(الحافظ أبي بكر أحمد بن على)، تاريخ مدينة ألسلام ، ألقاهرة 1931/1349 ،ج1، ص 108-107.

115. الخطيب البغدادي، المصدر نفسه.

116. ابن جبير، المصدر السابق ص 33-34.

117. - Herzfeld und sarre, Archalodische, Reis in phrate Tigris Gebis,Berlin 1919,Bond II,p136.

118. سركيس (يعقوب) مباحث عراقية، القسم الأول ،بغداد ،1367هـ/1948م،تديم محمد رضا الشبيبي، ص 322.

119. سركيس (يعقوب) مباحث عراقية، القسم الأول ،بغداد ،1367هـ/1948م،تديم محمد رضا الشبيبي، ص 322.

120. جوامع ومساجد بغداد، مجلة العرفان ،المجلد24، سنة 1353هـ/1934م،ج9، ص898..

121. الخطيب البغدادي، المصدر السابق، ج1، ص 108.

122. جريدة المفيد البغدادي، العدد 396،لسنة 1925.

123. فرنسيس(بشير) والنقشبندي (ناصر)،المحاريب القديمة في متحف القصر العباسي، مجلة سومر،العدد7،لسنة 1951، ص221.

124. PEDERSON (JONS) , Under Mehrab , in Encyclopedia Of Islam , vol 3 ,p 486.

125. ورقة الأكانتس: تسمي شوكة اليهود، وهي ورقة مشرشرة شائعة الاستعمال في الزخرفة الرومانية و البيزنطية.

126. Herzfeld und Sarre, OP, Cit, p139.

127. الشافعي(فريد)، العمارة العربية في مصر الإسلامية، عصر الولاة، المجلد الأول،ص 618.

128. سالم (عبد العزيز)، تاريخ مدينة المرية الإسلامية ، دار النهضة العربية ،بيروت 1969،ص147-148.

129. للازوردي: معدن مشهور يوجد في جبال أرمينيا وفارس ،وأجوده صاف شفاف الضارب إلى الأزرق والضارب إلى الحمرة و ، الخضرة ، المنجد الأبجدي،الطبعة الثانية ،دار الشرق،بيروت 1986/1406م،ص859.
130. الإدريسي(الشريف محمد بن عبد العزيز)،وصف المسجد الجامع بقرطبة ،ص 8،من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الافاق،نشره ألفريد ديسوس لمار مع الترجمة الفرنسية ،الجزائر 1949.
131. المقري، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، ج2، ص 90.92.
132. سالم (عبد العزيز)، قرطبة حاضرة الخلافة في ألأندلس ج1،ص327.
133. الآية 43 من سورة الأعراف.
134. Provençal (Levi) , inscriptions Arabes d' Espagne, Paris 1931, T 1 ,P 12.
135. Amador DE Los (Rodrigo) , Inscriptions Arabes DE Cordoba, Madrid 1880, P222- 223.
b- 161 وجوميث مورينو، المرجع السابق، ص.
136. الآية 238 من سورة البقرة.
137. الآية 22 من سورة لقمان.
138. جوميث مورينو ، المرجع السابق، ص161.
139. الآية 6 سورة السجدة.
140. (العالمين) حذف حرف الإلف. - الآية 65 من سورة غافر.
141. Provençal (Levi) , OP.CIT , P 15.- Amador DE LOS (R) , OP. CIT ,P 221 .
142. الآية 23 من سورة الحشر.
143. التزي(عبد الهادي)، المسجد والجامعة بمدينة فاس، دار الكتب اللبنانية بيروت، 1973، ج1، ص 66.سالم (عبد العزيز)، تاريخ المغرب الكبير، بيروت، 1981، ج2، ص .753.
144. Terrasse (H), Chapiteaux, Omeiyabes d'Espagne a la Mosquée d'al quarawiyine de Fés, Madrid,1963,Vol28 ,p.211-217.
145. الآية 37 من سورة النور.
146. الآية 76 من سورة الحج.
147. الآية 78 من سورة الإسراء.
148. بورويبة (رشيد) المساجد في الجزائر، سلسلة الفن والثقافة، مدريد، 1391م ج 4 ص.21.
149. جوميث مورينو، المرجع السابق، ص 141-142.
150. Bourouiba(R) , L'art religieux musulman en Algérie, p. 79-
151. Ibid, p.80.
152. Ibid, p.80.
153. الربعية : حلية معمارية على شكل ربع دائرة.
154. في هذه الآية الكريمة ينقص حرف الواو.
155. الآية 76 من سورة الحج.
156. الآيتان36-37 من سورة النور..
157. سالم (عبد العزيز) أسرار الجمال في الفن الإسلامي، المجلة عدد 12، القاهرة ،1958ص90.
158. Bourouiba (R), op .Cit .p 101.
159. Ibic, p. 95.
160. Ibic, p. 97.
161. Bourouiba (R) op.cit.p92.

162. Piquet(Victor),Autour des monuments arat, es et du Maghreb. Maison neuve. Paris 1947,.p.135.

163. Bourouiba (R), op.cit.p,17.

164. Marcais (G) et (William) Les monuments aiabes de Tlemcen. P.82.

165. Bourouiba(R),.L'Artreligieuxinusulman,p155.

166. Op.cit, p, 117.

167. Marcais(G), et (W), Les Monuments Arabes de Tlemcen, p 176-178.

168. Marcais(G),L'Algérie, Imprimerie, Algérienne, Alger,1906,p,112..

169. Bourouiba (R) , L'Art religieux Musulman ,p118.

170. الآيات 35-36-37 من سورة النور.

171. الآيتان 102-103 من سورة آل عمران.

172. الآية 33 من سورة التوبة.

173. الآية 45 من سورة النساء.

174. المويجة، حلية معمارية متوجة من أعلى الإفريز.

175. بورويبة (رشيد)، الكتابات الأثرية في المساجد الجزائرية، ص 78.

176. Coilles (Jacques),La mosquée de Hacen à Rabat, Paris, 1954, p 105.

177. Van Berchem (Max), «l'Art Musulman au Musée Tlemcen » Journal des Savants, Paris 1906.p417

178. Op.Cit,p417.

179. Bourouiba(R), L'Art religieux Musulman ,p.141.

180. Marçais (G), Mannuel d'Art Musulman. P.134.

181. Terrasse(Henri) et Hainaut (Jean) Les Arts décoratifs au Maroc., paris, 1928,p.76.

182. Marçais (G), Manuel d'Art Musulman, p,73.

183. Marçais (G), op, cit, p. 73.

184. Ibid .p.11.

185. Ibid .p.253. - Marçais (G), L'Architecteeture musulman d'Oeident. P .358.

فن الزخرفة المعمارية بمدينة سدراتة الإسلامية

الدكتور/ محمد لخضر عولمي
د.جامعة قالمة

تمهيد

تعد مدينة سدراتة من المواقع الآثرية المهمة بالمغرب الإسلامي، و رغم أن الحفريات الأثرية لم تمس سوى مساحة صغيرة من الموقع، فإنها كشفت عن فن إسلامي فريد من نوعه، ساهمت في تشكيله الجغرافيا و الظروف التي شيدت خلالها هذه المدينة.

تقع المدينة على بعد 14 كم جنوب من مدينة ورقلة، تغطيها رمال الصحراء، فتكشف العواصف الرملية عن جزء من أطلالها من حين إلى أخرى، و لكن سرعان ما تغطيها مرة أخرى. تمتد أطلال المدينة، من الشمال الغربي الى الجنوب الشرقي على امتداد 2 كم، أما عرضها فلا يزيد عن 600 م، و هي مكونة من عدة تجمعات سكنية على هيئة قصور يقع كل واحد منها فوق تلة، و تربط بينها طرق عديدة تخترق المناطق الفلاحية[1].

بدأت هذه المدينة تكشف عن أسرارها منذ نهاية القرن التاسع عشر، و كان السيد فيكتور لارجو (V. Largeau) أول من نقب بها سنة 1877، وكشف على عدة منازل مربعة الشكل و بعض القطع من الجص.[2] جاء بعده السيد هارولد (H. Tarry) الذي كشف على مسجدا والعديد من المنازل، وعن بعض الغرف من مبنى واسع يعتقد انه قصرا او محكمة يقع في أقصى شمال المدينة، واستخرج كمية كبيرة من الزخارف الجصية التي كانت تكسو جدران تلك الغرف وبعث بها كما يقول إلى متاحف الجزائر وقسنطينة ومتحف التروكاديرواlmusée du) (trocadéro بباريس، مضيفا أنه بعث بحمولة جملين من القطع الجصية إلى مدينة الأغواط.[3] استمرت التنقيبات في هذا القصر من طرف السيد بول بلانشي (p . Blanchet) سنة 1892،[4] ثم المهندس فوشي (Fauchet)،[5] والسيدة مارغريت فان برشم (M. Van Berchem).[6]

إلى جانب القصر السابق الذكر، هناك معلم ثاني من المدينة، أمدنا بكمية هامة من الزخارف الجصية، وهو القصر المحصن الواقع في أقصى شرق المدينة، والذي كشفت عنه السيدة مارغريت فان بارشم (M. Van Berchem) أثناء الحفريات التي قامت بها في الموقع سنة 1952-1951[7].

يبدو مما سبق أن مجمل الزخارف الجصية لمدينة سدراتة مصدرها القصر الشمالي الذي

كشف عنه السيد هارولد تاري، والقصر الشرقي الذي كشفت عنه السيدة مارغريت فان بارشم، مما يعني أن فن مدينة سدراتة نعرفه من خلال ما عثر عليه من زخارف بهذين المعلمين، لذلك فإن معارفنا عن فنها تبقى محدودة و جزئية، لأن ما لدينا من زخارف لا يمثل سوى نسبة جد ضئيلة مما قد تحويه هذه المدينة، و التي لا تزال بكاملها تحت رمال الصحراء ولم يكشف عنها بعد.

1 - نبذة تاريخية عن المدينة

إن المعطيات التاريخية حول سدراتة تكاد تكون منعدمة، والمقتطفات القليلة التي أوردها المؤرخون والجغرافيون تزيد الأمر تعقيدا. أغلب المصادر التاريخية لا تتحدث مباشرة عن سدراتة، وإنما عن مدينة وارجلان، وعندما يذكر اسمها يكون مقترنا بوارجلان، مما أدى إلى الخلط والتداخل بين المدينتين، وبالتالي إلى طرح إشكالية التسمية، وفي هذا الصدد يتساءل الأستاذ علي حملاوي قائلا « فهل وارجلان هي سدراتة، أم سدراتة هي وارجلان، وكيف نفسر هذا التداخل؟».[8]

يتحدث عبد الرحمان بن خلدون عن تأسيس وارجلان إلا انه لا يذكر سدراتة،[9] وفي موضع اخر يتحدث عن المنطقة فيقول بأن ببلاد ريغ حوالي ثلاثمائة قرية تقع على ضفاف الوادي الذي ينحدر من المغرب إلى المشرق.[01] هذه العبارة الأخيرة يمكن أن تفسر لنا هذا التداخل و الخلط بين المدينتين، فوارجلان وسدراتة كانتا إحدى قرى أو مدن هذا التجمع السكاني الكبير بمنطقة وادي ريغ.

يرجح أغلب المؤرخين، تأسيس المدينة إلى ما بعد سقوط الدولة الرستمية سنة 296 ه / 909 م على يد الفاطميين،[11] والشيء المؤكد ان المدينة كانت قائمة في الفترة التي شهدت قيام ثورة أبي يزيد على الفاطميين، حيث كانت تأتيه إمدادات الطعام من سدراتة كما يشير إلى ذلك أبي عبد الله محمد الصنهاجي.[21] أما السيد جون لوتيليو (J. Lethielleux) واعتمادا على مصادر غير معروفة، يقول أن أولى المجموعات الإباضية قدمت إلى منطقة واد مية سنة 39 ه/ 658 م، و قاموا بتأسيس اول تجمع سكاني بالمنطقة أطلق عليه تسمية تيميمون، و في سنة 41 ه/ 621 م قدمت مجموعات أخرى من المهاجرين الإباضيين يقود إحداها الشيخ أبو حفص الهارب من جبل نفوسة، وقام بتأسيس مسجدا بموقع إسدراتن يوم 23 محرم سنة 42 ه / 662 م وبنيت حوله المساكن وبذلك ظهرت مدينة سدراتة إلى الوجود.[31]

إذا كان الغموض لا يزال يكتنف تاريخ تأسيس المدينة، فمن المرجح كما تقول السيدة مارغريت فن بارشم، أن الإباضيين لما فروا من مدينة تيهرت ولجوءا إلى الصحراء، لم تكن منطقة

سدراتة صحراء قاحلة، بل من المحتمل جدا أنهم وجدوا مدينة بربرية قديمة نهظوا بها بفظل خبراتهم،[41] وإلى نفس الرأي يذهب الأستاذ مسعود مزهودي.[51] ونظرا لموقعها على الطريق التجاري الذي يربط المغرب ببلاد السودان، نشطت الحركة التجارية، وبفضل ما كانت تدر عليها من أرباح، ازدهرت الحركة العمرانية والفنية، وتم إنجاز أعمال زراعية ضخمة تمثلت في حفر الكثير من الأبار ومد الكيلومترات من قنوات الري.[61] الأمر الذي جعل المنطقة والمدينة تنعم بالرخاء والازدهار إلى غاية النصف الثاني من القرن عشر الميلادي، ففي سنة 1075 م، سير الأمير الحمادي المنصور ابن الناصر، حملة عسكرية للاستيلاء على ثروات المدينة وتحويل الطرق التجارية نحو القلعة وبجاية، وقد صادفت هذه الحملة اضطرابات بالمنطقة، منعت السكان من تنظيم الدفاع عن المدينة، الأمر الذي ادى إلى التدمير الكلي للمدينة وتقتيل سكانها وحرق مزارعها وردم قنواتها، فهاجرها أغلب سكانها إلى منطقة وادي ميزاب، ولجأ البعض الأخر إلى مدن المنطقة التي لم يصبها الدمار كمدينة نقوسة،[71] ولم يبق إلا القليل من سكانها للعيش في المدينة المخربة، هذا إلى غاية سنة 673 ه / 1274 م حيث خربت المدينة كليا،[81] وهجرت نهائيا ولفها طي النسيان.

أما المعطيات الآثرية القليلة التي وصلتنا، لا تسمح بتحديد تاريخ بناء المدينة، فبعض العناصر المعمارية المكتشفة بها، مثل العقود الحذوية، و التيجان ذات الأطراف المقطوعة (Chapiteaux à pans coupés) والحنايا الركنية المفصصة، فهي مشابهة لتلك التي كانت مستعملة بإفريقية منذ القرن التاسع الميلادي،[91] أما الكتابات القليلة التي عثر عليها، فهي بالخط الكوفي المورق، ومن المرجح انها تعود إلى القرن العاشر أو الحادي عشر الميلادي،[02] وفي هذا الصدد تقول السيدة مارغريت فان برشم، أنه من خلال اسلوب العمارة والكتابات الكوفية، يمكن إرجاع هذين المعلمين من مدينة سدراتة إلى القرن الحادي عشر وربما بداية القرن الثاني عشر الميلادي.[12]

2 - التصميم العام للزخرفة

كما سبقت الإشارة إلى ذلك فإن مجمل الزخارف التي وصلتنا تعود إلى معلمين، وهما القصر او المحكمة الواقعة بشمال المدينة التي كشف عنها السيد هارولد تاري، والقصر الواقع بشرق المدينة الذي كشفت عنه السيدة مارغريت فان بارشم.

اقتصرت الزخرفة في هذين المعلمين، كما نشاهد ذلك على بعض الصور من الأرشيف،[22] على كسوة الأجزاء العلوية من الجدران، بينما تركت الأجزاء السفلية ملساء خالية من الزخرفة، و لا تمتد إلى مستوى الأرضية سوى أطر الأبواب والحنايا.

عموما الأجزاء العلوية من الجدران المزخرفة، بارزة بثلاثة سنتيمترات عن الأجزاء السفلية الملساء، و تبدأ الزخرفة بشريط مسنن (moulure denticulée) تقوم عليه لوحات زخرفية، مكونة في غالب الأحيان من شبكات من المعينات الهندسية، أو المربعات، أو الدوائر، مزينة بعناصر نباتية مجردة، وأحيانا أخرى بلوحات من دوائر متماسة أو متقاطعة مزينة بدورها بنفس العناصر النباتية السابقة الذكر. و في بعض الأحيان تكون مرفقة بجامات كبيرة الحجم، أو ببوائك من العقود الصماء (Arcatures) ، ولم تقتصر هذه الزخارف على الجدران، وإنما امتدت لتزين العقود وحتى التيجان.[32]

إن زخرفة عمائر مدينة سدراتة بهذا الأسلوب، أضفى عليها توازن وانسجام وخفة نتيجة المزج الموفق بين المساحات المزخرفة و المساحات الملساء، وهذا ما يميزها عن الزخارف الجدارية لمدينة سامراء و التي غالبا ما شُبهت بها،[42] غير أن الزخرفة في مدينة سامراء تكسوا الجدران كليا إلى غاية الأرضية، مما يجعلها تتميز بنوع من الثقل والاكتظاظ إذا ما قورنت بزخارف مدينة سدراتة.

3 - مواد و اسلوب الزخرفة

انجزت زخارف مدينة سدراتة على مادة الجص كليا، هذه المادة التي كانت معروفة بالمنطقة منذ عهد الأغالبة،[52] وأصبحت المادة الأساسية في الزخرفة الإسلامية في عهد العباسيين بإنتقال مركز الخلافة من دمشق إلى العراق، الأرض ذات التقاليد العريقة في استعمال هذه المادة، ومن العراق انتقل استعمال الجص إلى مصر، ومنها إلى إفريقية والمغرب الإسلامي والأندلس. والجص المستعمل في سدراتة هو نفسه الذي يزال يستعمل إلى اليوم في المنطقة، و الذي يطلق عليه إسم « تيمشنت».

تم إنجاز هذه الزخارف بواسطة النحت أو النقش، والذي يكون في غالب الأحيان بشكل مائل، كما هو الحال بالنسبة لطريقة النحت على الخشب، والتي لا تزال تستعمل في المناطق البربرية إلى يومنا هذا. وهذه التقنية كانت منتشرة في أغلب المناطق المطلة على حوض البحر الأبيض المتوسط، بما في ذلك شمال إفريقيا، و كانت منتشرة بشكل واسع في شرق الجزائر، وبشكل خاص بمنطقة تبسة وشمال الأوراس،[62] وهي نفس التقنية التي استعملت في تزيين الكنائس البربرية المشيدة بالمنطقة خلال القرنين الرابع والخامس الميلاديين.[72] وهي تقنية تتلائم مع التشكيلات الزخرفية الهندسية.

4 - التشكيلات الزخرفية

تغطي الأجزاء العلوية من جدران مباني سدراتة، لوحات زخرفية واسعة، تتمثل أساسا

في شبكات من المعينات الهندسية، والدوائر، والمضلعات المتنوعة، تزينها عناصر نباتية، أو جامات كبرى تتناوب مع الأشكال السابقة. وفي حالات نادرة، بوائك من العقود الصماء مزينة بنفس العناصر النباتية. تقوم هذه اللوحات بمختلف أنواعها، على حافة مسننة، وبارزة قليلا عن المستوى السفلي من الجدران، وتؤطرها إطارات مكونة من أشرطة تتناوب فيها المربعات الغائرة والبارزة، ويتوسطها شريط من الحبيبات.

4 – 1 شبكات المعينات الهندسية

و هي أهم التشكيلات الزخرفية المستعملة في تزيين مباني المدينة، هو تشكيل زخرفي كان استعماله شائعا بشمال إفريقيا. فالمواقع الأثرية الرومانية، كما هو الحال في تيمقاد ولمباز، تزخر باللوحات الحجرية المزينة بهذه الشبكات من المعينات الهندسية.[28] وهو تشكيل زخرفي كان معروفا قديما في بلاد فارس،[29] كما استعمل في تزيين القصور الأموية ببادية الشام كما هو الحال في قصر الحير الغربي.[30] وقد شهد هذ النوع من الزخرفة، استعمالا واسعا في مدينة سدراتة، كما تنوعت اشكاله وتصاميمه بشكل لم بسبق له مثيل له في الفن الإسلامي، ويمكن تقسيمها إلى نوعين.

النوع الأول (شكل رقم 01، صورة رقم 01)، وهو عبارة عن شبكات مكونة من معينات مشكلة بواسطة خطوط عمودية و متموجة، لا تتقاطع فيما بينها وإنما تتلامس بحيث تشكل مساحات معينة الشكل، تتوسطها زهيرات خماسية الفصوص، تكون في نفس الاتجاه او في اتجاهين متعاكسين.

صورة رقم 01

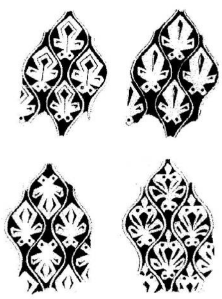

شكل رقم 01

أما النوع الثاني، فهو مكون من مربعات كاملة، موضوعة بشكل معينات، وهي مشكلة

بواسطة تقاطع أشرطة مكونة من خيطين يتوسطهما شريط من الحبيبات، ويمكن تمييز في هذا النوع شكلين من المعينات (شكل رقم 02 و صورة رقم 02)

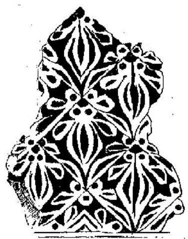

شكل رقم 02

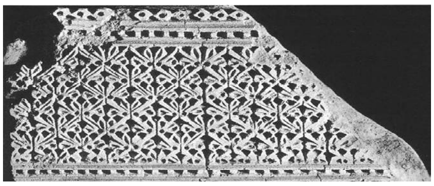

صورة رقم 02

4 – 2 شبكات المضلعات

و تعد امتدادا لشبكات المعينات الهندسية، وهي مكونة بواسطة مضلعات، وكل ضلع مشكل من انصاف مضلعات محدبة، وبالتالي فإن كل اربعة مضلعات تحصر فيما بينها مساحات ذات ثمانية أضلاع مقعرة (شكل رقم 03)، و تتوسطها أربعة زهيرات تلتحم بواسطة قواعدها في مركز المضلع، وفصوصها الثلاثة الباقية تكون في اتجاه احد فصوص المضلع.

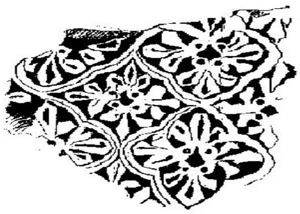

شكل رقم 03

4 – 3 شبكات الدوائر

و هي كشبكات المعينات الهندسية والمضلعات، استعملت كأرضية للعناصر النباتية، وهي أيضا من الأشكال الزخرفية التي كانت معروفة في المنطقة، استعملت في زخرفة العمائر الرومانية، و الكنائس البربرية، وفي لوحات الفسيفساء، وتعد ثان أهم تشكيل زخرفي في مدينة سدراتة بعد شبكات المعينات الهندسية، وتتميز بالتنوع الكبير في تصاميمها، و يمكن تقسيمها

إلى نوعين أساسيين : الدوائر المتماسة، والدوائر المتقاطعة.

تعد شبكات الدوائر المتماسة، التصميم الأكثر بساطة، وهي تتكون من صفوف من الدوائر جنب إلى جنب (شكل رقم 04)، وهي مكونة من دائرة مركزية تحتضن زهيرة خماسية الفصوص، تحيط بها حلقتان ملساوان، ثم حلقة ثالثة مزينة بمربعات صغيرة غائرة تتناوب مع مربعات بارزة، ثم حلقتان ملساوان خارجيتان، أما المساحة المحصورة بين اربعة دوائر، فتحتضن زهيرة خماسية الفصوص.

شكل رقم 04

أو أنها تتكون من شبكة من الدوائر، وكل دائرة تحيط بها أربعة فصوص نصف دائرية (شكل رقم رقم 05)، وكل دائرة تتوسطها زهرة ثمانية الفصوص، بينما المساحة المحصورة بين كل اربعة دوائر، تزينها زهيرة خماسية الفصوص.

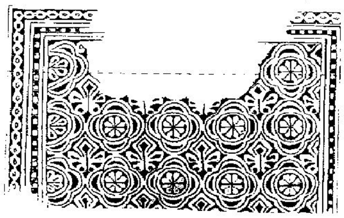

شكل رقم 05

أما شبكات الدوائر المتقاطعة، فهو الشكل الأكثر استعمالا، وأكثر تعقيدا، ويقوم على أساس الدوائر المتقاطعة، وتتميز بتنوع الأشكال الهندسية المتحصل عليها من جراء ذلك، و تنوع العناصر النباتية التي تزينها، يمكن حصر الأشكال التالية :

الشكل الأول : وهو الشكل الأكثر انتشارا، ويتكون من دوائر متقاطعة، تحصر فيما بينها مساحات ذات اربعة أضلاع مقعرة، مزينة إما بزهيرة وحيدة خماسية الفصوص، أو بأربعة زهيرات خماسية الفصوص (شكل رقم 06)، بحيث تبدوا على شكل صليب، أما المساحات لوزية

الشكل، فتزينها مربعات غائرة تتناوب مع مربعات أخرى بارزة.

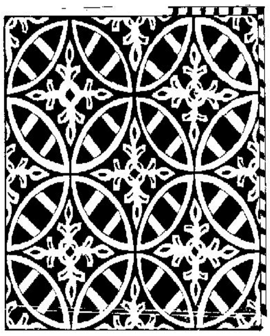

شكل رقم 06

الشكل الثاني : وهو يشبه الشكل السابق في التخطيط، ويختلف عنه في العناصر النباتية التي تزينه. فالمساحات ذات الأضلاع الأربعة المقعرة، تتوسطها دائرة تحتضن زهيرة خماسية الفصوص، وزهيرة ثانية في اتجاه كل زاوية من زوايا ذلك المضلع (شكل رقم 07)، أما المساحات اللوزية الشكل، فتظم زهيرتين خماسيتي الفصوص، تشتركان في نفس القاعدة وفي اتجاهين متعاكسين.

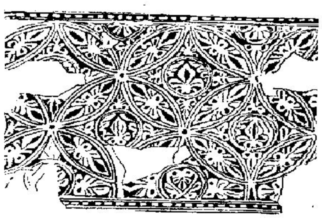

شكل رقم 07

تصميم الشكلين السابقين، هو تصميم كان شائعا في الزخرفة الرومانية، ولدينا نماذج منها من معبد الكابيتول بمدينة تيمقاد الرومانية (صورة رقم 03)، والاختلاف بينهما يكمن في نوع العناصر النباتية المستعملة في تزيينهما.

صورة رقم 03

الشكل الثالث : وهو الشكل الأكثر تعقيدا، و يتكون من مجموعة المضلعات رباعية الفصوص ناتجة عن تقاطع أربعة دوائر (شكل 08) وكل أربعة مجموعات تحصر فيما بينها، دائرة مزينة بزهرة مكونة من أربعة قطاعات على هيئة قلوب.

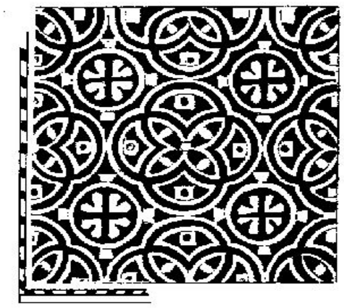

شكل رقم 08

4 – 4 الجامات

تعد الجامات من الأشكال الزخرفية المهمة في فن مدينة سدراتة، وهي غالبا ما تتناوب مع الأشكال السابقة لكسوة جدران مباني المدينة. وهي عبارة عن جامات كبيرة الحجم، تنتظم في جميع الحالات بداخل مربعات كبيرة، وتؤطرها أشرطة مزينة بمربعات صغيرة غائرة تتناوب مع مربعات بارزة، وتتميز بالتنوع الكبير في تصاميمها، ويمكن حصر الأشكال التالية.

الشكل الأول (صورة رقم 04) : وهو أبسطها، حيث أن الجامة تتكون من زهرة مركزية، تحيطها حلقتان ملساوان، ثم حلقة ثالثة مزينة بالمربعات الغائرة و البارزة المتناوبة، ثم حلقتان ملساوان أخريان، ثم حلقة أخرى غليظة مزينة بمعينات صغيرة، وأخيرا حلقة خارجية ملساء. بينما الزوايا الأربع للمربع الذي يحتضن الجامة، مزين بزوج من المراوح البسيطة.[13]

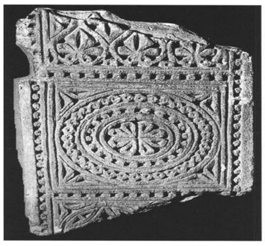

صورة رقم 04

الشكل الثاني (شكل رقم 09) : تحتل مركز الجامة، زهرة اقحوان كبيرة، ذات تسعة فصوص مفرغة وتحيط بها خمسة حلقات متتالية، أوسطها مزين بالمربعات الغائرة والبارزة المتناوبة، وأخيرا حلقتان، كل واحدة مكون من 22 فصا دائريا.

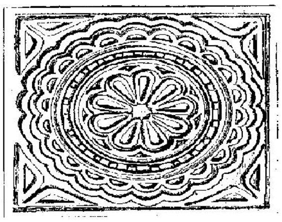

شكل رقم 09

الشكل الثالث (شكل رقم 10) : وهو مكون من حلقة مركزية صغيرة نوعا ما، تتوسطها مساحات قلبية الشكل، كل واحدة منها تحتضن زهيرة خماسية الفصوص، تحيط بهذه الدائرة خمسة حلقات ضيقة،[23] ثم حلقة واسعة مزينة بفصوص دائرية، وكل فص مزين بنصف زهيرة خماسية الفصوص، ثم خمس حلقات مماثلة للأولى، فحلقة واسعة ثانية مزينة بشريط منكسر، وأخيرا حلقتان ملساوان. أما زوايا المربع فهي مزينة بدائرة تتوسطها زهيرة خماسية الفصوص.

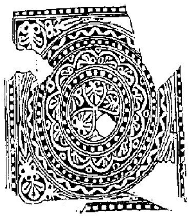

شكل رقم 10

الشكل الرابع (شكل رقم 11) : وهو الشكل الأكثر تعقيدا فمركز الجامة مكون من زهرة أقحوان كبيرة الحجم، ذات 22 فصا دائريا مفرغا ومكون من شريطين، تحيط بها حلقة عريضة مزينة بفصوص خماسية الفصوص، وأخيرا خمس حلقات متتالية للأولى، أما زوايا المربع فهو مشكل من شبكة من خلايا النحل.[33] تصميم هذه الجامة يذكرنا بتصميم الأطباق النجمية، التي أصبحت لاحقا من الأشكال الزخرفية المميزة لفن بمنطقة الغرب الإسلامي.

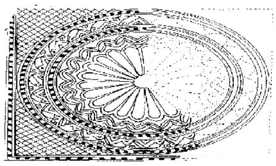

شكل رقم 11

إن استعمال الجامات في الزخرفة المعمارية بهذا الشكل، لا نجد له مثيل في الأقاليم الإسلامية الأخرى، مما يؤكد ان هذا الشكل الزخرفي هو امتداد لتقاليد محلية في الزخرفة البربرية التي كانت تستعمل في تزيين الكنائس، و في تزيين الأثاث الخشبي، والذي لا يزال سائدا إلى غاية اليوم، إلا أنها تتميز بالبساطة إذا ما قورنت بتلك المستعملة في سدراتة.

4 – 5 **البوائك**

إلى جانب التشكيلات الزخرفية السابقة، نجد بوائد العقود الصماء، و هو شكل زخرفي نادر، كشفت عنها مارغريت فان برشم بالقصر الشرقي.

وهي تبدوا على هيئة صف من العقود الصماء (شكل رقم 12)، تزينها عناصر نباتية تختلف من عقد إلى اخر. ففي أحد العقود تكون المساحة المستطيلة والعمودية، مزينة بدائرتين فوق بعضهما البعض، وكل دائرة تتوسطها زهرة ثمانية الفصوص، ويربط بينها غصن نباتي مائل تتفرع منه زهيرتين خماسية الفصوص متعاكستين، أما العقد في حد ذاته، فيظم دائرة تتوسطها زهرة مماثلة للأولى. أما العقود الأخرى، فإن المساحة العمودية التي ينتهي بها العقد، مزينة بغصن نباتي يلتف بشكل حروف (S) متتالية، يضم بين حناياه زهيرات رباعية الفصوص تتناوب مع زهيرات خماسية الفصوص، أما العقد فتتوسطه زهيرة خماسية الفصوص.

يعتبر هذا التشكيل الزخرفي، من المظاهر الزخرفية الإسلامية البحتة، والتي نجدها في مختلف الأقاليم الإسلامية و اقدم مثال عنها بالمغرب الإسلامي، هو إفريز من العقود الصماء التي تعلوا باب ميضأة جامع القيروان،[43] كما أنه من المظاهر الزخرفية الشائعة الأستعمال في

الأندلس، وبشكل خاص في أعلى واجهة محراب وبوابات جامع قرطبة.[53]

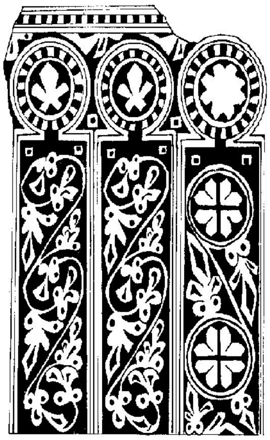

شكل رقم 12

خاتمة

إن مجمل الدراسات التي تناولت فن مدينة سدراتة، تبقى ناقصة وجزئية، لأن الحفريات الأثرية لم تمس إلا نسبة ضئيلة من مساحة المدينة، ومجمل الزخارف المكتشفة مصدرها معلمين فقط من معالم المدينة وهما : القصر الشمالي والقصر الشرقي، وفي انتظار اجراء حفريات جديدة بالموقع، وكذلك بمدينة تيهرت، وطبنة التي عثر بها على قطعة زخرفية، زخارفها مماثلة لزخارف سدراتة كما يقول هارولد تاري، لذلك تبقى معلوماتنا عنها قليلة، يشوبها الغموض وكثير من التساؤلات.

إن الزخارف المكتشفة من مباني مدينة، تذكر البعض بزخارف القصور العباسية في سامراء، وذلك راجع إلى استعمال الزخارف بشكل متكرر مكثف، وعلى مساحات واسعة من الجدران كما هو الحال في قصور سامراء، إلى جانب إنجاز تلك الزخارف على مادة الجص، وهذه هو أوجه الشبه بين زخارف مباني المدينتين. أما بالنسبة للعارف لفنون منطقة شمال إفريقيا في العصور القديمة، فإن زخارف مدينة سدراتة لا تذكره بزخارف سامراء، وإنما بالزخارف البربرية التي تزين النصب والكنائس التي تعود إلى القرنين الرابع والخامس الميلادي، وبفن النحت على الخشب الذي يزال يمارس بالمناطق البربرية، كما ان التشكيلات الزخرفية، وبشكل خاص شبكات المعينات الهندسية، والمضلعات والدوائر المتشابكة وحتى الجامات، من الأشكال الزخرفية التي

كانت شائعة بالمنطقة، سواء كانت منقوشة على الحجارة، أو منحوتة على مادة الخشب وحتى على مادة الفسيفساء، وهي أساسا تصاميم هندسية، وهو الأمر الذي يميز الزخرفة البربرية منذ العصور القديمة.

غير أننا نلمس روح جديدة في تصميم زخارف مباني هذه المدينة، و هي الروح الإسلامية التي تميل إلى لكسوة الجدران المبني بشكل مكثف بحيث أنها تبدو وكأنها بساط يغطي تلك الجدران، وهو مل يطلق عليه مصطلح (le décor couvrant) أو الزخرفة الشاملة، إلى جانب الاعتماد على العناصر النباتية لتطعيم سطح الأشكال الهندسية، والتي تعد من الأشكال الأساسية في الفن الإسلامي، إلا أنها في هذه المدينة، اقتصرت على عناصر معزولة تتمثل أساسا في الزهيرات ثلاثية وخماسية الفصوص، لملء سطح المساحات التي تشكلها مختلف مضلعات التشكيلات الهندسية التي رأيناها. وبذلك فهي تختلف عن التوريق النباتي الذي أصبح يميز الفن الإسلامي منذ عهد الأمويين. كما أن هذه العناصر النباتية، نحتت بطريقة جد محورة، وتتخذ شكلا هندسيا بعيدا عن شكلها الطبيعي، بحيث لا تمت بصلة لأشكلها الأصلية، وهو الاتجاه العام للفن الإسلامي الذي يميل نحو التجريد والابتعاد عن محاكاة الطبيعة. كما يظهر التأثير الشرقي في بوائك العقود الصماء والتي تعد أيضا من التشكيلات الزخرفية المميزة للفن الإسلامي.

فإذا كانت الصبغة العامة لزخرفة مباني المدينة توحي بروح إسلامية، فإن العديد من تفاصيل تلك الزخارف تضفي عليها صبغة قديمة تذكرنا بالفنون البربرية التي كانت سائدة بشمال إفريقيا، ومن المؤكد أن ذلك يعود إلى أن تقاليد فنية محلية بقيت حية في المناطق المنعزلة والبعيدة عن كبريات الحواضر الإسلامية، وبالتالي فهي كانت في منأى عن تأثيرات التيارات الفنية التي كانت سائدة في تلك الحقبة التاريخية.

هوامش البحث:

1 Van Berchem, M. « Sedrata : un chapitre nouveau de l'histoire de l'art musulman » Ars Orientalis, vol. VI, 1954, p. 160.

2 Largeau, V. le pays de Rirha , Ouargla, voyages à Rhadames, Paris, 1879, pp. 186-189.

3 Tarry, H. « Les villes berbères de l'oued Mya » Revue d'Ethnographie, t. III, 1885, p. 44.

4حيث يقول انه كشف على 34 غرفة و 200 متر مربع من الزخارف الجصية، أنظر.

Blanchet, P. Comptes rendus de l'Académie des inscriptions et belles lettres, 4em Série, 1898, p. 520.

5حصلية هذه الحفريات من الزخارف الجصية، معروضة حاليا بالمتحف الوطني للآثار بالجزائر العاصمة.

6الزخارف الجصية التي جمعت خلال تلك الحملة معروضة حاليا بمتحف مدينة ورقلة، أنظر.

Van Berchem, M. « Le palais de Sedrata dans le désert saharien » Studies in islamic art and architecture in honour of professor K.A.C Creswell, Americain university presse, cairo, 1965, p. 18.

7 Van Berchem, M. « Deux Campagnes de fouilles à Sedrata (1951-1952) » Travaux ce l'institut de recherches sahariennes, t. 10, 2em semestre, p. 135.

8 علي حملاوي «إشكالية الفن بمدينة سدراتة» الأيام الدراسية الأولى حول سدراتة، ورقلة من 23 إلى 26 افريل 1997، ص. 27.

9 عبد الرحمان ابن خلدون، كتاب العبر، بيروت، 1968، ص. 96.

10 نفسه، ص. 199.

11 Marçais, G. L'architecture musulmane d'Occident : Tunisie, Algérie, Maroc, Espagne et Sicile, Paris, Arts et Métiers graphiques, 1954, p. 55, Bourouiba, R. Cités disparues : Tahart, Sedrata, Achir, Kalaa des Béni Hammad, Série Art et culture, Ministère de l'information, Alger, 1982, p. 49.

12 ابو عبد الله الضنهاجي، أخبار ملوك بني عبيد و سيرتهم، تحقيق و تعليق احمد البدوي، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984، ص. 41.

13 Lethielleux, J. Ouargla : cité saharienne des origines au début du XX siècle, Paris, Librairie orientaliste Paul Geuthner, 1983, pp. 21-26.

14 Van Berchem, M. «Sedrata une ville du moyen- age ensevelie dans les sables du Sahara algérien » Documents algériens, n° 11, 1953, p. 5.

15 مسعود مزهودي، « تأسيس وارجلان و سدراتة من خلال الروايات التاريخية « الأيام الدراسية الأولى حول سدراتة، ورقلة من 23 إلى 26 أفريل، 1997، ص. 16.

16 Van Berchem, M. « Deux campagnes de fouilles à Sedrata (1951-1952) » Travaux de l'institut de recherches sahariennes, t. 10, , p. 130.

17 Lethielleux, J. op.cit, p. 133.

18 يتفق كل من M. H. Duveyrier و J. Lethielleux على هذا التاريخ، غير أنهما يختلفان حول هوية الشخص الذي قام بذلك، فالأول يذكر إسم المنصور بن فضل بن علي المزني ابن احد اعيان مدينة بسكرة، و الثاني يذكر إسم القائد المنصور المشرقي و الذي نجهل كل شيء عن هويته كما يقول، أنظر.

Lethielleux, J. op.cit, p. 139, Duveyrier, M. H. « Isdraten et le schisme ibadite » Revue d'éthnographie, 1883, t. 2, pp. 211-212.

19 Marçais, G. L'architecture musulmane d'Occident, p. 57.

20 علي حملاوي، «العناصر الزخرفية بمدينة سدراتة (وارجلان)» الملتقى الثاني للبحث الآثري و الدراسات التاريخية، أدرار، 29 ماي - 2 جوان 1994، ص. 32.

21 Van Berchem, M . « Palmettes, Rosaces et Bandeaux dans le décor de Sedrata » Memoriam

L . A. Mayer, VI, Jerusalem, 1964, p. 14.

22 Saladin, H. Manuel d'art musulman, Paris, 1907, t. I, fig. 152.

23 Marçais, G. L'architecture musulmane d'Occident, fig. 31.

24 Marçais, G. Manuel d'art musulman, Paris, 1926, t. I, p. 86.

25 Id, p. 60.

26 Marçais, G. « Art chrétien et d'Afrique et art berbère » Mélange d'histoire et d'archéologie de l'Occident musulman, Alger, 1957, t. I, p. 132.

27 Van Berchem, M. « Sedrata : un chapitre nouveau de l'histoire de l'art musulman » Ars Orientalis, vol. VI, 1954, p. 160.

28 شبكات المعينات التي ترجع إلى العهد الروماني، عبارة عن شبكات من المعينات الهندسية البحتة و أرضيتها عارية، و لا تحمل أي نوع اخر من الزخارف.

29 عثر بمدينة دغمان على دعائم تعود إلى القرن الثاني أو الثالث الميلادي، تزينها شبكة من المعينات الهندسية، تكسوها عناصر نباتية تتكرر في وسط كل معين كما هو الحال في زخارف مدينة سدراتة، أنظر.

Balbas, L. T. « Precedentes de la decoracion mural hispanomusulmana » Al-Andalus, 1955, vol. XX, fasc. 2, pl. 17-A.

30 Id, pl. 17-B

31 مبدأ تصميم هذا النوع من الجامات لا يختلف تصميم جامات واجهة مسجد ثلاثة أبواب بالقيروان، و الذي يقوم على أساس مربع يتوسطه عنصر زخرفي رئيسي، بينما زواياه تزينها عناصر ثانوية، و الأختلاف بين النموذجين يكمن في نوعية العناصر النباتية المستعملة.

32 دائما حلقتين ملسوين، ثم حلقة مزينة بمربعات غائرة و أخرى بارزة بشكل متناوب، ثم حلقتين ملسوين.

33 تقول مارغريت فان بارشم، أن شبكات خلايا النحل هذه، كانت من العناصر الزخرفية المستعملة في تزيين بعض اللوحات الجصية في مدينة سامراء، و مدينة نيشابور، لذلك يمكن اعتبار ذلك من العناصر الزخرفية القادمة من الشرق، أنظر.

Van Berchem, M. « Sedrata : un chapitre ..., » Ars-Orientalis, Vol. VI, p. 171.

34 أحمد فكري، المرجع السابق، شكل 57 و 58.

35 Marçais, G. Manuel d'art musulman, fig. 146 & 148.

المسالك في المدينة الإسلامية

الدكتور : محمد بن حمو
جامعة تلمسان.

المســالك:

نريد في هذا المقال معرفة أنواع المسالك في المدينة الإسلامية وأحكام كل منها، فلقد ذكرت المصادر عدة أنواع منها كالمحجة والشارع والطريق وطريق الزروع، بالإضافة إلى الأزقة والزنقات والروائغ والدروب، وتتداخل هذه المصطلحات فيما بينها أحيانا كما تختلف أحيانا أخرى، وعلى هذا نريد معرفة أنواعها والضوابط الإسلامية المتعلقة بكل واحدة منها.

لقد اختلفت أنواع المسالك في المدن الإسلامية من مسالك كبيرة وأخرى متوسطة تتفرع عنها، وتتفرع عن هذه الأخيرة أخرى أصغر حجما وهكذا، حسب حجم المدينة وكثافة ساكنيها، وكانت هذه المسالك معروفة في المدينة النبوية، فعن أنس بن مالك قال: أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن صبيان فسلّم علينا وأرسلني في حاجة، وجلس في الطريق ينتظرني حتى رجعت إليه()، وعن أبي سعيد الخدري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:»**إياكم والجلوس في الطرقات**» قالوا: يا رسول الله ما لنا بد من مجالسنا نتحدث فيها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:»**أما إذ أبيتم فأعطوا الطريق حقه**» قالوا: وما حق الطريق يا رسول الله، قال:»**غض البصر وكف الأذى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**»()، وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم بإماطة الأذى عن الطريق().

وكانت الطرق أحيانا تحدد قبل بناء المدن والعمائر كما حدث ذلك في البصرة والكوفة والفسطاط والقيروان وغيرها من المدن المنشأة، فقد حددت الشوارع واتجاهاتها وأيضا اتساعها قبل إنشاء المسجد الجامع والمنازل، ولقد كانت كل قبيلة تسكن حيّا خاصا بها، حسب قرابتها وتجانسها حفاظا على الجوار والتعايش، ودرءً للخلافات والنزاعات، وكان لهذا الحيّ طريقه الخاص به وتتفرع عنه طرق أخرى حسب عدد أفراد القبيلة الواحدة أو البطن أو الفخذ *، ويضاف إلى هذا النظام أهل الذمة الذين وجدت لهم أحياء خاصة بهم في الكثير من المدن وبالتالي لهم طرقهم الخاصة بهم.

يقول توفيق حمد عبد الجواد أن من العوامل الأساسية التي تأثر على نظام المدينة الإسلامية هو بنيتها الإجتماعية، التي تتكون في غالب الأحيان من جملة من المجموعات البشرية المختلفة

الأصل واللغة، وفي حالات أخرى اختلاف الدين مما يشجع على نشوء أحياء مغلقة جزئيا اتجاه بعضها البعض().

وفي كثير من الأحيان لم تكن اتجاهات الطرق في المدينة عفوية، بل كانت تحدد بشكل يساعد السكان في حرية التنقل مراعية اتجاه الشمس والريح، وقد ذكر ابن خلدون أن من أسباب حدوث الأمراض في المدن ركود هوائها إذا لم تنجز الطرق بشكل صحيح يساعد على سريان الهواء بيسر()،بل وحتى الهواء فليس لهواء الشمال نفس خصائص هواء الجنوب، ونفس الشيء بالنسبة لهواء الشرق والغرب()، وأكد هذا توفيق عبد الجواد حيث قال:» ويؤخذ أيضا عرض الطرق واتجاهها بحيث توفر الظلال للمصلين في أيام الصيف أثناء تنقلهم من المسكن إلى المسجد، ومفهوم الظل مقرون بزراعة الأشجار في الطرقات والشوارع لهذا الغرض ولغرض التأثير على مناخ البيئة وتحسينه بأمر الله().

ولعل ما ذكرناه أعلاه ينطبق على المسالك التي بالمدن التي يبنيها الحكام والتي تحدد مساحات مسالكها قبل البناء، ولكن في المدن التي لم يبنها الحكام يضطر الناس إلى تحديد مثل هذه المسالك أيضا، فتكون المسالك في البليدة الصغيرة بقدر حاجاتهم من دخول وخروج بالدواب والأنعام، ولا شك في هذا أن المسالك الكبرى المشتركة المنافع بين أهلها تكون أكبر من التي تختص به الجماعة الواحدة، وهذه إنما تتفرع عنها مسالك أخرى أصغر بحسب الأسرة الواحدة، وهكذا تصبح البليدة بلدة مع كثرة سكانها والواردين عليها، فإذا انتقلت من الرعي والزراعة إلى التجارة فستنمو إلى أن تصبح مدينة، ومثل هذا التطور ينعكس على مسالكها فتحدث مسالك أخرى أكبر وأوسع تسمح بمرور التجار بدوابهم المحملة بالبضائع، وهذا ما يؤدي إلى تنظيم هذه المدينة وفق إطارها الجديد، ولا شك أن مثل هذا النشاط يصحبه ورود العلماء والصناع وظهور طبقات جديدة وبالتالي مجموعة حاكمة للفصل بين المتنازعين والمتخاصمين، سواءً كانت هذه المجموعة من السكان بحد ذاتهم كشيوخ القبائل أو تكون معينة من السلطة الحاكمة لعاصمة المدينة().

وقد ذكر ابن حجر كلاما مثل هذا عند شرحه لحديث النبي صلى الله عليه وسلم الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: قضى النبي صلى الله عليه وسلم إذا تشاجروا في الطريق الميتاء بسبعة أذرع **، قال: قيل الميتاء أعظم الطريق وهي التي يكثر مرور الناس بها، وقيل هي الطريق الواسعة وقيل العامرة، قال الطحاوي لم نجد لهذا الحديث معنى أولى من حمله على الطريق التي يراد

ابتداؤها إذا اختلف من يبتدؤها في قدرها، كبلد يفتحها المسلمون وليس فيها طريق مسلوك، وكموات يعطيه الإمام لمن يحييها إذا أراد أن يجعل فيها طريقا للمارة ونحو ذلك، وقال غيره مراد الحديث أن أهل الطريق إذا تراضوا على شيء كان لهم ذلك، وإن اختلفوا جعل سبعة أذرع، وكذلك الأرض التي تزرع مثلا إذا جعل أصحابها فيها طريقا كان باختيارهم، وكذلك الطريق التي لا تسلك إلا في النادر يرجع في أفنيتها إلى ما يرضى عليه الجيران، والحكمة في جعلها سبعة أذرع لتسلكها الأحمال والأثقال دخولا وخروجا، ويسع ما لا بد لهم من طرحه عند الأبواب، ويلتحق بأهل البنيان من قعد للبيع في حافة الطريق، فإن كانت الطريق أزيد من سبعة أذرع لم يمنع من القعود في الزائدة، وإن كان أقل منع لئلا يضيق الطريق على غيره().

وقال النووي:»... وإن كان الطريق بين أرض لقوم وأرادوا إحياءها فإن اتفقوا على شيء فذاك، وإن اختلفوا في قدره جعل سبعة أذرع، وهذا مراد الحديث، أما إذا وجدنا طريقا مسلوكا وهو أكثر من سبعة أذرع، فلا يجوز لأحد أن يستولي على شيء منه وإن قل، ولكن له عمارة ما يواليه من الموات ويملكه بالإحياء بحيث لا يضر بالمارين، قال أصحابنا ومتى وجدنا جادة مستطرقة ومسلكا مشروعا نافذا حكمنا باستحقاق الإستطراق فيه بظاهر الحال، ولا يعتبر مبدأ مصيره شارعا، قال إمام الحرمين وغيره: ولا يحتاج ما يجعله شارعا إلى لفظ في مصيره شارعا ومسبلا، هذا ما ذكره أصحابنا فيما يتعلق بهذا الحديث»، وقال آخرون هذا في الأفنية إذا أراد أهلها البنيان، فيجعل طريقهم عرضه سبعة أذرع لدخول الأحمال والأثقال ومخرجها وتلاقيها، قال القاضي هذا كله عند الإختلاف كما نص عليه في الحديث، فإذا اتفق أهل الأرض على قسمتها وإخراج طريق منها كيف شاؤوا فلهم ذلك ولا اعتراض عليهم لأنها ملكهم، والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب().

وعلى كل فهناك أنواع من المسالك وجدت بالمدن الإسلامية منها المحجة وهي المسالك الكبرى للمدينة، وذكرت أيضا الشوارع والطرق وهي الأصل داخل المدن، وذكرت إلى جانب هذا مسالك تحمل أسماءً معينة منها المسالك والأزقة والزنقات والروائغ والدروب *، وأحيانا تتداخل هذه التسميات، وقبل البدء في الكلام على هذه الأنواع من المسالك وعلى جملةٍ من أحكامها فلا بأس أن أسوق هنا كلاما للفرسطائي يساعدنا أكثر على فهم بعض أنواع الطرق داخل المدن مع حجمها واستعمالاتها، وهو هنا بدء بالطرق الأصغر إلى الطريق الأكبر فالأكبر، قال فأولها طريق الرجالة(المشاة) وحريمه ثلاثة أذرع(حوالي١,٥٠م)، ثم تليه طريق السقاية وهو خمسة أذرع(حوالي٢,٥٠م)، ثم طرق الحطابة خمسة مثلها

ومنهم من يقول للسقاية والحطابة ستة أذرع(حوالي٣م)، وطريق محامل الحمير والزنابل والغرائر والروايات سواء وهو سبعة أذرع(حوالي٣,٥٠م)، وكذلك تلاليس الحمير والبغال وأحمال الحطب وشباك الحمير أيضا على هذا الحال، وكذلك طريق الحمير كلها على اختلاف ما يحمل عليها سبعة أذرع، وكذلك البغال والخيل والبقر مثل الحمير، وطريق الجمال كلها على اختلاف ما يحمل عليها إثنا عشر ذراعا(حوالي٦م) ما خلا طريق الجوائز والمحامل(القافلة الكبيرة التي تحمل المتعة) فلها أربع وعشرون ذراعا(حوالي١٢م)، وأما طريق المواشي كلها فهو أربعين ذراعا(حوالي٢٠م) إلى الماء والمراعي، كذلك طريق قوافل الحجاج أربعين ذراعا، والطريق الذي تختلط فيه هذه الأصناف فإنهم يأخذون بالأكثر فيها()، وليس علينا أن نذهب بفكرنا بعيدا فهذه طرقنا فلنقس عليها، فالطرق المخصصة للشاحنات والحافلات والسيارات(الطريق السريع) تكون هي الكبيرة في المدينة، والطريق داخل المدينة تكون أصغر منها لأنها مخصصة لسكان المدينة، وتتفرع عنها طرق أصغر حسب سكان مجموعة من الأحياء، حتى نصل إلى طرق صغيرة غير نافذة لأهل الحي الواحد.

ولقد تميزت طرق المسلمين وساحاتهم بالليونة، ولذلك كثرت التعديات عليها بزحف المباني المجاورة إليها().

فأول هذه المسالك المحجـة، والمحجة جادة الطريق()، وهي الطريق المستقيم جمعها محاج، وهو الطريق النافذ()، وهي الأكبر في المدينة.

والمحجة مسلك واسع يمكن أن نجده خارج المدينة بحيث يخرج الناس منها إلى الغابة، وأيضا يكون هذا النوع من المسالك رابطا بين المدينة وغيرها من المدن، كما أننا نجد أيضا أن المحجة توجد داخل المدينة وهي طريق واسع، وفي كل حال يمنع أي شخص من الإنقاص منها والإقتطاع حتى ولو كانت واسعة جدا، كما يمنع فيها أيضا أن تجري فيه الأوساخ والقاذورات، بل وحتى ماء المطر يجب أن يكون في قناة تحت الأرض.

الشوارع لها أهميتها في المدن الإسلامية، بحيث أن الواجب فيها أن تكون واسعة كبيرة تلائم المارين بها كما تسهل مرور الحيوانات المحملة().

ولفظ الشوارع يطلق أيضا على المحجات، وقد يطلق على المسالك الكبيرة جدا خارج المدينة، كما توجد أيضا داخل المدينة شوارع رئيسية كبيرة، ورأى بعض العلماء أن مثل هذه الشوارع الواسعة إذا أُنقض منها جزء يسير لا مانع ومعظمهم رأى المنع، وقد تكثر الشوارع الكبيرة بالمدينة المتبحرة العمران ويتفرع عنها سكك كثيرة، وقد نجد في بعض هذه الشوارع ساباطات

تغطيها وهذا إنما نجده في الشوارع المتوسطة الإتساع وليس الكبيرة، كما يمكن أن نجد في بعض هذه الشوارع بعض الإخراجات والمتمثلة في بعض المراحيض وقد أجاز بعض العلماء مثل هذه الأعمال في الشوارع الكبيرة، ولعل هذا أحد الأسباب التي قد أدت إلى ضيق الشوارع في المدن الإسلامية القديمة.

الطريق السبيل يذكر ويؤنث، يقال الطريق الأعظم والطريق العظمى، والجمع أَطرقٌ وطُرقٌ وأَطرِقاءٌ وأَطرِقةٌ، وجمع الجمع طرقات().

نريد هنا معرفة معنى الطريق هل يختص بمسلك معين في المدينة؟ أو أنه يطلق ويراد به الشارع أو الدرب؟ وبمعنى آخر هل يقصد بالطريق ذلك المسلك الذي يتفرع عن الشوارع الكبرى والمحجات؟ وتتفرع منه مسالك صغيرة كالدروب والزنقات؟ أو أن المحجات والشوارع والأزقة والرّوائغ والدروب يطلق عليها اسم الطريق من باب التغليب؟

ما يمكن أن نستخلصه هنا هو أن الطريق حبس على المسلمين لا يجب قطعه أصلا، بل ولا حتى الإنقاص منه بأي نوع من أنواع الإنقاص، ومن ذلك خروج المراحيض ببنائها إلى الشارع، وأيضا الحوانيت والدكاكين التي تكون بين يديها، بالإضافة إلى تلك الإخراجات التي تخرج في الطرق كالأجنحة وما إليها والتي يجب أن تكون عالية لا تضر بالناس ولا بالركاب، كما يمنع أيضا ضرر القنوات والسواقي على الطرق، والطريق بهذه الأوصاف متوسط الإتساع فلا فهو كبير جدا كالمحجات والشوارع الكبيرة، ولا هو صغير جدا كالروائغ والدروب.

السكــة:

السَكُوك من الطرق المنسد()، وقد يكون غير منسد أيضا، والسكة لا يقصد بها نوع من أنواع الطرق وإنما هي وصف عام ينطبق على كل مسالك المدينة النافذة منها وغير النافذة الواسعة منها والضيقة().

الزقــاق:

الزُقاق هو السكة يذكر ويؤنث وجمعه زقّان وأزقة()، وهو الطريق الضيق نافذ أو غير نافذ ويجمع أيضا على زقاقات، والزقاق دون السكة()، وقد ذُكر هذا النوع من المسالك في قصة غزوة الخندق، وذلك بعد ما تفرّق الأحزاب المحاصرون للمدينة المنورة ورجع النبي صلى الله عليه وسلم إلى منزله ووضع سلاحه واغتسل، فجاءه جبريل عليه السلام وأشار عليه بالخروج إلى يهود بني قريضة الذين نبذوا العهد وساعدوا

الأحزاب، قال أنس بن مالك رضي الله عنه: كأني أنظر إلى الغبار ساطعا في زقاق بني غنم موكب جبريل حين سار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بني قريضة، وعلى هذا فقد كان هذا المصطلح معروفا في عهد النبي صلى الله عليه وسلم().

إن الزقاق على أنواع منه الزقاق الضيق والواسع، ومنه النافذ وغير النافذ، وقد وجد على بعض هذا النوع من المسالك دروب أي أبواب تغلق ليلا، ويمكن اعتبار وجود أبواب على مداخل الأزقة أحد المؤشرات التي يمكن من خلالها وصف مسلك ما بالزقاق، وهنا نشير إلى شيء آخر مهم في عمارة المدن الإسلامية وهو أن بعض المسالك غير النافذة كانت تُجعل على مداخلها أبواب تغلق عليها ليلا، وهذا ما يمكن وصفه في وقتنا الحاضر بالأبواب التي في مداخل العمارات فإن العمارة عبارة عن زقاق غير نافذ والباب لها هو الدرب.

الزنقـة:

تأتي بمعنى حشد وحشر، الزنق بمعنى الضيق والزنقة مسلك ضيق، ومصطلح الزنقة منتشر في بلاد المغرب الإسلامي، وانتقلت إلى الإسكندرية من بلاد المغرب، حيث مازال هذا المصطلح يطلق على موضع تجاري بالمدينة يسمى زنقة الستات().

والزنقات على نوعين نافذة وغير نافذة، ويمنع من الضرر عليها، وذلك بالتضيق وكأن يجلس عليها الناس حتى يؤذوا المارين بها، والزنقات غير النافذة كانت تجعل فيها أحيانا مطامير وأحيانا أخرى تغطى بساباطات، وفي كل حالة لا يجب إحداث الضرر عليها، وبهذا الوصف فإن مسالك المدينة تشابهت في أنها سالكة وغير سالكة وانطبق عليها عدة تسميات فلفظ السكة والزقاق والزنقة إذا ذكرت إنما يقصد بها هذا النوع من المسالك، وقد تكون هذه الأسماء تؤدي نفس المعنى، واختلفت التسمية من مكان لآخر ومن لهجة لأخرى، كما قد لا تكون تؤدي نفس المعنى وهو الظاهر، إذ لماذا يسمى شيء واحد بعدة تسميات، إذا كان اسم واحد يؤدي هذا المعنى.

الرائغـة:

يقال راغ الفرس يمنة ويسرة ولم يسر في الطريق، ويقال حاد يمنة ويسرة، ويقال طريق رائغ أي مائل، وفي حديث الأحنف فعدلت إلى رائغة من روائغ المدينة أي طريق يعدل ويميل عن الطريق الأعظم().

قال محقق كتاب البرزلي، أن الرائغة هي الطريق المائلة عن الشوارع الكبيرة في المدينة(

)، ولعل الرائغة بالراء هي نفسها الزائغة بالزاي التي ذكرها صاحب كتاب الحيطان وذكر أنها على نوعين منها الدائرية ومنها المستطيلة الشكل ولكل واحدة حكم، وصورتها سكة غير نافذة فيها سكة أخرى من جانب اليمين أو من جانب اليسار فأراد رجل داره في السكة الأولى وبعض حوائطه إلى السكة الأخرى أن يفتح له بابا إلى السكة الأخرى، ليس له ذلك لأنه ليس لهم شركة ولا حق المرور في السكة الأخرى، ولو بيعت منها دار كان حق الشفعة لأهل تلك الزائغة لا لأهل الزائغة الأولى، ولو أراد واحد من أهل تلك الزائغة أن يفتح بابا إلى الزائغة الأولى وهي الزائغة العظمى فإن له ذلك لأن الزائغة العظمى حقهم جميعا، وإن كانت مستديرة قد لزق طرفاها فلكل واحد منهم أن يفتح بابا في أي موضع شاء لأنها زائغة واحدة من أولها إلى آخرها ولهم حق المرور فيها().

وبالجملة يمكن القول بأن الرائغة هي تلك الطريق غير النافذة الموجودة في المدينة، وهي تشبه من هذا الوجه الزنقات والأزقة، وليس لدينا هنا ضابط نستند إليه في تسمية مسلك ما غير نافذ رائغة أو زقاقا أو زنقة.

الـدرب:

الدرب هو المدخل بين جبلين والجمع دروب، وليس أصله عربيا، والعرب تستعمله في معنى الباب، فيقال لباب السكة درب وللمدخل الضيق درب، لأنه كالباب يفضي إليه، والدرب هو الباب الذي يجعل على فم السكة...، وقد إنسحب مصطلح «الدرب» فأصبح يطلق على الطريق كلها التي يُعلَّق عليها().

الدّروب التي لا تنفذ مشتركة المنافع بين ساكنيها، ولعلها على هذا تعتبر أصغر مسلك في المدينة، وقد مرّ معنا أن المدن الإسلامية كانت تقسم إلى أحياء، لكل حيّ مكانه الخاص به، وعلى هذا فهذه المسالك تختص بها العائلة الواحدة أو الجماعة التي تجمعهم روابط مشتركة كرابط القرابة والدم أو رابط المصاهرة، وقد يكون منها رابط الموالاة، والطريق بصفته هذه خاص بالجماعة الواحدة فقط وبالتالي لا يسلكه غيرهم، وكما وصفه بعض العلماء فالطريق مشترك المنافع بين ساكنيه()، يقول توفيق عبد الجواد:»من العوامل الأساسية التي تؤثر على نظام المدينة الإسلامية هو بنيتها الإجتماعية التي تتكون في غالب الأحيان من جملة من المجموعات البشرية المختلفة الأصل واللغة، وفي حالات أخرى إختلاف الدين مما يشجع على نشوء أحياء مغلقة جزئيا باتجاه بعظها البعض وازدياد استقلاليتها الداخلية»().

الدروب تشترك في صفة واحدة وهي أنها غير نافذة، ولا يوجد منها ما هو نافذ، وقد تسكنها

الفئة الواحدة التي تجمعها خصائص مشتركة، كما يمكن أن يوجد بينها غريب كأهل الكتاب مثلا، ثم إن هذه المسالك مشتركة المنافع بين ساكنيها فلا يجب لأي أحد أن يحدث فيها شيئا إلا برضى أصحابه، وهناك أمر آخر وهو أن هذه الدروب وضع على مداخلها أبواب سُميت دروبا أيضا، وكانت تغلق، وعلى هذا يصبح الدرب بهذه الطريقة بمثابة منزل مغلق لا يجوز لأي شخص أن يسلكه، وبهذا يصبح هذا النوع من الطرق أكثر حرمة، كما أن هذه الأبواب التي على مداخل الدروب لا يجب أن تحدث أذى بالساكن الذي في بداية الدرب، وينطبق هذا الأمر على الرحاب، ويمكن أيضا الإشارة إلى أمر آخر وهو أن الدرب يشبه من جِهَةٍ أنه غير نافذ الزقاق والزنقة والرائغة، كما أنه يشبه تماما الرائغة من حيث أنهما غير نافذين، بالإضافة إلى أننا يمكن أن نجد على مداخلهما أبواب تغلق عليهما ويشترك معهما في هذه الصفة الزقاق[***]، وعليه لا يمكن لنا من خلال هذا أن نفرق بين الرائغة والدرب لأن لهما نفس الوصف.

من خلال هذا المقال استطعت أن أميز ثلاث أنواع من المسالك منها الكبيرة كالمحجّات والشوارع والطرق، ومنها المتوسطة كالأزقة والزنقات، ومنها الصغيرة كالروائغ والدروب، فذكرت حجمها وأماكنها وما هي الأضرار التي تنزه عنها كعدم الإنقاص منها فضلا عن قطعها وأن لا تجري فيها الأوساخ والقاذورات، والتي يجب أن تكون في قنوات تحت الأرض، ومن الأضرار التي يُحترز منها إخراج بعض الإخراجات في الطريق كبناء المراحيض فيها، والحوانيت وخاصة مصاطبها ودكاكينها، وإخراج الرواشن والأجنحة فيها وتغطيتها بالساباطات، وقد ذكرنا أن الحكم على مثل هذه الأضرار يختلف من مسلك لآخر بسبب حجم الضرر وثبوته من عدمه، وعليه فقد كانت المسالك الصغيرة أشد ضبطا من هذه الناحية لأنها اعتبرت بمثابة المنزل وسكانها بمثابة سكان المنزل الواحد، ولا أدل على ذلك من وجود تلك الأبواب على مداخل هذا النوع من المسالك.

مسلك نافذ بدرب مسوفة بتلمسان،نلاحظ سقوط الملاط، والحشائش، وكذا استعمال سقف

مسلك غير نافذ بدرب مسوفة بتلمسان، ساباط منخفض، ويقابله مكان مهدم وبه قاذورات مكدسة.

مسلك غير نافذ بدرب مسوفة بتلمسان،نلاحظ الإنقاص من الطريق في جهتها اليسرى، وسقوط الملاط من

مسلك نافذ بدرب السلسلة بتلمسان، نلاحظ ميلان الجدار الأيسر وبنائه بمواد حديثة، كما نلاحظ الإنقاص من الطريق في جهتها اليمنى.

مسلك غير نافذ بدرب السلسلة بتلمسان، لاحظ إنخفاض الساباط الذي الأصل فيه أن يكون مرتفعا حتى لا يمسه رأس الرجل الراكب على دابة.

مسلك نافذ بدرب السلسلة، نلاحظ تهدم الجهة العلوية من الجدران وسقوط الملاط، وأيضا نمو الحشائش بالأعلى، بالإضافة إلى الكتابة على الجدران.

مسلك نافذ بدرب السلسلة، نلاحظ سقوط الملاط، ونمو الحشائش بالأعلى، ووجود الطحالب، مما سيؤثر سلبا على الجدران.

درب السلسلة، نلاحظ سقوط الملاط، وتشقق الجدران، مما سيؤدي حتما إلى .

هوامش البحث:

-أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، الأدب المفرد، خرج أحاديثه و وضع حواشيه محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 1417هـ/1996م، ص332.

- أنظر:- أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت256ه)، صحيح البخاري، طبعة فريدة مصححة مرقمة مرتبة حسب المعجم المفهرس وفتح الباري ومأخوذة من أصح النسخ ومذيلة بأرقام طرف الحديث، ط2، دار الفيحاء-دمشق، دار السلام-الرياض، 1419هـ/1999م،ص397؛- المنذري (زكي الدين عبد العظيم)، مختصر صحيح مسلم، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، ط1، طبعة جديدة منقحة ومزيدة، دار بن عفان-المملكة العربية السعودية، المكتبة الإسلامية-عمان، قصر الكتاب-البليدة، 1411هـ ص369؛- العسقلاني (أحمد بن علي بن حجر)(ت852ه)، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، قام بإخراجه و تصحيح تجاربه و تحقيقه محب الدين الخطيب، رقم كتبه و أبوابه و أحاديثه محمد فؤاد عبد الباقي، راجعه قصي محب

الدين الخطيب، ط1، ج5،دار الريان للتراث، القاهرة-مصر، 1407هـ/1986م، ص135-134؛

- النووي (مُحي الدين يحيى بن شرف) و آخرون، شرح الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية، اعتنى بها أبو عبد الله محمود بن الجميل، ط2، ج14،دار الإمام مالك باب الوادي-الجزائر، 1431هـ/2010م، ص267، 297.

- أنظر:- البخاري، الصحيح...، مصدر سابق، ص398؛- البخاري، الأدب المفرد...، مصدر سابق، ص78-77، 263-262؛- ابن حجر العسقلاني، مصدر سابق، ج5، ص136؛- النووي، المنهاج...، مصدر سابق، ج16، ص131-130.

- أنظر تفصيلا أكثر عن هذا في مقال للدكتور لعرج:- عبد العزيز لعرج، تلمسان عمرانها وعمارتها الدينية، مجلة الوعي، مجلة فكرية ثقافية تصدر عن دار الوعي للنشر والتوزيع، العدد المزدوج 4-3، جمادى الأولى والثانية، أفريل-ماي، الجزائر، 2011م، ص31-28.

- توفيق حمد عبد الجواد،العمارة الإسلامية فكر و حضارة، مكتبة الأنجلو المصرية ، 1987م، ص301.

- ابن خلدون (عبد الرحمان)(ت808ه)، المقدمة، و هي مقدمة كتابه المسمى كتاب العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و البربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 1413هـ/1993م، ص274-273.

- نفس المصدر سابق، ص68.

- توفيق حمد عبد الجواد، مرجع سابق، ص76.

- ابن خلدون، مصدر سابق، ص270، 315.

- البخاري، الصحيح...، مصدر سابق، ص400. وقد بوّبَ البخاري لهذا الحديث بقوله: إذا اختلفوا في الطريق الميتاء-وهي الرحبة تكون بين الطريق-ثم يريد أهلها البنيان فتترك منها الطريق سبعة أذرع، وفي رواية مسلم عن أبي هريرة أيضا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:»إذا اختلفتم في الطريق جعل عرضه سبع أذرع» أنظر:- المنذري، مصدر سابق، ص251.

- ابن حجر العسقلاني، مصدر سابق، ج5، ص142-141.

- النووي، مصدر سابق، ج11، ص227.

- وقد ذكر هذه الأنواع جميل أكبر،- جميل عبد القادر أكبر، عمارة الأرض في الإسلام، مقارنة الشريعة بأنظمة العمران الوضعية، ط2، دار البشير، عمان-الأردن، مؤسسة الرسالة بيروت- لبنان، 1416 ه/1995م. ص278.

- الفرسطائي (أبو العباس أحمد بن محمد بن بكر النفوسي)(ت504ه)، القسمة وأصول الأرضين، كتاب في فقه العمارة الإسلامية، تحقيق وتعليق وتقديم الشيخ بكير بن محمد الشيخ بلحاج ومحمد صالح الناصر، ط2، مزيدة ومنقحة، المطبعة العربية جمعية التراث القرارة-غرداية، 1418ه/1997م، ص534-533. وانظر كلاما قريبا من هذا عند:- أحمد بن القاسم العنسي اليماني الصنعاني، التاج المذهب لأحكام المذهب شرح متن الأزهار في فقه الأئمة الأطهار، ج3، دار الحكمة اليمانية، 1414هـ/1993م، ص198.

- جميل عبد القادر أكبر، مرجع سابق، ص249.

- الرازي (زين الدين محمد بن أبي عبد القادر)(ت666هـ)، مختار الصحاح، ط3، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت-لبنان، 1430هـ/2009م، ص120.

- عبد الستار عثمان، الإعلان بأحكام البنيان لابن الرامي دراسة أثرية معمارية، دار المعرفة الجامعية، إسكندرية-مصر، 1408هـ/1988م، ص155.

-Marçais. G; Mélanges D'Histoire et D'Archéologie de L'Occident Musulman, T1, Imprimerie Officielle-Alger, 1957, P227.

- الرازي، مصدر سابق، ص364.-الفيروزآبادي (مجد الدين محمد بن يعقوب)(817 هـ)، القاموس المحيط، رتبه و وثقه، خليل مأمون شيحا، ط4، دار المعرفة، بيروت-لبنان، 1430هـ/2009م، ص800.

- الفيروز آبادي، مصدر سابق، ص626.

- أنظر تأكيد هذا عند القيرواني:- القيرواني (أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن أبو زيد) (ت386هـ)، النوادر والزيادات على ما في المدونة من غيرها من الأمهات، تحقيق عبد الفتاح الحلو، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، 1999م.، ج11، ص45-44؛- الفرسطائي، مصدر سابق، ص172. -الثقفي (الشيخ المرجي)(تفي في القرن الرابعهجري)، كتاب الحيطان، أحكام الطرق و السطوح و الأبواب و مسيل الماء و الحيطان في الفقه الإسلامي، مع شرحه و تهذيبه و الزيادات عليه، حققه محمد خير رمضان يوسف، ط1، دار الفكر المعاصر، بيروت-لبنان، 1414هـ/1994م، ص171-170.

- الرازي، مصدر سابق، ص248-247.

- عبد الستار عثمان، مرجع سابق، ص178.

- البخاري، الصحيح...، مصدر سابق، ص698. وانظر:- ابن حجر العسقلاني، مصدر سابق، ج7، ص470.

- عبد الستار عثمان، مرجع سابق، ص178.

- نفسالمرجع، ص177.

- البرزلي (أبو القاسم بن أحمد البلوي التونسي)(ت841هـ)، فتاوي البرزلي، جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام، تقديم محمد الحبيب الهيلة، ط1، ج4،دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، 2002م، ص380.

- المرجي الثقفي، مصدر سابق، ص171-169.-الأَدَرْنوي (القاضي كامي محمد بن أحمد بن إبراهيم الحنفي أفندي)(1136 هـ)، رياض القاسمين أو فقه العمران الإسلامي، دراسة و تحقيق أحمد بن حموش، ط1، دار البشائر للطباعة و النشر و التوزيع، دمشق-سورية، 1421هـ/2000م، ص224.

-ابن منظور(عبد الرحمن بن مكرم)(ت711هـ)، لسان العرب، ط3، دار صادر بيروت-لبنان، 1414هـ/1994م، ج1، ص374.- البستاني(المعلم بطرس)(ت1303هـ)، محيط المحيط، قاموس مطول للغة العربية طبعة جديدة، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 1987م، ص274؛- غالب (عبد الرحيم)، موسوعة العمارة الإسلامية، ط1، بيروت-لبنان، 1408هـ/1988م.ص184؛- عبد الستار عثمان، مرجع سابق، ص166-165.

- أنظر:- القيرواني، مصدر سابق، ج11، ص45؛- الفرسطائي، مصدر سابق، ص178؛- الونشريسي (أحمد بن يحي)(ت914هـ)، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب، خرجه

جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1401هـ/1981م، ج8، ص43-42، ج9، ص06-05.

- توفيق حمد عبد الجواد، مرجع سابق، ص301؛- جميل عبد القادر أكبر، مرجع سابق، ص278.

- يقول جميل أكبر بأن الفقهاء استخدموا وصف غير نافذ أو المشترك مع أسماء الزنقة والزائغة والرائغة والدرب والزقاق والسكة والطريق، أنظر:- جميل عبد القادر أكبر، مرجع سابق، ص378.

مقاربة جديدة حول توجيه المعالم الجنائزية الميغاليثية وشبه الميغاليثية

د.مراد زرارقة
جامعة قالمة

لم تأخذ مسألة توجيه المعالم الجنائزية الميغاليثية وشبه الميغاليثية نصيبها من الأبحاث والدراسات، إذ بقيت تعدّ بمثابة الحلقة المفقودة في كيان الثقافة الجنائزية التي أوليت لها مكانة هامة ومقدّسة من طرف القدامى، وهذا ما تمّ التعرف عليه من خلال عثورنا على جزء من مغزاها في بعض من مخلّفاتها المادية.

وقد تضاربت الآراء حول توجيه المعالم الجنائزية إلى جهة ما أو إلى قبلات معينة، إلاّ أنّ الرأي الذي بقي سائدا والمتمثل في توجيه الغرف الجنائزية إلى الجهة الشرقية عموما. فالعديد من الأبحاث والدراسات دلّت على طغيان هذه القبلة ولو بهامش منفرج قد يصل من الجهات الشمالية الشرقية إلى غاية الجنوبية الشرقية. لكن هذه النظرية لا تتماشى مع الواقع المصادف في الميدان، بل تعاكسه تماما، حيث توجّه غرف المعالم الجنائزية البارزة فوق سطح الأرض إلى قبلات متعدّدة ومختلفة في الموقع الواحد. ويتعيّن بأنّ نفس الأمر انتهج في أوروبّا، حيث لاحظ G. Bailloud بخصوص الأروقة المغطّاة بفرنسا بأنّ معالمها موجّهة إلى عدّة قبلات وهذا بسبب نوعيّة وهيئة الأرضيّة ولا تخضع لأيّة نظم تقليدية[1].

وكانت بدون شكّ الكثير من السلوكيات الخرافية المستمدّة من المعتقدات القديمة ممارسة لدى أصحاب المعالم الجنائزية الميغاليثية وشبه الميغاليثية متمثّلة في تبجيل الأشجار، والتعبّد في المزارات، وتقديس الجبال والصخور، ويتجلّى من هذه العادات الطقوسية بوضوح ديمومة بعض عناصر الديانات الوثنية القديمة، وهي معتقدات بقيت متأصلة لدى سكان الأرياف إلى غاية وقت ليس ببعيد رغم حلول عدّة ديانات سماوية متوافدة على بلاد المغرب دون أن تقضي نهائيا على عدد من شعائرها ومعتقداتها، رغم محاولات منع إقامتها منذ القدم، على غرار المرسوم الإمبراطوري لسنة 407 م الذي يقضي بحظر كل المعتقدات الوثنية بالإضافة لمختلف مراسيم المجامع التي بيّنت مدى تنديدها بهذه السلوكات كمجمع آرل Concil d'Arles سنة 452 م الذي تمّ فيه إعلان اللّعنة ضد كل من يشعل الشموع والمشاعل اعتقادا منه بقداسة الأشجار وعناصر المياه كالمنابع والنافورات إلى غير ذلك من الأمور كالصخور. ونفس الأمر

بالنسبة لمجمع تور Concil de Tours سنة 567 م أين أمر أحد رجال الدّين بعزل كل من يقوم بسلوكات مخالفة للكنيسة قرب الأشجار والنافورات والحجارة من المجتمع، وبقيت نفس الممنوعات تتجدّد في مختلف المجامع مثل نانت Nantes سنة 658 م وطليطلة Tolède سنتي 681 م و682 م.

وبقيت هذه المقاومة سائدة إلى غاية حكم شارل الكبير Charlemagne الذي أصدر مرسوما سنة 789 م ضد معتقدات الأشجار والصخور والنافورات[2].

تبيّن كل هذه القرارات الردعية مدى تقديس القدامى لعدد من المظاهر الطبيعية والتي نعتقد بأنها أخذت كقبلة لتوجيه معالمهم الجنائزية، وهذا ما وقفنا عليه في العديد من الحالات بمختلف مقابر الشرق الجزائري والقطر التونسي التي تتجلّى في توجيه محور الغرف الجنائزية نحو الجبال، وقمم المرتفعات بوجه الخصوص ومن غير المستبعد أنّها كانت تتربّع من فوقها أماكن العبادة كالمعابد والمزارات والأشجار المعزولة.

وتكتسي هذه الظاهرة بالتأكيد على دواعي معيّنة، نعتقد بأنّها في الكثير من الأمثلة ذات أبعاد طقوسية لها صلة بمعتقدات دينية تارة وبشروط تطبيقية يمليها العامل الطبوغرافي تارة أخرى. ويمكن تفسير توجيه المعالم إلى قبلات معيّنة بالأسباب التالية:

أ- التوجيه نحو مشرق الشمس:

هناك عددا من المعالم الجنائزية بمختلف أنواعها وأنماطها موجّهة بصورة واضحة نحو الجهة الشرقية بزاوية تنفرج وتتّسع من الجهة الشمالية الشرقية إلى غاية الجهة الجنوبية الشرقية، وهي الواجهة الموافقة لطلوع الشمس في مختلف فصول السنة، ويمكن التعرّف من خلالها على القبور المنجزة في فصل من فصول السنة، ويكون هذا محصورا على الشخص أو الأفراد المدفونين داخل القبر الواحد في الوقت نفسه، أمّا أولئك الذين دفنوا خلال إعادة أو مواصلة عملية الدفن داخل نفس القبر القائم من قبل، فيتعذّر علينا معرفة الشهر أو الفصل الذي ووري فيه التراب.

ويؤكّد هاميM.T. Hamy في موقع هنشير لحجر بالنفيضة على توازي الغرف الجنائزية فيما بينها بخصوص التوجيه في المجمّع الواحد من المقبرة (كون المقبرة على هيئة عدّة مجمّعات) واتضح باستعمال البوصلة تباين في اتجاه المعالم من مجمّع لآخر يبعد عنه، وتختلف التوجيهات حسب وضعيّات طلوع الشمس صيفا وشتاء، وعليه يمكن تقبّل فكرة أنّ كل فوج من المعالم الجنائزية قد بني الواحد منه خلال فصل من فصول السنة[3].

وقد اتضح لهامي بخصوص منطقة النفيضة Enfida حول ما تبقّى من مصاطب موقع دار بلواعر، أن كل مصطبة قد بنيت على قاعدة دائرية تتراوح ما بين 5 و12م، هذه الحلقة

مدرجة داخل حلقات مركزية أخرى مقطوعة عموما من الجهة الشرقية بواسطة نقطة بادئة Echancrure على شكل ثقب المفتاح تتموضع فوق السطح الأعلى للغرفة الجنائزية المغلقة من جهاتها الثلاث وتبقى مفتوحة من الجهة الشرقية[4].

لقد كان تبجيل الكواكب وخاصّة الشمس والقمر منها كانت ممارسة عند الشعوب القديمة، حيث تذكر مليكة حشيد أنّه منذ ظهور البربر القدامى بالصحراء ثم من بعدهم نسلهم المكوّنون من الليبيين والقرامونت Garamantes، كانوا يمارسون طقوس الكواكب، وتؤكّد الشهادات القديمة المتمثّلة في توجيه موتاهم ومبانيهم الدينية هذا الأمر. ففي وادي الأجيال كانت المدافن مصحوبة بمسلاّت. ويعلم بأنّ المصريين القدامى كانت لهم تقاليد نصب المسلاّت على مداخل المعابد والتي كان لها بعد مقدّس مرتبط بعبادة الشمس. وتتساءل عن شكل التلال الجنائزية المشابهة للهلال وعلاقتها بشكل القمر، وعن استعمال طلوع وغروب القمر لقياس الزمن. لتضيف بأنّ مسينيسا أحد أكبر الشخصيات البربرية كان يبجّل الشمس لطلب ما كان يأمله، فكان يوجّه صلواته للقمر والشمس بقدر مماثل للذي كان يقدّمه للمعبودات البونية، حيث تربّى في وسط ثقافتها وترسّخت ديانتها فيه لكنّه كان يمارس أيضا شعائر أجداده. كما نعلم أيضا ما للقمر من تأثير على المجتمعات المورية والنوميدية فقد كانت ترمى لدى بعض قبائلها القديمة أشياء يابسة لتطلب بدلها أشياءا خضراء[5]. وكأنّ القمر معبود من معبودات الخصوبة.

قد ندرج إلى حدّ ما الأنصاب الحجرية العمودية التي كانت تنتصب مع الحلقات الحجرية المحيطة بالمعالم الجنائزية، فمنها المنصوبة في الجهات الشرقية للمدافن وكأنّها في مقدّمة القبر تطل على اتّجاه طلوع الشمس، إلاّ أنّ عددا آخر منها متموضع في جهات شتّى من حلقات المعالم سواء مازالت منصوبة أو واقعة على الأرض، تطلّ على قبلات مختلفة، قد تكون موجّهة نحو عناصر طبيعية مقدّسة أو أماكن العبادات بمختلف أنواعها المبنيّة بمواد حجرية أو عضوية زائلة كالأشجار المقدّسة.

ب- التوجيه حسب الجنس:

التنقيبات العلمية وحدها التي يمكن أن تزوّدنا بمعلومات حول هذه النظرية بما توضّحه من التأكّد على جنس المتوفّى، علما بأنّ تقارير الحفريات المجراة سابقا لم توضّح هذه المسألة ونكتفي بالإشارة إليها من أجل أخذها بعين الاعتبار في الدراسات المستقبلية. ويمكن استخلاص النتائج التي توصّل إليها باريس F. Paris عن المعالم الجنائزية بالنيجر حينما يقول بأنّها مدافن معقّدة تتشكّل من تلال جنائزية تغطّي حفرة تضم جثّة رجال في غياب تام للنساء في وضعيات جدّ منطوية، نائمين على الجانب الأيمن تكون فيها الرؤوس موجّهة نحو الشرق.

وفي المدافن على شكل أهلّة المنتسبة لفوج المعالم ذات القرون Antenne، محورها الأكبر موجّه دوما من الشمال إلى الجنوب، وتكون ذراعيها في غالبية الأحيان مفتوحة نحو الشرق والبعض الآخر يكون أحيانا مفتوح نحو الغرب، وبواسطة الحفريّات المقامة سمحت بتأريخها ما بين 3300 و1900 ق.م، ويتعيّن بأنّ الأشكال المفتوحة نحو الغرب تنتمي لمدافن النساء[6].

٥- التوجيه نحو الجبال:

يرى كامبس بخصوص المعتقدات السحرية والدينية للأفارقة القدامى بأنّه يمكن التعرّف على مزيج من الظواهر الطبيعية المقدّسة غير المنسجمة لأرواح عديمة التسمية وكائنات تحصّلت على مصف المعبودات المشخّصة وهي سلوكات أساسية مصدرها الحكمة، والتعقّل، والخوف والعبادة، أدّت إلى ظهور معتقد منظّم نوعا ما.

وكان للأفارقة مثل أغلبية الشعوب البدائية وعي وإدراك بوجود قوّة في الطبيعة بإمكانها التظاهر في أيّ وقت كان، داخل الانكسارات الطبوغرافية أو على مظاهر غير معتادة، وهناك احتمال وصولها أو وقوعها على حيوان قد يتحوّل إلى معبود جديد.

ويضيف بأنّه يمكن للقداسة أن تتظاهر على الإنسان بدون أيّ وسيط بدرجات متفاوتة عن طريق الحلم أو الرؤية أو الوحي[7].

ومن أهم المظاهر الطبيعية المقدّسة المنتشرة في العالم القديم ومازالت متواصلة إلى يومنا هذا لدى بعض الفئات والشعوب، فتتمثّل حسب كامبس في الأشكال الطبوغرافية بالدرجة الأولى كالجبال والصخور أيضا حتى ولو كانت هذه الأخيرة بسيطة، ومن هاته الأماكن العالية، يذكر المعبد البوني أو ذو التقاليد البونية مثل معبد ساتورن بلقرننسيس (بوقرنين)Baalcarnensis الواقع فوق جبل بوقرنين المطل على خليج تونس. (الصور 1، 2)

الصورة 1: جبل بوقرنين. (تصوير الباحث)

الصورة 2: بعل ذو قرنين - المعبد البوني بالكنيسية[8]

يرى كامبس أنّ أصول هذا السلوك المنتهج في تقديس الأماكن المرتفعة له خاصيّة محلية بيّنتها العديد من المعالم، بعضها ضارب في القدم كالرسوم الجدارية ذات الدلالة الدينية

المجمّعة على بعض الجبال بالأطلس المغربي الكبير(ياقور بغات)، وهي رسوم يرجع تأريخ بعضها للعصر الحجري الحديث وتعود أغلبيّتها لعصر البرونز وبداية عصر الحديد[9].

بخصوص جبال الأطلس التي أعتقد بأنها ليست حكرا على المرتفعات الشاهقة الواقعة بالمغرب فحسب بل على كل السلسلة من نفس الاسم والتكوين الجيولوجي، والممتدة من المحيط الأطلسي إلى غاية الأراضي التونسية بشطره التلي والصحراوي، التي بقيت محافظة على تسميتها إلى غاية يومنا هذا.

وحافظ كل من سترابون (Strabon, Géograpica.I.XVII.ch.3.2) وبلين الكبير (Pline l'ancien،Histoire ancienne V.ch.I.13.) وصولين (Polyhistor,25،Solin) على التسمية المحلية وهي ديريس وأدّيريس Dyris et Addiris[10]. ومنها أذرار جمعه إيذورار بمعنى جبل، وكان الأطلس مقدسا لدى القدامى به معبود يرفع بيديه السموات، ربّما كان هذا كناية على علوه المناطح للسحاب، وبالتالي القريب من السماء. وليس من باب الصدفة أن تقع إحدي المقابر الميغاليثية وشبه الميغاليثية الكبيرة المعروفة بقسطل على سطح ومنحدرات جبل من نفس الدلالة، ويدعى بالدير Dyr بتبسة حيث يفوق علوه 1000م، ونفس الأمر بالنسبة لعدد هام من المدافن المنتشرة قرب مدينة الكاف التونسية على مرتفعات جبل الدّير المطلّة قديما على موقع سيكا فنيريا Sicca veneria.

إنّ الشواهد المادية الممجّدة والمقدّسة للجبال عديدة في الفترة الرومانية، ونذكر على سبيل المثال تلك النقيشة التي عثر عليها بالقرب من سور الغزلان، هذه المدينة التي يطل عليها جبلين يدعى الأوّل بجبل ديرا Dira المعبّر والذي يقدر علوه بـ 1800 م، عثر من فوق قمّته على بقايا

قد تكون لمعبد أو ضريح[11]. والثّاني يدعى بقرن السلام الذي يرتفع بـ 1371م، عثر به وسط عدّة بقايا قديمة على نقيشة مهداة إلى روح الجبل باستوريانانسيس pastorianensis الحامي من الرياح الهوجاء، عثر بقربها على العديد من البازينات[12] وهي كما يلي:

GENIO MONT(is) PASTORIA(nensis)
VIM T(em) PESTATVM (a) PATRIA N(ostra)
(arc)ENTI

يذكر بلين الأكبر الأساطير التي حكاها كتّاب مشهورون عن جبال الأطلس «لا ترى به أي ساكن بالنهار، وكل شيئ به صامت، صمت الصحراء المهيب ويصاب الذين يدنون منه بخوف أو خشية دينية....أما باللّيل، فالأطلس يتألّق بألف وهج، ويعمّ بفرح الإيجيبان والساتير Egipans et Satyres، وتسمع أصوات الناي والشبتات والطبول والصنوج» يرى قزال بخصوص هذا الوصف أن نكاد نتعرف عليه بالظهور الصاخب للجن التي تسكن الجبل[13].

ومازال نفس المعتقد يروى في بعض مواقع الشرق الجزائري على الرغم من بعد المسافة عن هذا المكان وقد أسقطت هذه الظاهرة على تسمية إحدى ربوات جبل سي الطاهر قرب عين سمارة التي تحتوي بدورها على عدد من المعالم الجنائزية الميغاليثية وشبه الميغاليثية باسم «طبطابة تاع الجهالة»، ونفس الأمر وجدناه على المنحدرات الجنوبية المطلّة على مواقع سيلا والتي تحتوي بدورها أيضا على عدد من المدافن تسمى بطبطابة. وقد عبّر لنا قاطنو هاتين المنطقتين والذين ورثوا تسمية المكانينعن نفس الحكاية وهي سماع ايقاعات الدف والقرع نابعة من هاتين الرقعتين المرتفعتين خلال الليل.

بناء على هذه المعطيات التي تجسّد أهمية المرتفعات في المعتقدات القديمة والتي عثرنا على مخلّفات مادية واضحة تبيّن قداستها، وتتمثّل في توجيه المعالم الجنائزية في العديد من الحالات صوب قممها ومرتفعاتها (أنظر الصور 3، 4، 5) التي قد تكون خالية من كل تهيئة أو شيّدت عليها معابد، أو أضرحة، أو مزارات، وحتى المذابح التي لاحظها فال A. Vel على إحدى القمم الجبلية والواقع على بعد 4 كلم شمال شرق سيلا (وهي منطقة عامرة بالمعالم الجنائزية) على صخرة منحوتة لها شكل كروي، سمكها 0.40م وقطرها 0.70م نحت على واجهتها لهيب ينطلق من مركز الصخرة، كان هذا مذبح مهدى بدون شك إلى بعض المعتقدات الزراعية والرعوية، وقد تكون لسيبال Cybele التي كانت تقدّس في الجبال وفي الأماكن البريّة المتوحشة والتي كانت في بادئ الأمور تجسّد بواسطة صخرة مخروطية أو هرمية[14]

الصورة 3: توجيه الغرفة الجنائزية نحو قمّة الجبل بفم الحليق. (تصوير الباحث)

الصورة 4: توجيه المعلم الجنائزي نخو قمّة جبل المنايع بسلسلة القريون. (تصوير الباحث)

الصورة 5: توجيه الغرفة نحو مكان مرتفع –راس العين بومرزوق. (تصوير الباحث)

لم تقتصر التوجيهات نحو القمم على معالم حوض بومرزوق أو الشرق الجزائري فحسب، بل عثرنا عليها واضحة على المدافن الميغاليثية بإيلاّز Ellez بالقطر التونسي متمثّلة في عدد منها

وجّه رواقها المركزي الذي تحيط به عدّة غرف موضوعة على جانبيه، إلى مختلف مرتفعات السلسلة الجبلية المسيطرة على المنطقة. (أنظر الصورتان 6، 7)

الصورة 6: توجبه ميغاليث إيلاّز قرب مكثر.(تصوير الباحث)

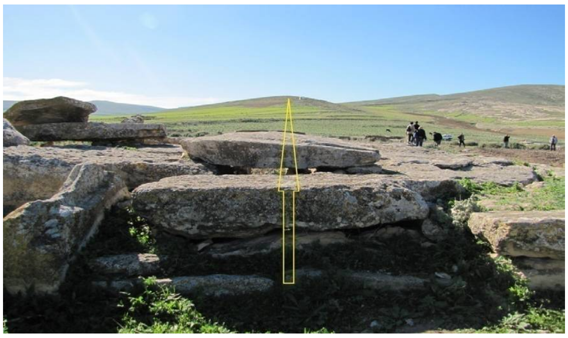

الصورة 7: توجيه ميغاليث ثاني إلى مرتفع آخر بإيلاّز.(تصوير الباحث)

- التوجيه نحو المنابع المائية:

ونفترض بالنسبة لبقيّة المعالم ذات الاتجاهات التي لم نجد لها تفسيرا واضحا مرتبط بالظواهر الطبيعية، بأنّها كانت موجّهة نحو الأشجار المقدّسة والمندثرة في الوقت الراهن، ومنابع المياه ذات التدفّق الوافر، والتي ما يزال عدد منها بنبع من نفس العيون منذ القدم على غرار عين بومرزوق براس العين بومرزوق التي كانت، ومازالت مصدر رزق بما توفّره من منح الحياة وسقي الأراضي عبر وادها من نفس الإسم، والتي تسبّبت بشكل مباشر في انتشار إحدى القبائل النوميدية في محيطها وشيّدت مدافنها بعين المكان.

أمّا الثانية والمسمّاة بعين الغيران، ربّما نسبة لسراديب سيلا فتتوسّط عدّة مجموعات من المدافن الميغاليثية وشبه الميغاليثية، وتقع ما بين المنحدرات الجنوبية لجبل تيساليا والمنحدرات الشمالية لربوة سيلا، التي تحتوي بدورها على منبعين إضافيين على منحدراتها الشمالية والغربية. ويقول تولوت J.A. Toulotte بخصوص هذه البلدة، بأنّها تقع بين وادين مموّلين

بواسطة منبعين وفيرين، وبناء على نقيشة عثر عليها هنا بيّنت أصل تسمية واد أمساقا[15]،المذكور في النصوص القديمة، والذي لعب دورا تاريخيا وسياسيا في غاية الأهميّة، إذ يقول ألبير فيفري Fevrier P.A. «نهران كانا يسجّلان حدود موريطانيا القيصرية، الملويّة Mulucha من الغرب وأمبساقا Ampsaga من الجهة الشرقيّة[16].

ويضيف شاربونو M. Cherbonneau بخصوص هذه النقيشة أنّه عثر عليها قرب أثار سيلا وبالضبط على بعد 200 قدم من هذه المدينة، بالعين المسماة بعين الثور[17]

. أمّا شباسيير وفروبينيوس فيلقّبونها بعين الغيران، وهو الإسم الذي مازال متداولا إلى غاية اليوم، وهي كالتالي:

G(eni)O NVMINIS
CAPVT AMSAGAE
SACRVM
C. ARRVNTI
PROCVLI FILIVS
MAGISTRATVS
PERMISSO ORDINIS
SVIS PECVNIS FECIT
ITEMQVE DEDICAVIT
LIBENS ANIMO[18]

وقد توضّح هذه النقيشة أيضا مكانة هذا الوادي من الناحية الدينية والطقوسية، والتي من الأكيد بأنّها كانت منتهجة لدى السكّان المحليين، وذلك بمحافظة الرومان للمعبودات الإفريقية التي تتجلّى في هذه الحالة في قداسة رأس واد أمساقا والذي قد يقصد به منبع هذا الأخير كما هو متداول إلى يومنا في المواصلة في استعمال نفس المصطلح المتعلّق بالأودية والعيون على غرار عبارات: راس العين (كما هو الأمر بالنسبة لمنبع بومرزوق)، وراس الواد وراس الماء، وكلّها تصبّ في معنى واحد، ويقصد به المكان الذي تنبع منه المياه.

وتدعيما لما جئنا به، فقد لفت انتباهنا بعين الغيران على نقش بارز على واجهة الجلمود الصخري مطلع على منبع مباشرة والذي قد يعود لمعبود مرتبط بالمنبع المائي، وهو عبارة عن تمثيل لشخص واقف ذي أعين لوزية الشكل، له لحية تنتهي بشكل مدبّب على غرار النقوش

البارزة المنجزة من طرف البربر، حفرت على يساره كوّة صغيرة التي نعتقد بأنّها مناسبة لوضع مصباح زيتي بداخلها قصد الإنارة أو التبرّك بهذا المعبود للمحافظة على وفرة المياه بهذا المنبع. (أنظر الصورة 8)

الصورة 8: نقش بارز لمعبود يطلّ على منبع عين الغيران بسيلا. (تصوير الباحث)

ض- التوجيه نحو الأشجار:

من جملة اتّصالات القدامى بالأرواح الخفيّة، والتي يرى قزال بأنّها كثيرة ولا يحصى عدده، لكنّها مجهولة وغير ماديّة وهي حبيسة داخل غلاف بالغ الدقّة حتى أنّ الأعين البشريّة لا تراها. وهي تسكن بداخل الأرض بدون تمييز، وبالسلاسل الجبلية على الخصوص، ولكنّها تفضّل مغادرتها خلال الليل عبر الممرّات التي تعترضها كل من المغارات ومنابع المياه والأشجار[19].

تقديس الأشجار كالزيتون والبطّوم والدردار والفلّين والصنوبر، كان ممارسا منذ القدم حيث يقول قزال أنّه في عهد القدّيس أغسطين، طلب من مجمع ديني إفريقي من الأباطرة أن يقضوا على عبادة الأوثان بكل مكان حتى بالغابات والأشجار. ولربما أنّ هذه الأشجار (أو أغلبيتها على الأقل) لم تكن مساكن لمعبودات معيّنة، ولكنّها كانت وسيلة مفضّلة إلى حيث تقيم الأرواح في باطن الأرض[20].

هذا ما يفسّر تكريس معبود الغابات بمنطقة سيقوس، وغيرها حيث عثر على نقيشة على بعد 8 كلم من سيقوس نحو سيلا، وهي تكريس لسيلفان معبود الغابات، كانت منحوتة داخل إطار مستطيل يقدّر بـ 0,47 م ارتفاعا و 0.57 م طولا على واجهة صخرة بأعالي جبل البرمة فوق

عين السرّارة بأولاد جحيش[21] وهي كما يلي:

SILVANO AVGVST(o)
SACRVM PROSALVT(e)
LVCIVS PRINCIPIAN(vs)
ET MARTALIS ET….
TERTVLLIVS (et) IVLIVS
(h)ERENNIUS PRIMO
SVS V. S.

Silvano Augusto sacrum.Pro salute..Lucius Principianus et Martialis et.. Tertullus et Julius Herennius Primosus votum solverunt

وهذا ما يدلّ بأنّ جبل البرمة وجبل الفرطاس يكادان أن يكونا عراة في الوقت الحالي، كانوا مكسوون بالأشجار.

علما أنّه في سنة 1820 جهّز براهام باي قسنطينة ضد السقنيّة حملة متكوّنة من القبائل المجاورة أين تمّ حرق الغابات الكثيفة لجبل القريون بعدما عجز عن ملاحقتهم، فلم يصل إليهم وللثأر منهم حرق أشجار الزيتون بأعداد معتبرة والتي كانت تغطّي جزءا من بلاد السقنيّة، واعتمد فال Vel على بعض الشواهد المادية المتمثّلة في بقاء جذوع الأشجار متفحّمة استغلّها الأهالي في الطهي[22].

إنّ فكرة تبجيل الأشجار من طرف بناة المعالم الجنائزية الميغاليثية وشبه الميغاليثية بالمنطقة غير مستبعدة بحكم مواصلة تقديسها إلى غاية اليوم بجعلها بمثابة مزارات يهيّئ محيطها بتهييئات حجرية دائرية أو على شكل أهلّة مازال عدد منها قائما حول الأشجار بمقربة من المدافن (أنظر الصور 9، 10).

الصورة 9: مزارة محيطة بشجرة قرب تل جنائزي بجبل فرطاس أولاد عزيز. (تصوير الباحث)

الصورة 10: تهيئة مزارة أسفل شجرة الزيتون المعلّق في أغصانها أشرطة قماشية. (تصوير الباحث)

استخلصنا هذه الفرضية من منطلق توجيه عدد من القبور نحو نفس النقطة المتربّعة فوق ذراع يسيطر على مجموعة من المعالم، والتي قد كان من فوقها شجرة مقدّسة. (أنظر الصور 11، 12)

الصورة 11: توجيه الغرفة نحو النقطة س. (تصوير الباحث)

الصورة 12: توجيه مصطبة ثانية إلى نفس النقطة س. (تصوير الباحث)

هوامش البحث:

1 Bailloud G., Le néolithique dans le bassin Parisien. 2eme supplément à Gallia préhistoire, Paris. CNRS, 1964, P. 157.

2 Dechelette J., Manuel d'archéologie préhistorique, Celtique et Gallo-Romaine T. 1. Paris, 1908 P.379.

3 Hamy M.T.,Cistes et nécropoles Berbères de l'Enfida, Tunisie moyenne. Etude ethnographique et archéologique. B.G.H.D., 1904, N° 1, P.38.

4 Hamy M.T., Ibid, P.37.

5 Hachid M., Les premiers Berbères. P. 292.

6 Paris F., La préhistoire de l'Afrique de l'ouest, nouvelles données sur la période récente. P.96-97.

7 Camps G., Les Berbères, mémoire et identité. Paris., 1995, 3eme édition, P.144.

8 Fantar M-H., Tunisie terre de rencontres et de civilisation. Catalogue de l'exposition archéologique, Seville, Mai-octobre 1992, I.N.A.A., Tunis, 1992, p. 135.

9 Camps G., 1995, Op. Cit. P.145.

10 Basset R., Recherches sur la religion des Berbères. Revue de l'histoire des religions, Paris, 1910.P.3

11 Gsell S., A.A..A., Flle de Medéa, N° 104. P.11.

12 Gsell S., A.A..A., Op. Cit. N° 104.P.7.

13 Gsell S., HAAN, T.6, P.126.

14 Vel A., Monuments et inscriptions libyques relevés dans les ruines de Tir-Kabbine, situé sur le territoire de la commune mixte d'Aïn-M'lila, RSAC, 39, 1905, P.221.

15 Toulotte J.A., Géographie de l'Afrique chrétienne-Numidie-. Paris, 1894. P.268.

16 Fevrier P.A., Caput Ampsaga. E.B. Fasc.IV, 1987, P.606-608.

17 Cherbonneau M., Excursion dans les ruines de Mila, Sufevar, Sila et Sigus pendant l'été de 1863. RSAC., 1868, P.422.

18 Willmans, C.I.L., VIII, 1881. N° 5884, P. 564

19 Gsell S., HAAN t..VI. p.129.

20 Gsell S., Ibid, P. 120.

21 Poule A., Inscriptions de la Maurétanie Setifienne et de la Numidie. RSAC., T.18, 1876-1877.P.545.

22 Vel A., Inscriptions libyques inédites relevées sur le territoire de la commune mixte d'Aïn M'lila, RSAC, 38, 1904, P.31.

الأَنْـدلسْ ومـا فيه مِنَّ البـلاد
لمؤلّفٍ مَجْهُـول(ق 13 هـ / 19م)

دراسة وتحقيق

د. خليل خلف الجبوري
كلية الآداب – جامعة تكريت

مقدمة:

دأب الباحثون والمؤرخون القدامى على الاهتمام بتاريخ الاندلس، بالبحث والتقصي وتسجيل الحوادث والمعلومات عنها، كونها من البلاد التي انعم الله عليها خيراً كثيراً، بدءاً بالموقع الجغرافي، ثم انتشار الاسلام فيها، بحيث كانت البلاد في حقبة ما ملاذاً لطلاب العلم، وقبلة للتجار بكافة اصنافهم. فاشتهر منها على سبيل المثال من المؤرخين، **عبد الملك بن حبيب** (179-238هـ/796-854م) صاحب كتاب **التاريخ**[1]؛ و **احمد بن محمد بن موسى الرازي** (ت344هـ/955م) الذي كتب كتاباً اسمه اخبار **ملوك الاندلس وخدمتهم وغزواتهم ونكباتهم**، ولم يصلنا من مؤلفاته سوى **صفة الاندلس**[2]، **وأبو مروان حيان بن خلف بن حسين القرطبي المعروف بابن حيان** (ت469هـ/1076م)، صاحب **كتاب المقتبس** الذي يقع في عشرة اجزاء، لم يكتشف منه الا ثلاثة اجزاء[3]، و **محمد بن عبد الله بن سعيد بن علي بن احمد الغرناطي الأندلسي المعروف بـ لسان الدين بن الخطيب** (ت776هـ/1374م) صاحب كتاب **الإحاطة في أخبار غرناطة** و كتاب **أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملـوك الإسلام وما يتعلق بذلك من كلام**[4]، وغيرها من الكتب.

ومن المشرقيين الذين اهتموا بتاريخ الاندلس من خلال عرض لمدنها هو **ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي** (ت626هـ/1228م) صاحب كتاب **معجم البلدان**، **وصفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي** (ت739هـ/1338م)، وكتابه المعروف بـ **مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع**، الثريان بمعلوماتهما القيمة، التي لا غنى لباحث في التاريخ عنهما، وما يهمنا منهما (معجم البلدان ومراصد الاطلاع) ان صاحب المخطوط (**الاندلس وما فيه من البلاد**) قد اعتمد بدرجة لا تقبل الشك عليهما بشكل كبير.

دوافع التحقيق:

خلال اعدادي لاطروحة الدكتوراه والخاصة بالتاريخ الاقتصادي لبلاد الاندلس في سنة 2010،

شدني اعتماد بعض الباحثين من جامعة بغداد على مخطوط اسمه (الاندلس وما فيه من البلاد)، وزادني ذلك فضولاً في الحصول على نسخه من المخطوط واستخدامها كمصدر في دراستي، وفعلاً استطعت الحصول على نسخه مصوره على (سكنر)، وقمت بعد ذلك بالتحري عنها هل حققت ام لا؟ ولم اجد لها تحقيقاً آنذاك، وبدأت في دراستها محاولاً التعرف على مؤلفها والمصادر التي اعتمدها، ومع بداية العمل وجدت ان هنالك تشابها بين المعلومات الواردة في المخطوط مع المعلومات الواردة في معجم البلدان لياقوت الحموي، ومراصد الاطلاع للبغدادي، ومع نهاية اعادة كتابة المخطوط، حصلت على تحقيق للمخطوط من قبل الدكتور خالد حسن الجبالي، وقد اورد عنوان المخطوط خطأً تحت اسم (**كتاب الاندلس وما فيها من بلاد**)، وطبعت في دار البشير (2004)، واحتوت هذه الطبعة على اخطاء، تمثلت في العنوان وتحديد نوع الخط (اذ ذكر المحقق الجبالي ان نوع الخط المستخدم في كتابة المخطوط هو خط النسخ[5]) ومجموعة اخرى من الاخطاء تخص بعض المدن، فشدني ذلك على اخراج دراسة وتحقيق المخطوط على احسن ما يكون.

مؤلف المخطوط وعصره:

بعد ان علمنا ان صاحب المخطوط قد اعتمد على كتاب معجم البلدان لـ ياقوت الحموي (ت626هـ/1228م)، فضلاً عن البغدادي وكتابه مراصد الاطلاع في عرض معلومات مخطوطه، فهذا يحدد عصر المخطوط بعد اواسط القرن السابع الهجري صعوداً، لكن ذلك لا يكفِ، لاسيما وان الدكتور خالد حسن الجبالي حدد عصر المخطوط بقوله انه:"**نسخ بحدود القرن التاسع الهجري بدليل ما ترجم لشخصيات عاشت في تلك الفترة**"[6]. لا يمكن الاعتماد على ذلك بشكل قطعي على هذا التاريخ لهذه الاسباب:

اولاً: ان المحقق الجبالي لم يذكر لنا هذه الشخصيات، وكل الشخصيات الواردة في المخطوط قد ذكرت عند ياقوت الحموي.

ثانياً: ان المحقق الجبالي اعتمد على نص اندلسي اورده صاحب المخطوط في اول ورقة مفاده: "**قلت واما الان فقد استولى الفرنج على اكثر بلادها فلم يبق للمسلمين بها الا بلدان يسيرة**". في تحديد عصر صاحب المخطوط. معتقداً ان هذا النص من صاحب المخطوط، وبعد التدقيق ظهر ان النص مطابق لما موجود عند البغدادي، مراصد الاطلاع (ت739هـ/1338م)، وبذلك لا يمكن اعتماد هذا النص لتحديد زمن صاحب المخطوط.

ثالثاً: وبذلك ولما سبق، لم يكن امامنا الا تحليل نوع الخط، ومن خلال تحليل نوع الخط

الذي استخدم في كتابة المخطوط وبالاعتماد على ذوي الخبرة، وجدت ان صاحب المخطوط قد كتب المخطوط بالخط الفارسي (النستعليق)[7]، وهو خط عربي الاصل، فطوره وحسن ملامحه الفرس ونسب إليهم. واعتمد بشكل رسمي لدى الخطاطين في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر ميلادي. وهذا دليل اخر ينفي ما اورده الجبالي من ان عصر المخطوط بالقرن التاسع الهجري.

اما عن خط التعليق (النستعليق) وتاريخ المخطوط فذكر الدكتور عامر الجميلي[8]، ان الخط المستخدم في كتابة المخطوط: "خط يعرف بـ(النستعليق) مشهور بهذا الاسم في بلاد (إيران وباكستان والهند وأفغانستان)، كما يسمّى في (تركيا والموصل) بـ(التعليق)، في حين يطلق عليه في (بلاد الشام ومصر) بـ(الفارسي)، وفترة نسخ المخطوطة لا تعدو منتصف القرن التاسع عشر الميلادي بحدود (1850م) ، كما اخمّن أنها ربّما من نسخ (خطّاطي الموصل وورّاقيها)، وتحديداً في أواخر فترة إقصاء (الاسرة الجليلية) عن الحكم سنة (1250هـ/1834م)".

كما كان للدكتور عمرو عبد العزيز منير[9] مداخلة في ذلك اذ ذكر ان "هذا الخط يدخل تحت أنواع خط النستعليق، وإن صاحب المخطوط لم يلتزم بقواعد الخط. وخط النستعليق (نستعليق) أو الخط الفارسي هو أحد الخطوط العربية، ظهر في إيران في القرنين الثامن والتاسع هجريين/ الرابع عشر- الخامس عشر ميلادي، يستعمل أيضا في الكتابة العربية. وهو عادة ما يستعمل في كتابة العناوين". كما أني لست مقتنعا إن المخطوط يرجع للقرن الخامس عشر ميلادي، فنوع الورق والتنقيط يدلان على أن العصر متأخر لكن الخط المستخدم هو بحسب شكل الورق اللي أنا لاحظته، وعدم ضبط خط النستعليق فيه، أخمن إن صاحب المخطوط متأثر بالحضارة الفارسية أو أصوله من إيران أولاً. ثم ان نوع الورق وجودته وبياضه تشير إلى أن المخطوط كتب القرن 18 أو 19 على أقصى تقدير ثانيا، لأن الناسخ لم يلتزم بأصول الخط نفسها".

ونتيجة لذلك ولما ذكره الدكتور عامر الجميلي والدكتور عمرو عبد العزيز منير فاخمن ان عصر صاحب المخطوط المخطوط بحدود **القرن الثالث عشر هجري، التاسع عشر ميلادي**.

قيمة المخطوط واهميته:

تكمن قيمة المخطوط انها قد جمعت اغلب المعلومات عن مدن الاندلس وجغرافيتها الموجودة في كتابي معجم البلدان لـ ياقوت الحموي (ت626هـ/1228م)، ومراصد الاطلاع للبغدادي (ت739هـ/1338م)، وبشكل مختصر لتسهيل تقديم المعلومة عن بلاد الاندلس وما

تحويه من مدن وقرى وحصون الى الباحثين وغيرهم، فقد احصى صاحب المخطوط ما لا يقل عن مائة وتسعة وسبعون مدينة وقرية وحصن، وما فيها من ثروات وما اشتهرت به من زراعة وصناعة.

منهجنا في التحقيق:

اقتناعاً منا بان الهدف من تحقيق النصوص هو محاولة اخراجها على الشكل الذي كان المؤلف (صاحب المخطوط) يسعى الى اخراجها عليه؛ فاننا بذلنا الجهد من اجل اخراج نص خالي من الوهم والخطأ قدر الامكان، وذلك من خلال تصويب الاخطاء الواردة في المتن بالاعتماد على المصادر التاريخية وكتب البلدان، كون ما نملكه هو نسخه واحدة فقط، كما اجهدنا في تعريف الاعلام البشرية والجغرافية متى ما وردت في المخطوط.

وقد استعملنا بعض الرموز في هذا التحقيق ومنها:

]1[نهاية كل ورقة من النسخة (المخطوط) التي اعتمدناها.

]...[ما اضفناه على المخطوط، من تصحيح، او زيادة لاكمال المعنى العام، بالاعتماد على المصادر الاخرى.

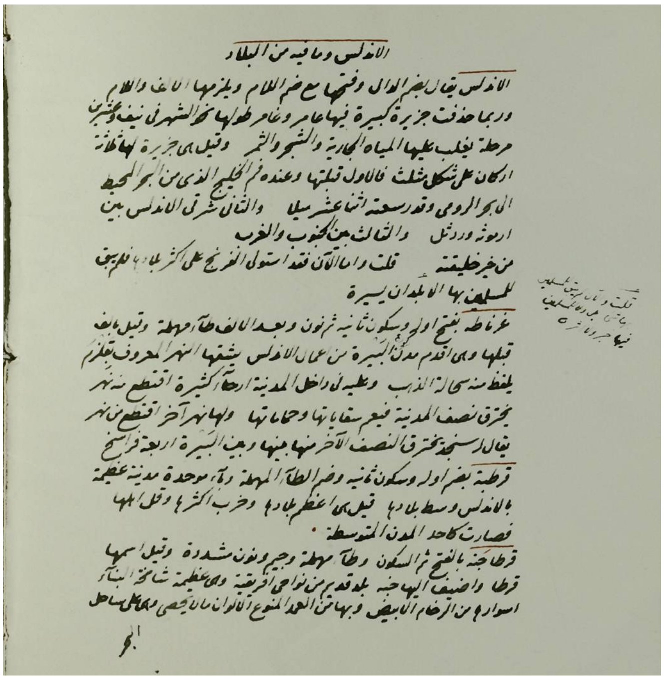

الاندلس وما فيه من البلاد

الاندلس يقال بضم الدال وفتحها مع ضم اللام ويلزمها الالف واللام

نسخه من المخطوط الورقة رقم (1)

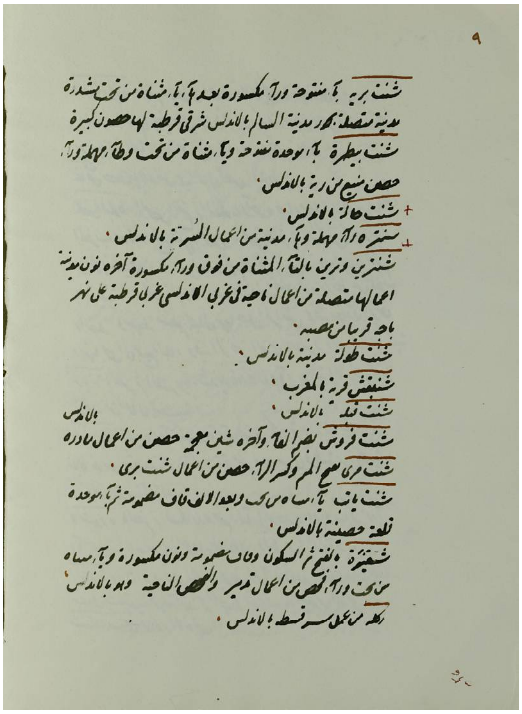
شنت برية بالباء مفتوحة وراء مكسورة بعدها ياء مثناة من تحت مشددة
مدينة متصلة بحوز مدينة السالم بالاندلس شرقي قرطبة لها حصون كبيرة
شنت بيطرة بباء موحدة مفتوحة وياء مثناة من تحت وطاء مهملة وراء
حصن منيع من رية بالاندلس
شنت حالة بالاندلس
سنترة راء مهملة وياء مدينة من اعمال الشنترة بالاندلس
شنترين وترين بالتاء المثناة من فوق وراء مكسورة آخره نون مدينة
اعمالها متصلة من اعمال باجة في غربي الاندلس غربا قرطبة على نهر
باجة قريبا من مصبه
شنت طولة مدينة بالاندلس
شنتفش قرية بالمغرب
شنت فيلة بالاندلس
شنت فروش بفتح الفاء وآخره شين معجمة حصن من اعمال ماردة بالاندلس
شنت مرية بفتح الميم وكسر الراء حصن من اعمال شنت برية
شنت ياقب بياء مثناة من تحت وبعد الالف قاف مضمومة ثم باء موحدة
قلعة حصينة بالاندلس
شنتيرة بالفتح ثم السكون وتاء مضمومة ونون مكسورة وياء مثناة
من تحت وراء حصن من اعمال تدمير والحصن الناحية وهو بالاندلس
ركلة من عمل سرقسطة بالاندلس

نسخه من المخطوط الورقة رقم (9)

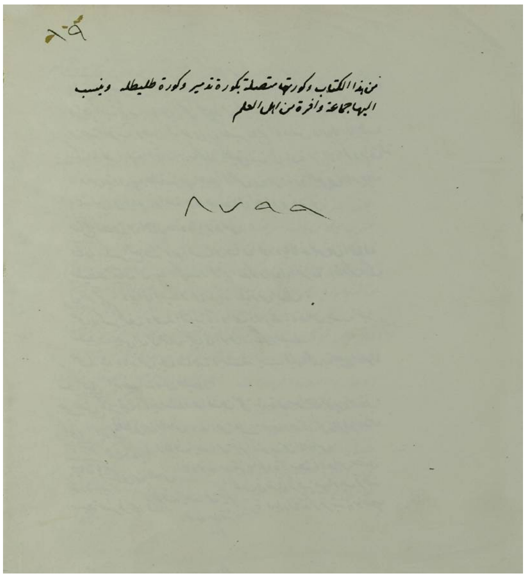
من هذا الكتاب وكورتها متصلة بكورة تدمير وكورة طليطلة وينسب
اليها جماعة وافرة من اهل العلم

نسخه من المخطوط الورقة رقم (19)وهي الاخيرة

بعض التعريفات الخاصة بالمخطوط

المرحلة: بفتح الميم، مسيرة نهار بسير الابل المحملة، وقدرها أربعة وعشرون ميلاً هاشمياً، أو ثمانية فراسخ[10]. وبما ان الميل البري 1609 متر، والميل البحري يساوي 1852 متر[11]، وبذلك يمكن القول ان المرحلة بالميل البري 38,616 متر، اما قياسها بالميل البحري 44,448 متر.

الفرسخ: حدد الفرسخ بثلاثة اميال[12]، وبما ان الميل البري 1609 متر[13]، فالفرسخ 4827 متر اذا كان براً، اما اذا كان القياس بالميل البحري، فيكون الفرسخ 5556 متر.

اليوم: يقال بين كذا وكذا مسيرة يوم. واليوم، أربع وعشرون ساعة (النهار والليل) وقدّر الحاسبون ما يسيره المسافر في اليوم على الأقدام، أو بصحبة البعير المحمل بالأثقال: حوالي ثمانين كيلاً[14].

الميل: وهنا نقصد بالميل البري والذي يساوي 1609 متر؛ اما الميل البحري يساوي 1852 متر[15].

الكورة: كل صقع يشتمل على عدّة قرى، ولا بدّ لتلك القرى من قصبة أو مدينة[16]، والكورة كالبلدة[17].

الاقليم: يطلق على كل منطقة تتَّصف بوَحدة المُناخ أو وَحدة النِّظام الاقتصاديّ والاجتماعيّ[18].

الرستاق: مُعَرَّبٌ وَيُسْتَعْمَلُ فِي النَّاحِيَةِ الَّتِي هِيَ طَرَفُ الاقليم[19].

الفحص: بفتح أوله، وسكون ثانيه، وآخره صاد مهملة: كل موضع يُسْكن سهلاً كان ام جبلا بشرط أن يزرع يسمى فحصا[20].

الاندلس وما فيه من البلاد

الاندلس[21]**:** يقال بضم الدال وفتحها، مع ضم اللام، ويلزمها الالف واللام، وربما حذفت. جزيرة كبيرة فيها عامر وغامر، طولها نحو الشهر في نيف وعشرين مرحلة، يغلب[22] عليها المياه الجارية، والشجر والثمر. وقيل: هي جزيرة لها ثلاثة اركان على شكل مثلث، فالاول: قبلتها، وعنده فم الخليج الذي من البحر المحيط الى]البحر[[23] الرومي، وقدر سعته اثنا عشر ميلا. والثاني: شرقي الاندلس بين]مدينة اربونة ومدينة برديل[[24]. والثالث: بين الجنوب والغرب من حيز جليقية.

قلت واما الان فقد استولى الفرنج على اكثر بلادها فلم يبق للمسلمين بها الا بلدان يسيرة[25].

غرناطه: بفتح اوله، وسكون ثانيه، ثم نون وبعد الالف طآء مهملة، وقيل: بالف قبلها. وهي اقدم مدُن البَيرة من اعمال الاندلس، يشقها النهر المعروف بقَلزمَ، يلقط منه سحالة الذهب، وعليه في داخل المدينة ارحآء كثيرة، اقتطع منه نهر يخترق نصف المدينة فيعم سقاياتها وحماماتها. ولها نهر آخر اقتطع من نهر يقال له سنجد[26]، يخترق النصف الآخر منها، بينها وبين البيرة اربعة فراسخ[27].

قرطبة: بضم اوله، وسكون ثانيه، وضم الطآء المهملة، وبآء موحدة. مدينة عظيمة بالاندلس وسط بلادها. قيل: هي اعظم بلادها، وخرب اكثرها، وقل اهلها فصارت كاحد المدن المتوسطة[28].

قرطاجنه: بالفتح ثم السكون، وطآء مهملة، ونون مشددة، وقيل اسمها قرطا، واضيف اليها جنه، بلد قديم من نواحي افريقية. وهي عظيمة شامخة البنآء اسوارها من الرخام الابيض، وبها من العمد المنوع الالوان ما لا يحصى وهي على ساحل[1] البحر، بينها وبين تونس اثنا عشر ميلا. وتونس عمرت من خرابها، وبالاندلس الاخرى قرطاجنة الخلفآء استولى البحر عل اكثرها[29].

اشبيلية: بالكسر ثم السكون، وكسر البآء الموحدة، ويآء ساكنة، ولام، ويآء خفيفة. مدينة كبيرة عظيمة، ليس بالاندلس اعظم منها، هي دار الملكٔ بالاندلس،]وهي[[30] غربي قرطبة بينهما ثلاثون فرسخا[31]، وهي قريبة من البحر، يطل عليها جبل الشرف، وهو كثير الشجر[32].

جيّان: بالفتح ثم السكون، واليآء مهملة التشديد، وآخره نون. مدينة واسعة بالاندلس، متصلة بكورة البَيرة في شرقي قرطبة، بينها وبين قرطبة سبعة عشر فرسخا[33].

بجانة: بالفتح ثم التشديد، والف ونون، بلد بالاندلس من اعمال كورة البيرة، خربت وانتقل اهلها الى الَمّرية. وبينها وبين المِّرية فرسخان[34].

المريَة: بالفتح ثم الكسر، وتشديد اليآء، مدينة كبيرة من كورة البَيرة، من اعمال الاندلس، كانت هي وبجانة بابي الشرق، ومنهما يـركب وياتي التجـار، و]فيها[[35] مرفأ للسفـن والمراكب[36].

بَيرة[37]: بلد بالاندلس قريبة من البحر.

صِقلِية: من جزآئر بحر المغرب، مقابلة افريقية، مثلثة الشكل بين كل زاوية والاخرى مسيرة سبعة ايام، وقيل: دورها خمسة عشر يوماً، بينها وبين رِيو. وهي مدينة في البر الشمالي الشرقي الذي عليه مدينة]قسطنطينية[[38]، مجاز يسمى]الفارو[[39]، في اطول جهة منها اتساعه عرض ميلين وعليه مدينة تسمى]المسيني[[40]، وبين الجزيرة و افريقية مآئه واربعون ميلا الى اقرب

المواضع[2]، وهو الموضع المسمى]اقليبيه[(41) وهو يومان للريح الطيبة]او[(42) اقل، وهي جزيرة حصينة(43) كثيرة البلدان والقرى والامصار، قيل ان لها]ثلاثا[(44) وعشرين مدينة، وثلاثة عشر حصنا(45).

رِيُو: بكسر اوله، وسكون ثانيه، وثالثه واو ساكنة، مدينة للروم مقابلة صِقِلية من ناحية الشرق على بر]قسطنطينية[(46).

رَيّة: بفتح اوله، وتشديد ثانيه، كورة واسعة بالاندلس، قبلي قرطبة]متصلة[(47) بالجزيرة الخضرآء(48).

قسطلّة(49): بالفتح ثم السكون، وفتح الطآء، وتشديد اللام، وهي مدينة بالاندلس.

قسطيلية: بالفتح ثم السكون، وكسر الطآء، ويآء ساكنة ولام، ويآء خفيفة، وهي مدينة بالاندلس.

الجزآئر: جمع جزيرة، اسم علم لمدينة على ضفة البحر، بين افريقية والمغرب، بينها وبين بجانة اربعة ايام، وتعرف بجزآئر]بني[(50) مرغنآي بها اثار قديمة وابنية عجيبة.

الجزيرة الخضرآء(51): مدينة مشهورة بالاندلس.

جزيرة شكر: بضم الشين المعجمة، وسكون الكاف، جزيرة في شرقي الاندلس، ويقال جزيرة]شُقْر[(52).

المنارة: واحدة المنـآئر، اقليم المنارة بالانـدلس، قرب شَذونة(53)، وهي من ثغور سرقسطة.

منورقة: بالفتح ثم الضم، وسكون الواو، وفتح الرآء، جزيرة عامرة في شرقي الاندلس قرب ميورقة(54)[3].

اتريش: بالكسر ثم السكون، وكسر الرآء، ويآء ساكنه، وشين معجمة، حصن بالاندلس من اعمال رَيَّة، كان يلجأ اليه ابن حفصويه(55) عند الخوف.

اخشنبه(56): بالفتح ثم السكون، وفتح الشين المعجمة، ونون ساكنة، وبآء موحدة، بلد بالاندلس مشهور.

ارجون(57): بالفتح ثم السكون، وجيم مضمومة، وواو ساكنة ونون، بلد من ناحية جيان الاندلس.

ارشذونة: بالضم ثم السكون، وضم الشين المعجمة، والذال المعجمة، وواو ساكنة، ونون، وهآء، مدينة بالاندلس معدودة في اعمال ريَة قبلي قرطبه،]بينها وبين قرطبة[[58] عشرون فرسخا.

ارضِيط: بالفتح ثم السكون، والضاد معجمة مكسورة،]وياء ساكنة[[59]، وطآء، من قرى مالقه.

الليث: حصن من اعمال رَية بالاندلس.

اركون: بالفتح ثم السكون، وضم الكاف، وواو ساكنة، ونون، حصن منيع بالاندلس من اعمال شنتبرية[60].

مالطه: بلده بالأندلس[61].

مالقة: بفتح اللام والقاف، مدينة بالاندلس عامرة من اعمال رية، وسورها على شاطئ البحر بين الجزيرة الخضرآء[62] والمرية، قيل: هي على ساحل بحر المجاز المعروف بالزقاق.

شنت اولالية: بفتح الشين، ثم السكون، كانها لفظة يعني بها البلدة او الناحية، لانها تقال مضافة، واولاليه بضم الهمزة وسكون الواو وبعدها لام مكسورة ويآء مثناة من تحت خفيفة، مدينة من]اعمال[[63] طليطلة[64] بالاندلس[4].

آره: في ثلاثة مواضع بالاندلس.

أُرنيش: بالضم ثم السكون، وكسر النون، ويآء ساكنة، وشين معجمة، ناحية من اعمال طليطلة بالاندلس[65].

ارنيط: بوزن قبله، وآخره طآء مهملة، مدينة في شرق الاندلس، من اعمال تطيله، مطله على ارض العدو. وبينها وبين تطيلة اربعة فراسخ[66]، وبينها وبين سرقسطه سبعة وعشرون فرسخا.

تطيله: بالضم ثم الكسر، ويآء ساكنه، ولام، مدينة بالاندلس في شرقي قرطبة، تتصل باعمال اشقة[67].

اشقاليه: بالفتح، واللام مكسورة، ويآء خفيفة، اقليم من نواحي بطليوس من نواحي الاندلس.

اشقوبل: بالضم ثم السكون، وضم القاف، والواو ساكنة، والبآء موحدة مضمومة، ولام، مدينة في ساحل جزيرة صِقِلية[68].

اشقة: القاف مفتوحة، مدينة مشهورة بالاندلس متصلة الاعمال باعمال برطانيه[69]، في شرقي الاندلس، ثم في شرقي سرقسطة وقرطبة، قديمة ازلية ولها حصون ومعاقل.

اشكابس: بالفتح وفتح الكاف، وبعد الالف بآء مضمومة، وسين مهملة، حصن بالاندلس من اعمال]شنتمرية[[70].

اشكرب: بالكسر]ورآء[[71] موحدة، مدينة في شرقي الاندلس.

اشوقه: بالضم ثم الضم، وسكون الواو، وقاف، وهآء، بلدة بالاندلس[72].

اشونه: بالنون، مكان القاف، حصن بالاندلس من نواحي استجه[73].

استجه: بالكسر ثم السكون، وكسر التآء فوقها نقطتان، وجيم وهآء، كورة بالاندلس تتصل باعمال رَية، بين القبلة والمغرب من قرطبة على نهر غرناطة[74][5].

اشير[75]: بكسر ثانيه، ويآء ساكنة، ورآء، مدينة في جبال البربر بالمغرب في طرف افريقية الغربي مقابل]بجاية[[76] في البر.

شِلب[77]: بكسر اوله، وقيل بفتحه، وسكون ثانيه، وآخره بآء موحدة، مدينة]بغربي[[78] الاندلس، بينها وبين باجه ثلاثة ايام،]وهي[[79] غربي قرطبة[80].

شلوقه: حصن بقرب سرقسطه بالاندلس.

شلطيش[81]: بفتح اوله، وسكون ثانيه، وكسر الطاء، وآخره شين اخرى، بلدة بالاندلس صغيرة في غربي اشبيلية على البحر[82].

شلوتينيه،]شلوبينيه[[83]: بفتح اوله، وبعد الواو الساكنة تآء مكسورة، ثم يآء من تحت، ونون، ويآء اخرى خفيفة مثناة من تحت، حصن بالاندلس من اعمال البَيرة على ساحل البحر.

شلوذ: بالفتح، ثم السكون، و واو مفتوحة، وذال معجمة، بلد بالاندلس، ينسب اليها الكحل الشلوذي، يصنعه اهلها من الرصاص، ويحمل الى سآئر البلاد.

]شلون[[84]: بضم اوله، ويفتح وسكون واوه، وآخره نون، ناحية بالاندلس من نواحي سرقسطه، نهره يسقي اربعين ميلاً طولا.

شلير: بلفظ التصغير، وآخره رآء، جبل من الاندلس، من اعمال البَيرة، لا يفارقه الثلج صيفا ولا شتآء.

بطليوس: بفتحتين، وسكون اللام، ويآء مضمومة، وسين مهملة، مدينة كبيرة بالاندلس، من اعمال ماردة على نهر آنه غربي قرطبة[85].

مارده: بكسر الرآء والدال، كورة واسعة من نواحي الاندلس، متصلة بحوز فريش[86] بين الغرب والجوف، من اعمال قرطبة، مدينة رائعة كثيرة الرخام عالية البنيان، فيها آثار قديمة حسنة، تقصد للفرجة والتعجب، وبينها وبين قرطبة ستة ايام[87][6].

يانه: بتشديد النون، وسكون الهاء، قلعة من قلاع جزيرة صقلّية مشهورة.

قرمس: بالفتح ثم السكون، وآخره سين مهملة، بلدة باعمال ماردة بالاندلس.

قرمونيه: بالفتح ثم السكون، وضم الميم، وسكون الواو، ونون مكسورة، ويآء خفيفة، وهاء، كورة بالاندلس تتصل بعمل اشبيلية غربي قرطبة.

اريليه: بالفتح، ثم الكسر، وياء ساكنة، ولام مكسورة، ويآء اخرى مفتوحة خفيفة، وهاء، حصن بين سرته وطليطلة من اعمال الاندلس[88].

اريول: بالفتح، ثم السكون، وياء مضمومة، وواو ساكنة، ولام، مدينة بشرق الاندلس من ناحية تدمير[89].

ُسرته: بالضم ثم الكسر، وتآء مثناة من فوق مشددة، وهآء، مدينة بالاندلس شرقي قرطبة[90].

ُطلَيطُلَه: ضبطه الحميدي بضم الطائين، وفتح اللامين، قال: واكثر ما سمعناه من المغاربة بضم الاولى، وفتح الثانية، مدينة كبيرة ذات خصائص محمودة بالاندلس، يتصل عملها بعمل وادي الحجارة، وكانت قاعدة ملوگ القرطبيين، وموضع قرارهم،]وهي[[91] على شاطى نهر] تاجه[[92]، وعليها قنطرة يعجز الواصف عن وصفها، يقال: ان الغلال تبقى في مطاميرها سبعين سنة فلا تتغير، وقد قيل ان طليطلآء بالمد، مدينة وكانت لغة في هذه، والله اعلم.

طلبيرة: بفتح اوله وثانيه، وكسر البآء الموحدة، ثم يآء مثناة من تحت، ورآء، مدينة بالاندلس من اعمال طليطلة قديمة على نهر]تاجه[[93].

مدلين: بفتحتين وكسر اللام، ويآء مثناة من تحت، ونون، حصن من اعمال ماردة بالاندلس[94].

المدون]المدور[[95]: حصن مشهور بالقرب من قرطبة[7].

استوريش]استوريس[[96]: بالضم، حصن من اعمال وادي الحجارة بالأندلس[97].

اسقفه: بالضم، وباقيه مثل الذي قبله، اي سكون السين، وضم القاف، وفآء، مع زيادة الهآء، رستاق نزه]بشجر نضر[[98] بالاندلس، وقصبته غافق.

غافق: حصن بالاندلس، من اعمال فحص البلوط[99].

فحص البلوط: الفحص بالفتح، ثم السكون، وآخره صاد مهملة،]بالمغرب من ارض الاندلس مواضع عدة[[100] تسمى الفحص. والفحص: كالقرية. والفحص ناحية كبيرة من اعمال طليطلة. والفحص ايضا اقليم من اقاليم السوسة، وهو ايضا اقليم باشبيلية. وفحص البلوط: ناحية بالاندلس تتصل [بجوف اوريط][101]، بين المغرب والقبلة]من اوريط[[102]،]وجوف من قرطبة يسكنه البربر[[103]، وسهلة منتظم بجبال، منها جبل البرانس، وفيه معادن الزيبق، ومنها يحمل الى جميع البلاد، وفيه الزنجفر الذي لا نظير له. و**قلعه بلوط** بصقلية.

بريانة: بالضم، ثم الكسر، ويآء شديدة، ونون، وهآء، مدينة بالاندلس في شرقى قرطبة، من اعمال بلنسية.

بلنسية: السين مهملة مكسورة، ويآء خفيفة، كورة ومدينة مشهورة بالاندلس، متصلة بحوزة كورة تدمير[104]، وهي شرقي قرطبة، برية بحرية وتعرف بمدينة التراب[105].

اشبوره: بالضم، ثم السكون، وضم البآء الموحدة، وواو ساكنة، ورآء، وهآء، ناحية بالاندلس من اعمال طليطله، وقيل من اعمال استجة.

اشبونه[106]: بوزن الذي قبله، الا ان عوض الرآء نون، مدينة بالاندلس ايضا تتصل بشنترين، قريبة من البحر المحيط قبل مصب [شنترين][107] الى البحر.

شنت اسناني[108]: من كور الاندلس[8].

شنت برية: بآء مفتوحة، ورآء مكسورة، بعدها يآء مثناة من تحت مشددة، مدينة متصلة بحوز مدينة]سالم[[109] بالاندلس شرقي قرطبة، لها حصون كبيرة[110].

شنت بيطرة: بآء موحدة مفتوحة، ويآء مثناة من تحت، وطآء مهملة، ورآء: حصن منيع من]اعمال[[111] رية بالاندلس.

شنت حالة[112]: بالاندلس.

شنتره[113]: رآء مهملة، وهآء، مدينة من اعمال [الشبونة][114] بالاندلس.

شنترين: وترين بالتآء المثناة من فوق، ورآء مكسورة آخره نون، مدينة اعمالها متصلة من

اعمال ناحية]باجة[[115] في غربي]الاندلس[[116]، غربي قرطبة، على نهر]تاجه[[117]، قريبا من مصبه[118].

شنت طولة: مدينة بالاندلس.

شنبغش[119]: قرية بالمغرب.

شنت فبله[120]: بالاندلس.

شنت فروش[121]: بضم الفآء، وآخره شين معجمة: حصن من اعمال ماردة بالاندلس .

شنت مري[122]: بفتح الميم، وكسر الرآء: حصن من اعمال شنت بري.

شنت ياقب: يآء مثناة من تحت، وبعد الالف قاف مضمومة، ثم بآء موحدة: قلعة حصينة بالاندلس[123].

شنقنيرة: بالفتح، ثم السكون، وقاف مضمومة، ونون مكسورة، ويآء مثناة من تحت، ورآء: فحص من اعمال تدمير. والفحص: الناحية، وهو بالاندلس[124].

ركله: من عمل سرقسطه، بالاندلس[125][9].

اش[126]: بفتح الهمزة، والشين مخففة، وربما مدت همزته: مدينة الاشات، بالاندلس، من كورة البيرة، ويعرف بوادي اش، والغالب على شجرها الشاهبلوط.

الاصنام: جمع صنم، اقليم الاصنام بالاندلس، من عمل]شذونه[[127]، وبه حصن يعرف بطبيل، في اسفله عين غزيرة المآء عذبة، اجتلب الاوآئل منها المآء الى جزيرة]قادس[[128]. قيل: واعلامه الى اليوم باقية.

اصيل: يآء ساكنة، ولام: بلد بالاندلس، قيل: ربما كان من اعمال طليطله[129]. قيل: اصيله اول مدينة العدوة مما يلي الغرب، في سهلة من الارض، حولها رواب لطاف، والبحر بغربيها] وجنوبيها[[130]، وكان عليها سور لـ خمسة ابواب، وكان اذا ارتج البحر بلغ الموج حآئط الجامع، وهي الآن خراب، وبينها وبين طنجة غرباً مرحلة.

اطرابنش: بكسر البآء الموحدة، والنون والشين معجمة، بلدة على ساحل جزيرة صقلية [ومنها يقلع][131] الى جهة افريقية.

افراغه: بالكسر، وغين معجمة، مدينة بالاندلس من اعمال ماردة كثيرة الزيتون[132].

اقلوش: بالضم، وآخره شين معجمة، موضع من عمل غرناطة بالاندلس[133].

اقليش: بالضم، ثم السكون، وكسر اللام، ويآء ساكنة، وشين معجمة، مدينة بالاندلس من اعمال شنتبرية، وقيل: من اعمال طليطله[134].

اقليم القصب: بالاندلس[135].

اكشونية[136]: بالفتح، ثم السكون، وضم الشين، وسكون الواو، وكسر النون، ويآء خفيفة، مدينة بالاندلس يتصل عملها بعمل اشبونه، غربي قرطبة، وهي كثيرة الخيرات، برية بحرية، وقد يلقي بحرها على ساحلها العنبر الفائق الذي لا يقصر عن الهندي[137].

البيرة: الفها الف قطع بوزن كبريته، وبعضهم يقول]يلبيرة، وربما قالوا لبيرة[[138]، كورة كبيرة من كور الاندلس، ومدينة متصلة باراضي كورة قبرة[139]، في ارضها معادن فضة وذهب[10] وحديد ونحاس وحجر التوتيا، وفيها عدة مدن منها قسطيليه وغرناطه وغربها[140].

]التايه[[141]: الفه قطعيه مفتوحة، ولام ساكنة، والتآء فوقها نقطتان، والف ويآء مفتوحة موحدة، اسم قرية من بطن دانية[142] من اقليم الجبل بالاندلس.

الش: بالفتح، ثم السكون، وشين معجمة، مدينة بالاندلس، من اعمال تدمير لزبيبها فضل على سائر الزبيب، والنخل لا يفلح في غيرها من الاندلس، وفيها بسط فاخرة لا مثال لحسنها في الدنيا[143].

ام غزاله: بتشديد الزآي، حصن من اعمال]ماردة[[144] بالاندلس.

انبل: بالفتح، ثم السكون، والبآء موحدة مفتوحة، اسم اقليم من نواحي بطليوس بالاندلس.

سَرَقُسَطة[145]: بفتحتين، وقاف مضمومة، وسين مهملة ساكنة، وطآء مهملة، بلدة مشهورة من الاندلس.

انتقيره: بفتح التآء بنقطتين[146]، والقاف، ويآء ساكنة، حصن بين مالقه وغرناطه.

اندراش: بالشين المعجمة، بلدة من كورة البيرة بالاندلس.

اندوش: بالضم ثم السكون، وشين معجمة، [حصن][147] قريب [من][148] قرطبة بالاندلس[149].

أُنده: بالضم، ثم السكون، مدينة من اعمال بلنسية بالاندلس، كثيرة المياه والرساتيق والشجر.

أوربه: بالفتح، ثم السكون، وفتح الرآء، والبآء موحدة، وهآء. مدينة بالاندلس وهي قصبة

كورة جيان(150). وقيل من قرى دانية بالاندلس(151).

اوريطه(152): بالضم، ثم السكون، وكسر الرآء، وطآء مهملة، مدينة بالاندلس.

أوريوله: بالضم، ثم السكون، وكسر الرآء، ويآء مضمومة، ولام، مدينة قديمة بالاندلس بساتينها متصلة ببساتين مرسيه(153)[11].

اوقانية: بالفتح، ثم السكون، والقاف، والف، ونون مكسورة، ويآء ساكنة، وهآء، جبل من اعمال طليطلة بالاندلس، فيه قرى وحصون.

اونبه: بالفتح، ثم السكون، والنون المفتوحة، والبآء موحدة، والهآء، قرية في غربي الاندلس(154).

باجه(155): بلد بالاندلس.

باروشه: الشين(156) معجمة، مدينة في غربي سرقسطه، من نواحي الاندلس، شرقي قرطبة(157).

البارة: اقليم من اعمال الجزيرة الخضرآء، بالاندلس، في جبال شامخة(158).

باشگ: شين مفتوحة، وكاف، ناحية بالاندلس من اعمال طلبيرة(159).

باغه: مدينة بالاندلس، من كورة البيرة(160)، قبلي قرطبة.

باكه: بتشديد الكاف، حصن بالاندلس(161).

بُبَشتر: بالضم، ثم الفتح، وسكون الشين المعجمة، وفتح التآء فوقها نقطتان، ورآء، حصن منفرد بالامتناع من اعمال رية بالاندلس(162).

البترا(163): موضع بالاندلس.

بتينق: بالفتح، ثم التشديد، والكسر،]ويآء[(164) ساكنة، ونون مفتوحة، وقاف، مدينة في ساحل صقلية.

بربشتر: بضم البآء الثانية، وسكون الشين المعجمة، وفتح التآء المثناة من فوق، مدينة عظيمة في شرقي الاندلس، من اعمال بربطانية(165).

بربطانية(166): بفتح البآء الثانية، وطآء، والف، ونون، ويآء خفيفة، مدينة كبيرة بالاندلس، يتصل عملها بعمل]الاردة[(167).

برجه(168): مدينة بالاندلس، من اعمال البيره(169).

برذيش: بالذال المعجمة مكسورة، ويآء ساكنة، وشين معجمة، من مدن قرمونه بالاندلس(170) [12].

]**برشآنة:** بالفتح، وبعد الالف نون (171) [: قرية من قرى اشبيلية بالاندلس.

برعش: بالعين المهملة، والشين المعجمة، قرية قرب طليطلة بالاندلس(172).

بُرْقولِش: بضم اوله والقاف، والواو ساكنة، واللام مكسورة، والشين معجمة، حصن من اعمال سرقسطه بالاندلس(173).

بُرِيّانه: بالضم، ثم الكسر، ويآء شديده، ونون وهآء، مدينة بالاندلس في شرقي قرطبة، من اعمال بلنسيه(174).

بِزِليانه(175): بكسرتين، وسكون اللام، ويآء، والف، ونون، بليدة قريبة من مالقه(176) بالاندلس(177).

بزنرْ: بالفتح، ثم السكون، ونون مفتوحة، ورآء، فيكون بَزْنر، من قرى غرناطة بالاندلس(178).

بَسْطه: بالفتح، مدينة بالاندلس من اعمال جيان(179).

بشبراط: بالكسر، والبآء موحدة بعد الشين، حصن بالاندلس من اعمال شنتبرية، في غرب الاندلس(180).

بشتن: بالفتح، وتشديد النون، من قرى قرطبة بالاندلس(181).

بشتير: بالضم، والتآء المثناة المكسورة، ويآء ساكنة، موضع في بلاد جيان(182).

بُشكلان]بشكلار[(183): بالضم، من قرى جيان.

]**بشيلة[**(184): من اقليم اكشونبة بالاندلس.

البصل: بلفظ البصل من الخضر، اقليم البصل من اشبيلية بجزيرة الاندلس(185).

بُطروح: بضم اوله، والرآء، حصن من اعمال فحص البلوط بالاندلس(186).

بِطروش: بالكسر، ثم السكون، وفتح الرآء، وسكون الواو، وشين معجمة، بلدة بالاندلس، وهي مدينة فحص البلوط على ما قيل. وبطروش مثل الذي قبله، الا ان اوله وراءه مضمومتان، بلد من اعمال دانية بالاندلس(187)[13].

بقدس: بالفتح، ثم السكون، وفتح الدال، والسين مهملة، مدينة بجزيرة صقلية(188).

بقيرة: بالفتح، ثم الكسر، مدينة في شرقي الاندلس، وبقيرة ايضاً من اعمال ريه[189].

البلاط: يروي بكسر البآء وفتحها، حصن بالاندلس من اعمال شنتبريه[190].

بلدة[191]: مدينة بالاندلس، من اعمال ريه. وقيل: من اعمال]قبرة[[192].

بلرم: بفتح اوله وثانيه، وسكون الرآء، وميم، معناه بلغة الروم المدينة، وهي اعظم مدينة في جزيرة صقلية، على شاطئ البحر، مدينة كبيرة سورها شامخ، يقال: ان ارسطاليس[193] معلق في خشبة في هيكلها[194].

بلش: بالفتح والتشديد، والشين معجمة، بلد بالاندلس.

بلشند: بسكون اللام، وفتح الشين، وسكون النون، من نواحي سرقسطة بالاندلس، وفيها حصن يعرف ببني خطاب[195].

بيشج]بلشيج[[196]: بكسر الشين، ويآء ساكنة، وجيم، من حصون لاردة بالاندلس.

بلطش: بفتح الطآء، والشين معجمة، بلد بالاندلس من نواحي سرقسطه له نهر يسقي عشرين ميلا[197].

بَلَغي: بفتح اوله، وغين معجمة، ويآء مشددة، بلد بالاندلس من اعمال لاردة، ذات حصون عدة[198].

بلكرمانيه: اقليم من كورة قبرة بالاندلس[199].

بلنوبه: بتشديد اللام وفتحه، وضم النون، وسكون الواو، وبآء موحدة، بليدة بجزيرة صقلية[200].

بليرة: بكسر اللام، ورآء مهملة، حصن بالاندلس من اعمال شنتبرية[201].

بلي: بفتح اوله، وكسر ثانيه، وتشديد اليآء، ناحية بالاندلس من فحص البلوط[202][14].

بمارش: بضم اوله، وكسر الرآء، والشين معجمة، حصن من اعمال رية بالاندلس، على ثمانية عشر ميلا من مالقه[203].

البنتان: بالفتح، وتشديد النون] ، وتاء فوقها نقطتان: موضع في قول الاخطل:

ولقد تَشُقُّ بِي الفَلاةَ ، إذا طَفَتْ   أعــلامُها وتغوَّلَتْ عُلْكُومُ

غَوْل النَّجَاءِ ، كأنها متوجّس

بـالبَنَّتَيْن، مـوَلَّعٌ مَوْشُوم](204)

بنت: بالضم، ثم السكون، وتآء، بلد من ناحية بلنسية.

بونفاط: بكسر النون، وفآء، والف مهملة، مدينة في وسط جزيرة صقلية.

بيّان: بتشديد ثانيه، اقليم بيان من اعمال بطليوس بالاندلس(205).

بيّانه: هي قصبة كورة]قبرة[(206)، وهي كبيرة حصينة، يكتنفها اشجار وانهار، بينها وبين قرطبة ثلاثون ميلا.

البيار]البياو[(207): مدينة بجزيرة صقلية، وهي ذنب الجزيرة.

بيس: ناحية بسرقسطة من نواحي الاندلس.

بيطرة: بالفتح، والطآء مهملة، اسم لثلاث مواضع بالاندلس، وهي بيطرة شلج بالشين المعجمة، والجيم، حصن من اعمال اسفه(208). وبيطرة لس(209)، حصن من اعمال ماردة. وبيطرة: بلدة]و[(210) حصن،]من اعمال[(211) سرقسطة.

تاكرنى: بفتح التآء(212)، وسكون الرآء، كورة كبيرة بالاندلس، ذات جبال حصينة يخرج منها عدة انهار.

تاكرونه: بالواو الساكنة، ناحية من اعمال شدونة(213) بالاندلس.

تتمير(214): بالضم والسكون، وكسر الميم، ويآء مثناة من تحت ساكنة، ورآء، كورة بالاندلس شرقي قرطبة.

ترسه: بفتح اوله، وتشديد ثانيه وفتحه، والسين]مهملة[(215)، من قرى الش(216) من اعمال طليطلة بالاندلس.

تطيليه]تطيلة[(217): بالضم ثم الكسر، ويآء ساكنة، ولام، مدينة بالاندلس، في شرقي قرطبة باعمال اشقة[15].

تيش: بالكسر ثم السكون، والشين معجمة، بلد(218) بالاندلس من كورة جيان، كان عنده مدينة قديمة ودرست.

ثرمه: بالكسر ثم السكون، بليد في جزيرة صقلية، كثير البراغيث شديد الحر(219).

جالصه: بضم الصاد المهملة، وتسكين الهآء، كذا يتلفظ بها، وهي مدينة في وسط جزيرة صقلية(220).

الجزيرة الخضرآء: مدينة مشهورة بالاندلس، وقبالتها من البر بلاد البربر سبته، واعمالها متصلة باعمال شذونة،]وهي شرقي شذونة[[221] وقبلي قرطبة، ومدينتها من اشرف المدن واطيبها ارضا، وسورها يضرب به مآء البحر، ولا يحيط بها البحر كما تكون الجزاير، لكنها متصلة ببر الاندلس لا حآئل من المآء دونها، كذا اخبرني جماعة ممن شاهدوها من اهلها، ولعلها سميت بالجزيرة لمعنى آخر، على انه قد قال الازهري: ان الجزيرة في كلام العرب ارض في البحر يفرج عنها مآء البحر فتبدو، وكذلك الارض التي يعلوها السيل ويجرف عنها، ومرساها من اجود المراسي للجواز واقربها من البحر الاعظم، بينهما ثمانية عشر ميلا. وبين الجزيرة الخضرآء وقرطبة خمسة وخمسون فرسخا، وهي على نهر برباط، ونهر لجا اليه اهل الاندلس في عام محل. والنسبة اليه جزيري. والى الجزيرة التي بين دجلة والفرات جزري للفرق، وقد نسب اليها جماعة من اهل العلم[222].

جزيرة شُكْر: بضم الشين المعجمة، وسكون الكاف، جزيرة في شرقي الاندلس، ويقال جزيرة شُقر وقد ذكرت في شقر بشاهدها[223].

الجزيرة: هذا الاسم اذا اطلقه اهل الاندلس، ارادوا بلاد مجاهد بن عبد الله العامري[224] [16] وهي جزيرة منورقه وجزيرة ميورقه، اطلقوا ذلك لجلالة صاحبها وكثرة استعمالهم ذكرها، فانه كان محسنا الى العلمآء مفضلا عليهم، وخصوصا على القرآء، وهو صاحب **دانية،** مدينة في شرقي الاندلس، تجاه هاتين الجزيرتين، ويكنى مجاهد بابي الجيش[225].

جطين: بالفتح ثم الكسر، ويآء، ونون، قرية من ميلاص في جزيرة صقلية، اكثر زرعها القطن والقنب، منها علي بن عبد الله الجطيني[226].

جِلّق: بكسرتين، وتشديد اللام، وقاف، ناحية بالاندلس بسرقسطة، يسقي نهرها عشرين ميلا من باب سرقسطة، وليس بالاندلس اعذب من مآئه، وهو يجري نحو المشرق، ويزعمون ان المآء اذا جرى مشرقا كان اعذب واصح من الذي يجري نحو المغرب، وكان بنو امية لما تملكوا الاندلس بعد انتقالهم من الشام ايام هربهم من بني العباس سموا عدة مواضع بالاندلس، باسمآء مدن الشام، فسموا اشبيلية حمص، وسموا موضعا آخر الرصافة، وموضعا آخر تدمر، ثم تلاعبت بها السنة اهل الاندلس فقالوا تدمير، وسموا هذا الموضع جِلِّق، وقال الاديب ابو زيد عبد الرحمن بن مقانا الاشبوني[227]:

دعوت فاسمعت بالمرهفات ... صُمَّ الاعادي وصُمَّ الصفا
وَشِمْتَ سيوفكَ في جِلّقٍ ... (فشامت خراسانُ]منها[[228] الحيا[229]

قال ابن بسام الاندلسي بعد ايراده هذا البيت، جلق واد في شرقي الاندلس[230].

جِليانه: بالكسر ثم السكون، ويآء، والف، ونون، حصن بالاندلس من اعمال وادي ياش، حصين كثير الفواكه، ويقال لها جليانة التفاح؛ لجلالة تفاحها وطيبه، وريحه، قيل اذا اكل وجد فيه طعم السكر والمسك،[231][17].

جليقية: بكسرتين، واللام مشددة، ويآء ساكنة، وقاف مكسورة، ويآء مشددة، وهآء، ناحية قرب ساحل البحر المحيط من ناحية شمال الاندلس في اقصاه من جهة الغرب، وصل اليه موسى بن نصير لما فتح الاندلس، وهي بلاد لا يطيب سكناها لغير اهلها، وقال ابن ماكولا الجليقي، نسبة الى بلدة من بلاد الروم المتاخمة للاندلس يقال لها جليقية، منها عبد الرحمن بن مروان الجليقي، من الخارجين بالاندلس في ايام بني امية، وقد صنف في اخباره تاريخ[232].

جناح]الجناح[[233]: حصن من اعمال ماردة بالاندلس.

جنان: بالكسر، جمع جنة وهو البستان، جنان الورد بالاندلس من اعمال طليطلة، يقال ان بها الكهف والرقيم المذكوران[234] في القران، وقد ذكر ذلك في الرقيم، ويقال طليطلة هي مدينة دقيانوس الملك[235].

جنجيال: بكسر الجيمين، وبعد الثانية يآء، والف ولام، بلد بالاندلس ينسب اليه سعيد بن عيسى ابن ابي عثمان الجنجيالي ابو عثمان، سكن طليطله[236].

جنجيله: بلد بالاندلس، بين شاطبة[237] وَيَنْشَته، ينسب اليها محمد بن عيسى الاموي الجنجيلي ابو عبد الله، سكن طليطله.

جنش: بكسرتين، وثانيه مشدد، والشين معجمة، بلدة من سواحل جزيرة صقلية[238].

الجوف: وهو المطمئن من الارض، وهو ارض مطمئنة، او خارجة في البحر، في غربي الاندلس، مشرفة على البحر المحيط، والجوف ايضا من اقليم اكشونبة من الاندلس[239].

جيان: بالفتح ثم التشديد، وآخره نون، مدينة لها كورة واسعة بالأندلس، تتصل بكورة البيرة، مائلة عن البيرة الى ناحية الجوف في شرقي قرطبة، بينها وبين قرطبة سبعة عشر فرسخاً، وهي كورة كبيرة، تجمع قرى كثيرة وبلدانا، تُذكر مرتبة في مواضعها[18] من هذا الكتاب وكورتها متصلة بكورة تدمير، وكورة طليطله، وينسب اليها جماعة وافرة من اهل العلم[240][9].

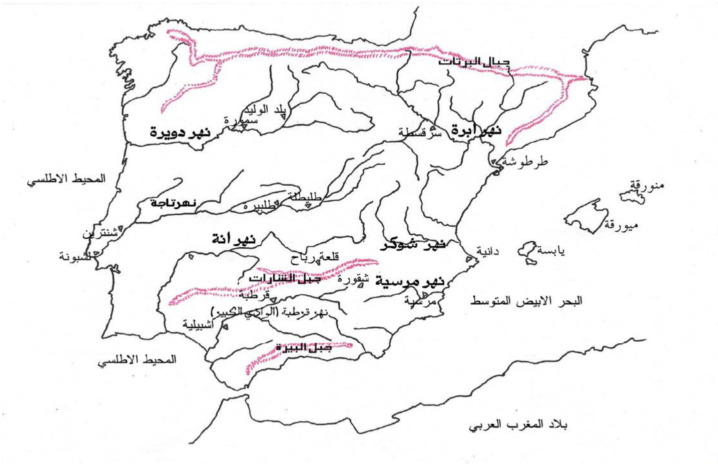

أشهر الأنهار في بلاد الأندلس

الخارطة من عمل الباحث بالاعتماد على :

العبادي، احمد مختار، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، الناشر محمد احمد بسيوني، (الاسكندرية: 1968) ؛ حتامله، محمد عبده، موسوعة الديار الأندلسية، المكتبة الوطنية، (الأردن، 1999): 1/641 .

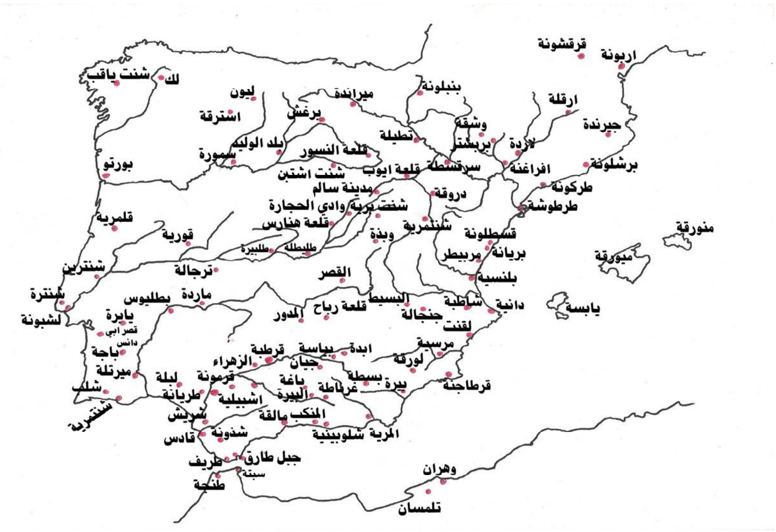

أهم مدن بلاد الاندلس

الخارطة من عمل الباحث بالاعتماد على :

العبادي ، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس ؛ حتاملة ، موسوعة الديار الأندلسية : 641/1 .

هوامش البحث:

a ابن بسام، ابي الحسن علي(ت542هـ/1147م).

1. الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة، تح: احسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1997.

a البغدادي، صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق (ت739هـ/1338م).

2. مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع، تح: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، 1992.

a البكري، ابي عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد (ت487هـ/1094م) .

3. المسالك والممالك، تح: جمال طلبة، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003 .

a الحميدي، ابي عبد الله محمد بن فتوح بن عبد الله (448هـ/1056م).

4. جذوة المقتبس في تاريخ علماء الاندلس، تح: بشار عواد معروف و محمد بشار معروف، دار الغرب الاسلامي، تونس، 2008.

a ابن حوقل، محمد بن علي النصيبي (ت367هـ/977م) .

5. صورة الأرض، دار صادر، بيروت، د.ت .

a الرازي، احمد بن محمد بن موسى (ت344هـ/955م).

6. صفة الاندلس، نشرها بالفرنسية: ليفي بروفنسال، مجلة الاندلس، مدريد، 1953م، ع18، ج1.

نشر تحت عنوان :

La Description de L'Espagne, Ahmad al- Razi, Al-andalus, Revesta les estudias Arabes de medrid Granada, XVIII, 1953 .

a ابن سعيد، أبو الحسن علي بن موسى (ت685هـ/1286م).

7. المُغْرب في حلى المَغْرِب، ط2، تح: شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، د.ت.

a الشريف الادريسي، محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحموديني الحسيني (ت560هـ/1164م).

8. نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1994 .

a الضبي ، احمد بن يحيى بن عميرة (ت599هـ/1202م).

9. بغية الملتمس في تاريخ رجال اهل الاندلس، تح: ابراهيم الابياري، دار الكتاب المصري القاهرة – دار الكتاب اللبناني بيروت، بيروت، 1989.

a ابن عذاري ، احمد بن محمد المعـروف المراكشي (ت712هـ/1312م) .

10. البـيان المغرب في أخبـار الأندلس والمغرب ، تح : ج . س . كولان و إ . ليفي بروفنسال ، دار الثقافة ، بيروت ، د.ت.

a ابن غالب ، محمد بن ايوب (ت571هـ/1175م) .

11. نص أندلسي جديد قطعة من كتاب (فرحة الانفس في تاريخ الاندلس) ، تح : لطفي عبد البديع ، مجلة معهد المخطوطات العربية ، مطبعة مصر ، القاهرة ، 1955 ، مج1 ، ج1.

a الفيومي، أحمد بن محمد بن علي(ت نحو770هـ/1368م).

12. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية، بيروت، د.ت.

a الكفوي، ايوب بن موسى الحسيني(ت 1094هـ/1682م).

13. الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تح: عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، د.ت.
a لسان الدين بن الخطيب، ابي عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد بن احمد السلماني (ت776هـ/1374م).
14. الاحاطة في اخبار غرناطة، شرحه وضبطه وقدم له: يوسف علي طويل، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003.
a المقَّري، احمد بن محمد التلمساني (ت1041هـ/1631م) .
15. نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب، تح: احسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، 1968 .
a مؤلف مجهول (ت أواسط ق8هـ/14م) .
16. تاريخ الأندلس، تح: عبد القادر بوباية، ط2، دار الكتب العلمية، لبنان، 2009.
a مؤلف مجهول(اواسط 9هـ/16م) .
17. الاندلس وما فيها من بلاد، تح: خالد حسن الجبالي، دار البشير، الاردن، 2004.
a ياقوت الحموي، ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي (ت626هـ/1228م) .
18. معجم البلدان، ط3 ، دار صادر، بيروت، 2007 .

المراجع:

a بالنثيا، انخل جنثالث.
19. تاريخ الفكر الاندلسي، تر: حسين مؤنس، تقديم: سليمان العطار، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2011.
a البهنسي، عفيف،
20. معجم مصطلحات الخط العربي والخطاطين، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، 1995.
a حتامله ، محمد عبده.
21. موسوعة الديار الأندلسية ، المكتبة الوطنية ، الأردن ، 1999 .
a حلاق، محمد صبحي بن حسين.
22. الايضاحات العصرية للمقاييس والمكاييل والاوزان والنقود الشرعية، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء، 2007.
a شُرَّاب، محمد بن محمد حسن.
23. المعالم الأثيرة في السنة والسيرة، دار القلم، الدار الشامية، دمشق- بيروت، 1411هـ.
a العبادي ، احمد مختار .
24. دراسات في تاريخ المغرب والاندلس ، الناشر محمد احمد بسيوني ، الاسكندرية ، 1968 .
a عمارة، محمد.
25. قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الاسلامية، دار الشروق، القاهرة، 1993.
a عمر، أحمد مختار عبد الحميد واخرون.
26. معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، د.م، 2008.
a قلعجي، محمد رواس و قنيبي، حامد صادق.
27. معجم لغة الفقهاء، ط2، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1988.

1 - بالنثيا، انخل جنثالث، تاريخ الفكر الاندلسي، تر: حسين مؤنس، تقديم: سليمان العطار، المركز القومي للترجمة، (القاهرة: 2011)، ص229-230.

2 - بالنثيا، تاريخ الفكر الاندلسي، ص233.

3 - بالنثيا، تاريخ الفكر الاندلسي، ص245-248.

4 - بالنثيا، تاريخ الفكر الاندلسي، ص292-300.

5 - ينظر: مؤلف مجهول، الاندلس وما فيها من بلاد، تح: خالد حسن الجبالي، دار البشير (الاردن: 2004)، ص7.

6 - مجهول، الاندلس وما فيها من بلاد، ص8.

7 - البهنسي، عفيف، معجم مصطلحات الخط العربي والخطاطين، مكتبة لبنان ناشرون، (لبنان: 1995)، ص ق.

8 - جامعة الموصل، كلية الاثار، خطاط وباحث في الخطوط.

9 - جامعة الزقازيق - جمهورية مصر العربية.

10 - قلعجي، محمد رواس و قنيبي، حامد صادق، معجم لغة الفقهاء، ط2، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، (بيروت: 1988): 421/1.

11 - عمارة، محمد، قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الاسلامية، دار الشروق، (القاهرة: 1993)، ص579 .

12 - حلاق، محمد صبحي بن حسين، الايضاحات العصرية للمقاييس والمكاييل والاوزان والنقود الشرعية، مكتبة الجيل الجديد، (صنعاء: 2007)، ص47 ، 62.

13 - عمارة، قاموس المصطلحات، ص579 .

14 - شُرَّاب، محمد بن محمد حسن، المعالم الأثيرة في السنة والسيرة، دار القلم، الدار الشامية، (دمشق-بيروت: 1411هـ)، ص11.

15 - عمارة، قاموس المصطلحات، ص579 .

16 - ياقوت الحموي، ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي، معجم البلدان، ط3، دار صادر، (بيروت: 2007): 36/1.

17 - الكفوي، ايوب بن موسى الحسيني، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تح: عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة، (بيروت: د.ت): 735/1.

18 - عمر، أحمد مختار عبد الحميد واخرون، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، (د.م: 2008): 105/1.

19 - الفيومي، أحمد بن محمد بن علي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية، (بيروت: د.ت): 226/1.

20 - ياقوت الحموي، معجم البلدان: 236/4.

21 - يذكر ان اسمها في القديم كان ابارية، من وادي ابرة، ثم سميت بعد ذلك باطقة نسبة الى وادي بيطي، وهو نهر قرطبة، ثم سميت بعد ذلك إشبانية نسبة الى رجل ملكها في القديم اسمه اشبان، وسميت بعد ذلك بالاندلس من اسماء الاندليش وهم اقوام سكنوها. البكري، ابي عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد، المسالك والممالك، تح: جمال طلبة، دار الكتب العلمية، (بيروت: 2003): 378/2.

22 - وردت عند ياقوت الحموي بـ تغلب. معجم البلدان: 262/1.

23 - في الاصل] بحر [، دون الالف واللام. واعتمدنا في التصحيح على ما ورد عند ياقوت الحموي، معجم البلدان: 263/1. ليستقيم المعنى. بقوله "فالضلع الاول منها اوله حيث مخرج البحر المتوسط الشامي من البحر المحيط".

24 - في الاصل]ارموثه وردثل[. واعتمدنا في التصحيح على ما ورد عند ياقوت الحموي، معجم البلدان: 263/1.

25 - ينطبق ما جاء في المخطوط مع ما موجود عند البغدادي، صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق، مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع، تح: علي محمد البجاوي، دار الجيل، (بيروت: 1992): 123/1.

26 - ورد عند ياقوت الحموي باسم (سَنْجَل). معجم البلدان: 195/4.

27 - للمزيد ينظر: لسان الدين بن الخطيب،ابي عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد بن احمد السلماني، الاحاطة في اخبار غرناطة، شرحه وضبطه وقدم له: يوسف علي طويل، دار الكتب العلمية، (بيروت: 2003): 13/1-18.

28 - يتشابه هذا الكلام مع ما ورد عند ياقوت الحموي، معجم البلدان: 324/4. ويذكر ان قرطبة: مدينة عظيمة ازلية من بنيان الاوائل، طيبة الماء والهواء، احدقت بها البساتين والزيتون والقرى والحصون والمياه والعيون من كل جانب، وعليها الحرث العظيم الذي ليس في بلاد الاندلس مثله ولا اعظم منه بركة، وبها معدن الفضة ومعادن كثيرة. الرازي، احمد بن محمد بن موسى، صفة الاندلس، نشرها بالفرنسية: ليفي بروفنسال، مجلة الاندلس، مدريد، 1953م، ع18، ج1، ص64. ونشرت تحت عنوان :

La Description de L'Espagne, Ahmad al- Razi, Al-andalus, Revesta les estudias Arabes de medrid Granada, XVIII, 1953.

؛ مؤلف مجهول، تاريخ الاندلس، ط2، تح: عبدالقادر بوباية، دار الكتب العلمية، (بيروت: 2009)، ص73. وللمزيد ينظر: ابن حوقل، محمد بن علي النصيبي،صورة الأرض، دار صادر، (بيروت: د.ت): 111/1 ؛ الشريف الادريسي، محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحموديني الحسيني، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، (القاهرة: 1994): 574/2-575.

29 - وللمزيد من التعريف، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان: 323/4.

30 - الزيادة من ياقوت الحموي، معجم البلدان: 195/1. ليستقيم المعني.

31 - او ثلاث مراحل. الادريسي، نزهة المشتاق: 573/2.

32 - للمزيد ينظر: الرازي، صفة الاندلس، ص93؛ الادريسي، نزهة المشتاق: 541/2 ؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان: 195/1 ؛ مجهول، تاريخ الاندلس، ص111-115.

33 - للمزيد ينظر: ابن غالب ، محمد بن ايوب، نص أندلسي جديد قطعة من كتاب (فرحة الانفس في تاريخ الاندلس)، تح: لطفي عبد البديع، مجلة معهد المخطوطات العربية، مطبعة مصر، (القاهرة: 1955)، مج1: 292/1؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان: 195/2. ويذكر صاحب تاريخ الاندلس ان لمدينة جيان اقاليم كثيرة وحصون عديدة وقرى متصلة، وهي اخر قواعد بلاد الاندلس، وجمعت جيان طيب الارض وسعتها، وعذوبة الماء، وكثرة الثمار والعيون. مجهول، ص91.

34 - للمزيد ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان: 339/1.

35 - الزيادة اثبتناها من ياقوت الحموي، معجم البلدان: 119/5. ليستقيم المعنى.

36 - للمزيد ينظر:الادريسي، نزهة المشتاق: 562/2 ؛ مجهول، تاريخ الاندلس، ص138-139.

37 - ذكرها ياقوت الحموي بانها: بليدة قريبة من ساحل البحر بالاندلس، لها مرسى ترسي فيه السفن ما بين مرسية والمرية. معجم البلدان: 526/1.

38 - في الاصل]قسطيلية[. وما اثبتناه من ياقوت الحموي، معجم البلدان: 3/416.

39 - الاصل غير واضح. وما اثبتناه من ياقوت الحموي، معجم البلدان: 416/3.

40 - الاصل غير واضح. وما اثبتناه من الادريسي، نزهة المشتاق: 595/2 ؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان: 416/3.

41 - في الاصل]اقليليه[. وما اثبتناه من ياقوت الحموي، معجم البلدان: 416/3.

42 - في الاصل]اذا[. وما اثبتناه من ياقوت الحموي، معجم البلدان: 416/3. ليستقيم المعنى.

43 - وردت عند ياقوت الحموي (خصيبة). معجم البلدان: 417/3.

44 - في الاصل]ثلاثة[. وما اثبتناه من ياقوت الحموي، معجم البلدان: 417/3. ليستقيم المعنى.

45 - للمزيد ينظر: ابن حوقل، صورة الارض: 118/1-131.

46 - في الاصل]قسطيليه[. وما اثبتناه من ابن حوقل، صورة الارض: 118/1 ؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان: 116/3 .

47 - في الاصل]متصل[. واضيفت التاء المربوطة ليستقيم المعنى.

48 - للمزيد ينظر: ابن غالب، فرحة الانفس، مج1: 294/1.

49 - قسطله: ذكرها ابن سعيد بانها من قرى الجزيرة الخضراء. ابن سعيد، أبو الحسن علي بن موسى، المُغْرب في حلى المَغْرِب، ط2، تح: شوقي ضيف، دار المعارف، (مصر: د.ت): 328/1.

50 - الزيادة اثبتناها من ياقوت الحموي، معجم البلدان: 132/2.

51 - الجزيرة الخضراء:"مدينة مشهورة بالأندلس، وقبالتها من البر بلاد البربر سبتة، واعمالها متصلة باعمال شذونة، وهي شرقي شذونة وقبلي قرطبة". ياقوت الحموي، معجم البلدان : 2/136. وفصلها صاحب المخطوط في صفحات لاحقة.

52 - في الاصل]شرتذكر[. وما اثبتناه من ياقوت الحموي، معجم البلدان: 137/2. تكرر وصف شكر مرتين.

53 - شذونة: مدينة ازلية كانت من قواعد بلاد الاندلس، ذات خصب كثير جدا، لها مدن كثيرة وحصون ومعاقل لا ترام لمنعها، ولها واديان: وادي قرطانة ووادي لكة، ومن حصونها حصن روطة وحصن اركش وحصن ابن السليم وحصن نبلب وحصن شلوقية وحصن غليانة وحصن القناطير وحصن الاقواس ، وما يزيد عن سبعمائة قرية. ابن غالب، فرحة الانفس، مج1: 294/1؛ مجهول، تاريخ الاندلس، ص115-118.

54 - ميورقة: جزيرة طولها اربعون ميلا، فيها بحيرة دورها تسعة اميال، وفيها الحصون، قاعدتها مدينة ميورقة تدخلها ساقية جارية على الدوام وواد شتوي يشق المدينة، بينها وبين منورقة في البحر خمسون ميلا. ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب: 466/2، ص469.

55 - ورد عند ابن حوقل باسم (حفصون). صورة الارض: 110/1 ؛ وورد عند ياقوت الحموي باسم (حفصونة). معجم البلدان: 87/1.

56 - بلد كثير الخيرات، بينها وبين شلب ستة ايام. ياقوت الحموي، معجم البلدان: 123/1.

57 - وردت عند ياقوت الحموي باسم (ارجونة). معجم البلدان: 144/1.

58 - الزيادة اثبتناها من ياقوت الحموي، معجم البلدان: 152/1. ليستقيم المعنى.

59 - الزيادة اثبتناها من ياقوت الحموي، معجم البلدان: 152/1. ليستقيم المعنى.

60 - وردت عند ياقوت الحموي باسم (شنتمرية). معجم البلدان: 154/1.

61 - وينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان: 43/5.

62 - بين مالقة والجزيرة الخضراء مائة ميل. الادريسي، نزهة المشتاق: 570/2.

63 - الزيادة اثبتناها من ياقوت الحموي، معجم البلدان: 366/3. ليستقيم المعنى.

64 - وطليطلة: احدى قواعد بلاد الاندلس واركانها وامهات مدنها اربعة، اولها قرطبة واشبيلية وماردة وطليطلة، وهي مدينة قديمة البنيان عظيمة القدر جليلة الوضع منيعة حصينة، كثيرة المياه والثمار، كانت قصبة بلاد الاندلس، وقاعدتها العظمى، ودار مملكة القوطيين، احدق بها النهر المسمى بنهر تاجة، وعلى هذا النهر قنطرة عظيمة يعجز الواصفون عن وصفها واحكام بنائها. مجهول، تاريخ الاندلس، ص91-92.

65 - ينطبق ما جاء في المخطوط مع ما موجود عندي ياقوت الحموي، معجم البلدان: 162/1.

66 - وردت عند ياقوت الحموي عشرة فراسخ. معجم البلدان: 162/1.

67 - ينطبق ما جاء في المخطوط مع ما موجود عند ياقوت الحموي، معجم البلدان: 33/2.

68 - ينطبق ما جاء في المخطوط مع ما موجود عندي ياقوت الحموي، معجم البلدان: 199/2.

69 - وردت عند ياقوت الحموي باسم (بربطانية). معجم البلدان: 199/1.

70 - في الاصل]شفيرية[. وما اثبتناه من ياقوت الحموي، معجم البلدان: 199/1 .

71 - في الاصل]وبآء[. وما اثبتناه من ياقوت الحموي، معجم البلدان: 199/1 .

72 - ينطبق ما جاء في المخطوط مع ما موجود عند ياقوت الحموي، معجم البلدان: 202/1.

73 - ينطبق ما جاء في المخطوط مع ما موجود عند ياقوت الحموي، معجم البلدان: 202/1.

74 - للمزيد ينظر: ابن غالب، فرحة الانفس، مج1: 295/1.

75 - في الاصل]اشين[. وما اثبتناه من ياقوت الحموي، معجم البلدان: 202/1 ؛ وما ذكرته المخطوط من تقسيمها للكلمة: بكسر ثانيه، ويآء ساكنة، ورآء.

76 - في الاصل]بجانه[. وما اثبتناه من ياقوت الحموي، معجم البلدان: 202/1. لان بجانة مدينة في بلاد الاندلس. ينظر: معجم البلدان: 339/1.

77 - ويذكر ان شلب: مدينة قديمة ازلية لا يعرف من بناها من الامم، متوسطة ظريفة المنزع، واسعة الشوارع، حسنة البناء حصينة، واسواقها وطرقها وشوارعها مفروش بالرخام، يباع فيها الزبيب طوال السنة بدرهمين للقنطار، والتين كذلك، واللوز عشرة اصوع بدرهم، وشرب اهلها من واديها الجاري بجنوبها وعليه ارحاء البلد، والبحر منها غربا، ولها مرسى في الوادي. الادريسي، نزهة المشتاق: 543/2 ؛ مجهول، تاريخ الاندلس، ص100-101.

78 - في الاصل]بقرب[. وما اثبتناه من ياقوت الحموي، معجم البلدان: 257/3.

79 - الزيادة اثبتناها من ياقوت الحموي، معجم البلدان: 357/3. ليستقيم المعنى.

80 - بين شلب وقرطبة تسعة ايام للراكب. ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب: 381/1.

81 - شلطيش: يذكرها الادريسي بانها: مدينة لا سور لها، وانما هي بنيان يتصل بعضه ببعض، لها سوق وبها صناعة الحديد الذي يعجز عن صنعه اهل البلاد لجفائه، وهي صنعة المراسي التي ترسي بها السفن والمراكب الحمالة الجافية. نزهة المشتاق: 542/2.

82 - ينطبق ما جاء في المخطوط مع ما موجود عند ياقوت الحموي، معجم البلدان: 359/3.

83 - وورد بهذا الاسم عند ياقوت الحموي، معجم البلدان: 360/3.

84 - في الاصل]شلول[. وما اثبتناه من ياقوت الحموي، معجم البلدان: 202/1 ؛ وما ذكرته المخطوط من تقسيمها للكلمة: بضم اوله، ويفتح وسكون واوه، وآخره نون.

85 - ينطبق ما جاء في المخطوط مع ما موجود عند ياقوت الحموي، معجم البلدان: 447/1. ويذكر ان بطليوس: مدينة حصينة كثيرة الفواكه والزروع والانعام والعسل، ولها سور عظيم ومنعة لا يكاد احد يرومها، وبها عيون

غزيرة وانهار مطردة، بينها وبين ماردة ثلاثون ميلا. الادريسي، نزهة المشتاق: 545/2 ؛ مجهول، تاريخ الاندلس، ص102.

86 - فريش: مدينة تقع غرب فحص البلوط وقرطبة، لارضها زرع كثير وفيها اجناس الثمار، والغالب على شجرها الشاه بلوط وهو القسطل وشجر الغراسيا، وشجر الجلوز والجوز. ابن غالب، فرحة الانفس، مج1: 290/1.

87 - وهو ما يتوافق مع ياقوت الحموي ، معجم البلدان : 38/5-39 . الا ان صاحب تاريخ الاندلس يذكر ان بين ماردة وبين قرطبة خمسة ايام. مجهول، ص104.

88 - ينطبق ما جاء في المخطوط مع ما موجود عند ياقوت الحموي، معجم البلدان: 166/1.

89 - ينطبق ما جاء في المخطوط مع ما موجود عند ياقوت الحموي، معجم البلدان: 167/1.

90 - وهي متصلة باعمال شنت برية، بينها وبين طليطلة عشرون فرسخا. ياقوت الحموي، معجم البلدان: 207/3.

91 - في الاصل]وهم[. وما اثبتناه من ياقوت الحموي، معجم البلدان: 40/4.

92 - في الاصل]باجه[. وما اثبتناه من الادريسي، نزهة المشتاق: 551/2 ؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان: 40/4. وهو الاصح.

93 - في الاصل]باجه[. وما اثبتناه من البكري، المسالك والممالك: 395/2 ؛ الادريسي، نزهة المشتاق: 551/2 ؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان: 37/4. وهو الاصح.

94 - للمزيد ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان: 77/5.

95 - هكذا ورد عند ياقوت الحموي، معجم البلدان: 77/5.

96 - هكذا ورد عند ياقوت الحموي، معجم البلدان: 176/1.

97 - بناها محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام الاموي. ياقوت الحموي، معجم البلدان: 176/1.

98 - الزيادة اثبتناها من ياقوت الحموي، معجم البلدان: 181/1. ليستقيم المعنى.

99 - ينطبق ما جاء في المخطوط مع ما موجود عند ياقوت الحموي، معجم البلدان: 183/4.

100 - في الاصل]بالاندلس من ارض المغرب عدة مواضع[. وما اثبتناه من ياقوت الحموي، معجم البلدان: 236/4. ليستقيم المعنى.

101 - في الاصل]بحوز ورثط[. وما اثبتناه من ياقوت الحموي، معجم البلدان: 492/1.

102 - زيادة اثبتناها من ياقوت الحموي، معجم البلدان: 492/1. ليستقيم المعنى.

103 - زيادة اثبتناها من ياقوت الحموي، معجم البلدان: 492/1. ليستقيم المعنى.

104 - تدمير: مدينة في الاندلس تقع شرق قرطبة، تتناهى في كرم البقعة وطيب الثمرة، وارضها تسقى من النهر، فيها معدن الفضة. ابن غالب، فرحة الانفس، مج1: 285/1.

105 - للمزيد ينظر: ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب: 297/2-298 ؛ مجهول، تاريخ الاندلس، ص133.

106 - ويذكر ياقوت الحموي اشبونة انها: "مدينة بالاندلس ايضا يقال لها لشبونة ، وهي متصلة بشنترين قريبة من البحر المحيط يوجد على ساحلها العنبر الفائق ؛ قال ابن حوقل : هي على مصب نهر شنترين الى البحر". معجم البلدان: 1/195. وعرفها صاحب تاريخ الاندلس: انها مدينة عظيمة اولية، كثيرة القطر، وهي على البحر الاعظم المحيط، وعلى اخر النهر المعروف بنهر تاجة حيث يصب في البحر؛ فهي برية بحرية، وسورها على البحر، وامواجه تلطم فيه، وبها ثمار كثيرة وفواكه طيبة، وضروب الصيد في البر والبحر. مجهول، ص97.

107 - في الاصل دون تنقيط.

108 - وردت عند ياقوت الحموي باسم "شنت اشتاني: من كورة الاندلس" . معجم البلدان: 3/366.

109 - في الاصل]السالم[. وما اثبتناه من ياقوت الحموي، معجم البلدان: 366/3.

110 - من حصونها حصن اقليش وحصن وبذة وحصن القليعة، وهو حصن عظيم منيع، وفيه اثار للاول منها بئر في سند الحصن ينزل فيها على درج ثان يخالف دخوله خروجه، وابواب هذا الحصن منقورة في صخرة. مجهول، تاريخ الاندلس، ص107-108.

111 - زيادة اثبتناها من ياقوت الحموي، معجم البلدان: 366/3. ليستقيم المعنى.

112 - وردت عند ياقوت الحموي "شنتجالة : بالاندلس". معجم البلدان: 3/367.

113 - في الاصل]سنتره[.

114 - الاصل غير مفهوم واعتمدنا على معجم البلدان لتعريفه. ياقوت الحموي: 367/3.

115 - زيادة اثبتناها من ياقوت الحموي، معجم البلدان: 367/3. ليستقيم المعنى. وباجة: من اقدم مدن الاندلس، وارضها ارض زراعة، ونوارها يحسن للعسل، ولمائها خاصية في دباغ الادم لا يبلغه دباغ. الرازي، صفة الاندلس، ص87؛ ابن غالب، فرحة الانفس، مج1: 290/1.

116 - في الاصل]الاندلسي[.

117 - في الاصل]باجه[. وما اثبتناه من ياقوت الحموي، معجم البلدان: 367/3.

118 - يذكر صاحب تاريخ الاندلس ان شنترين: مدينة عظيمة ازلية، وبها جامع عظيم بناه الامام الحكم، وبها حمامات عظيمة، واسواق واسعة مرتبة، ولها سور عظيم، وابراج منيعة لا تدرك بقتال. مجهول، ص99-100.

119 - وشنتغنش: قرية من قرى قرمونة بالاندلس. ياقوت الحموي، معجم البلدان: 367/3.

120 - وردت عند ياقوت الحموي ان "شنت فيله : قرب قرطبة من الاندلس". معجم البلدان: 3/367.

121 - وردت عند ياقوت الحموي بـ"شنت قروش : بضم القاف ، وسكون الواو بعد الراء ثم شين معجمة : حصن من اعمال ماردة بالأندلس". معجم البلدان: 3/367.

122 - وردت عند ياقوت الحموي انها "شنت مرية : بفتح الميم، وكسر الراء ، وتشديد الياء ، ... ، وهو حصن من اعمال شنتبرية". معجم البلدان: 3/367.

123 - ينطبق ما جاء في المخطوط مع ما موجود عند ياقوت الحموي، معجم البلدان: 368/3.

124 - ينطبق ما جاء في المخطوط مع ما موجود عند ياقوت الحموي، معجم البلدان: 368/3.

125 - ينطبق ما جاء في المخطوط مع ما موجود عند ياقوت الحموي، معجم البلدان: 64/3.

126 - مدينة بينها وبين مدينة غرناطة اربعون ميلاً، وهي بين غرناطة وبجانة. وللمزيد ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان: 198/1.

127 - في الاصل]سدونه[. وما اثبتناه من ياقوت الحموي، معجم البلدان: 212/1.

128 - في الاصل]فارس[. وما اثبتناه من ياقوت الحموي، معجم البلدان: 212/1.

129 - عن اصيل. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان: 212/1.

130 - زيادة اثبتناها من ياقوت الحموي، معجم البلدان: 213/1.

131 - زيادة اثبتناها من ياقوت الحموي، معجم البلدان: 218/1. ليستقيم المعنى.

132 - وبها عسل كثير، وزعفران كثير طيب، وعليها جبال منيعة، وحصون وقرى كثيرة تزيد على ثلاثة الاف قرية في كل قرية خطبة. مجهول، تاريخ الاندلس، ص130.

133 - للمزيد ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان: 237/1.

134 - للمزيد ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان: 237/1.

135 - للمزيد ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان: 237/1.

136 - يعرفها ابن غالب باسم (اكشونبة)، ويذكر بانها: تتصل باحواز اشبونة ولها سهل منبسط، كثيرة المرافق وضروب الثمار وطيب الزرع وفيض البركات، لها جبل جمع المسارح النائية، وصيدها كثير في البر والبحر، وهي من احسن البقاع متنزها. فرحة الانفس، مج1: 291/1.

137 - ينطبق ما جاء في المخطوط مع ما موجود عند ياقوت الحموي، معجم البلدان: 240/1.

138 - في الاصل]بليدة[. وما اثبتناه من ياقوت الحموي، معجم البلدان: 244/1.

139 - قبرة: مدينة كبيرة ازلية من بنيان الاوائل، وهي خصبة كثيرة الفواكه غزيرة المياه والعيون والبساتين، عليها ستمائة ونيف وثلاثون قرية، وسبعون حصنا، وثلاثمائة برج بينها وبين قرطبة ثلاثون ميلاً. ابن غالب، فرحة الانفس، مج1، 282/1؛ مجهول، تاريخ الاندلس، ص90.

140 - للمزيد ينظر: الرازي، صفة الاندلس، ص66-69؛ ابن غالب، فرحة الانفس، مج1، 283/1.

141 - في الاصل]التابه[. وما اثبتناه من النص نفسه اذ ذكر ان الكلمة تتكون من "الفه قطعيه مفتوحة، ولام ساكنة، والتآء فوقها نقطتان، والف ويآء مفتوحة موحدة". وينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان: 244/1.

142 - دانية: مدينة متوسطة على ضفة البحر المتوسط، وهي برية بحرية، كثيرة الخيرات والفواكه والبساتين، ولها مرسى عظيم، تصنع فيه السفن، تقابلها في البحر جزيرة يابسة وجزيرة منورقة وجزيرة ميورقة. الادريسي، نزهة المشتاق: 557/2 ؛ مجهول، تاريخ الاندلس، ص135.

143 - للمزيد ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان: 245/1 ؛ ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب: 273/2.

144 - في الاصل]ممباردة[. وما اثبتناه من ياقوت الحموي، معجم البلدان: 254/1.

145 - وتعرف بانها: مدينة ازلية البناء، من بناء القوط، وتسمى بالبيضاء لان عليها نور مشرق، طيبة الماء والهواء، لا يتسوس فيها شيء من الطعام ولا يعفن، ويوجد فيها القمح من مائة سنة، وليس في بلاد الاندلس اكثر فاكهة منها. ابن غالب، فرحة الانفس، مج1: 287/1-288؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان: 212/3-213 ؛ ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب: 434/2-435 ؛ مجهول، تاريخ الاندلس، ص127-130.

146 - ورد عند ياقوت الحموي بـ (نقطتان). معجم البلدان: 259/1.

147 - زيادة اثبتناها من البغدادي، مراصد الاطلاع: 123/1. ليستقيم المعنى.

148 - زيادة اثبتناها من البغدادي، مراصد الاطلاع: 123/1. ليستقيم المعنى.

149 - وردت عند ياقوت الحموي باسم (اندوشر). معجم البلدان: 264/1.

150 - ينطبق ما جاء في المخطوط مع ما موجود عند ياقوت الحموي، معجم البلدان: 278/1.

151 - للمزيد ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان: 278/1.

152 - وردت عند ياقوت الحموي باسم (اوريط). معجم البلدان: 279/1. ويوردها ابن غالب باسم مدينة قلعة اوريط، ويذكر انها: لها حصون ومعاقل. فرحة الانفس، مج1: 289/1.

153 - مرسية: مدينة قديمة حسنة المنظر، طيبة الهواء والماء والثمرة والقمح والشعير، كثيرة الخصب، اكثر ارضها سقي، احدقت بها الاشجار والبساتين.ياقوت الحموي، معجم البلدان: 280/1 ؛ مجهول، تاريخ الاندلس، ص135-137.

154 - للمزيد ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان: 283/1.

155 - باجه: مدينة قديمة ازلية من مدن الاندلس، بها مدن كثيرة وحصون منيعة، وقرى متصلة واعمال واسعة، وبها حمامات وشوارع واسعة، واسواق ومساجد كثيرة واهلها عرب. مجهول، تاريخ الاندلس، ص103-104. وللمزيد ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان: 1/314-315 ؛ ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب: 1/403.

156 - في الاصل]بالشين[. وما اثبتناه من ياقوت الحموي، معجم البلدان: 1/320. ليستقيم المعنى.

157 - للمزيد ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان: 1/320.

158 - للمزيد ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان: 1/320.

159 - ينطبق ما جاء في المخطوط مع ما موجود عند ياقوت الحموي، معجم البلدان: 1/323.

160 - في الاصل]بيرة[. وما اثبتناه من ياقوت الحموي، معجم البلدان: 1/326. ليستقيم المعنى.

161 - من نواحي بربشتر. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان: 1/328.

162 - بينه وبين قرطبة ثلاثون فرسخا. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان: 1/333.

163 - جاء في معجم البلدان باسم: بتر: موضع بالأندلس. ياقوت الحموي، معجم البلدان: 1/335.

164 - في الاصل]ياء[. وما اثبتناه من ياقوت الحموي، معجم البلدان: 1/337. ليستقيم المعنى.

165 - ينطبق ما جاء في المخطوط مع ما موجود عند ياقوت الحموي، معجم البلدان: 1/370.

166 - بربطانية: مدينة لها ثلاثة اسوار حصينة، وبها اسواق واسعة، وحمامات عجيبة من بنيان الاوائل، وبها الفواكه والزرع والضرع وتتصل احوازها باحواز لاردة. ابن غالب، فرحة الانفس، مج1: 1/286؛ مجهول، تاريخ الاندلس، ص132.

167 - في الاصل]الماردة[. وما اثبتناه من ياقوت الحموي، معجم البلدان: 1/370. و لاردة: مدينة كبيرة قديمة، وهي جوف من طركونة وقبلة من سرقسطة، من مدن الثغر، تقع على نهر شيقر ويوجد بهذا النهر برادة الذهب. الرازي، صفة الاندلس، ص73؛ ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب: 2/459 ؛ مجهول، تاريخ الاندلس، ص131.

168 - يعرفها ابن سعيد: بانها مدينة تحيط بها الجنات، وهي على نهر بهيج، يعرف بوادي عذراء، فيها الفواكه الجليلة، وبها معدن الرصاص. المغرب في حلى المغرب: 2/228.

169 - ينطبق ما جاء في المخطوط مع ما موجود عند ياقوت الحموي، معجم البلدان: 1/374.

170 - ينطبق ما جاء في المخطوط مع ما موجود عند ياقوت الحموي، معجم البلدان: 1/381.

171 - في الاصل]برشآعة: بالكسر، والشين والعين بالفتح، وبعد الالف نون[. ووفقا لما موجود في ياقوت الحموي فان وصف هذه المدينة قد اشكل على المولف، فهو خلط بينها من ناحية وصف حروفها، وبين برشانه من حيث وصف طبيعتها. وبذلك فقد اعتمدنا على وصفه لطبيعة المدينة في تحديد الاسم لان برشاعة: بالكسر وشين معجمة، وعين مهملة: منهل بين الدهناء واليمامة. معجم البلدان: 1/384. فما اعتمدناه من ياقوت يكون ادق لانه يوصف لبلاد الاندلس.

172 - ينطبق ما جاء في المخطوط مع ما موجود عند ياقوت الحموي، معجم البلدان: 1/385.

173 - ينطبق ما جاء في المخطوط مع ما موجود عند ياقوت الحموي، معجم البلدان: 1/388.

174 - ينطبق ما جاء في المخطوط مع ما موجود عند ياقوت الحموي، معجم البلدان: 1/406.

175 - بزليانه: وهي من حصون مدينة مالقة على بحر الزقاق. ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب: 1/444.

176 - بينها وبين مالقة ثمانية اميال. الادريسي، نزهة المشتاق: 2/565.

177 - ينطبق ما جاء في المخطوط مع ما موجود عند ياقوت الحموي، معجم البلدان: 1/410.

178 - للمزيد ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان: 410/1.

179 - ينطبق ما جاء في المخطوط مع ما موجود عند ياقوت الحموي، معجم البلدان: 422/1. وبسطة: مدينة متوسطة كثيرة الخيرات والبركات والزرع والضرع، بها الحرير الكثير، والزعفران الكثير الذي ما في بلاد الاندلس اطيب منه، وبها شجر التوت ما لا يحصى. مجهول، تاريخ الاندلس، ص137.

180 - ينطبق ما جاء في المخطوط مع ما موجود عند ياقوت الحموي، معجم البلدان: 424/1.

181 - ينطبق ما جاء في المخطوط مع ما موجود عند ياقوت الحموي، معجم البلدان: 426/1.

182 - ينطبق ما جاء في المخطوط مع ما موجود عند ياقوت الحموي، معجم البلدان: 426/1.

183 - هكذا وردت عند ياقوت الحموي، معجم البلدان: 428/1.

184 - في الاصل]بشير[. وبشير: بالراء: جبل احمر من جبال سلمى احد جبلي طيء، وقلعة بشير من قلاع البشنوية الاكراد من نواحي الزوزان. ياقوت الحموي، معجم البلدان: 1/429. وما اثبتناه من ياقوت الحموي، معجم البلدان: 429/1. هو الاصح.

185 - ينطبق ما جاء في المخطوط مع ما موجود عند ياقوت الحموي، معجم البلدان: 442/1.

186 - ينطبق ما جاء في المخطوط مع ما موجود عند ياقوت الحموي، معجم البلدان: 446/1.

187 - ينطبق ما جاء في المخطوط مع ما موجود عند ياقوت الحموي، معجم البلدان: 447/1.

188 - ينطبق ما جاء في المخطوط مع ما موجود عند ياقوت الحموي، معجم البلدان: 470/1.

189 - ينطبق ما جاء في المخطوط مع ما موجود عند ياقوت الحموي، معجم البلدان: 473/1.

190 - للمزيد ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان: 477/1.

191 - في الاصل]البلدة[. وعند ياقوت الحموي وصف البلدة: هي مكة. ووصف بلدة: مدينة بالاندلس من اعمال رية وقيل من اعمال قبرة. معجم البلدان: 483/1.

192 - في الاصل]فيـرة[. وما اثبتناه من ياقوت الحموي، معجم البلدان: 483/1.

193 - ورد عند ابن حوقل باسم (ارسطوطالس). صورة الارض: 118/1 ؛ وعند ياقوت الحموي باسم (ارسطوطاليس). معجم البلدان: 483/1.

194 - للمزيد ينظر: ابن حوقل، صورة الارض: 118/1.

195 - ينطبق ما جاء في المخطوط مع ما موجود عند ياقوت الحموي، معجم البلدان: 484/1.

196 - هكذا ورد عند ياقوت الحموي، معجم البلدان: 484/1. وهو الاصح.

197 - ينطبق ما جاء في المخطوط مع ما موجود عند ياقوت الحموي، معجم البلدان: 484/1.

198 - للمزيد ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان: 488/1.

199 - ينطبق ما جاء في المخطوط مع ما موجود عند ياقوت الحموي، معجم البلدان: 489/1.

200 - ينطبق ما جاء في المخطوط مع ما موجود عند ياقوت الحموي، معجم البلدان: 491/1.

201 - ينطبق ما جاء في المخطوط مع ما موجود عند ياقوت الحموي، معجم البلدان: 493/1.

202 - ينطبق ما جاء في المخطوط مع ما موجود عند ياقوت الحموي، معجم البلدان: 494/1.

203 - ينطبق ما جاء في المخطوط مع ما موجود عند ياقوت الحموي، معجم البلدان: 494/1.

204 - يبدو ان الامر اشكل على صاحب المخطوط فهو لم يكمل الوصف، والزيادة اثبتناها من ياقوت الحموي، معجم البلدان: 498/1.

205 - ينطبق ما جاء في المخطوط مع ما موجود عند ياقوت الحموي، معجم البلدان: 518/1.

206 - في الاصل] فيـرة [. وما اثبتناه من ياقوت الحموي، معجم البلدان: 518/1.

207 - هكذا وردت عند ياقوت الحموي، معجم البلدان: 518/1.

208 - وردت عند ياقوت الحموي باسم (اشقة). معجم البلدان: 532/1.

209 - وردت عند ياقوت الحموي باسم (لش). معجم البلدان: 532/1.

210 - زيادة اثبتناها من ياقوت الحموي، معجم البلدان: 532/1. ليستقيم المعنى.

211 - زيادة اثبتناها من ياقوت الحموي، معجم البلدان: 532/1. ليستقيم المعنى.

212 - وردت عند ياقوت الحموي (بفتح الكاف). معجم البلدان: 6/2.

213 - وردت عند ياقوت الحموي (شذونة). معجم البلدان: 7/2.

214 - وردت عند ياقوت الحموي (تدمير). معجم البلدان: 19/2.

215 - زيادة اثبتناها من ياقوت الحموي، معجم البلدان: 22/2. ليستقيم المعنى.

216 - وردت عند ياقوت الحموي (آليش). معجم البلدان: 22/2.

217 - هكذا وردت عند ياقوت الحموي، معجم البلدان: 33/2. مدينة اشتهرت بالحرث وطيب الزرع يضرب المثل به في الاندلس، وهي اقصى ثغور المسلمين. ابن غالب، فرحة الانفس، مج1: 287/1؛ ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب: 449/2.

218 - ورد عند ياقوت الحموي (جبل). معجم البلدان: 66/2. وهو الاصح.

219 - للمزيد ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان: 76/2-77.

220 - ينطبق ما جاء في المخطوط مع ما موجود عند ياقوت الحموي، معجم البلدان: 95/2.

221 - زيادة اثبتناها من ياقوت الحموي، معجم البلدان: 136/2. ليستقيم المعنى.

222 - للمزيد ينظر: ابن غالب، فرحة الانفس، مج1: 294/1؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان: 136/2.

223 - ينطبق ما جاء في المخطوط مع ما موجود عند ياقوت الحموي، معجم البلدان: 137/2. وبما ان شكر تكررت مرتين فهذا دليل على ان المؤلف اعتمد ياقوت الحموي بشكل كبير في نقل معلوماته.

224 - مجاهد بن عبد الله العامري: هو من الشخصيات التي برزت بعد ظهور الفتنة في بلاد الاندلس نهاية عصر الخلافة، فسيطر على مدينة دانية، وفتح جزيرة سردينية سنة (406هـ/1015م)، كان من اهل العفاف والعلم فقصده العلماء والفقهاء من المشرق والمغرب. ابن عذاري، احمد بن محمد المعـروف المراكشي، البـيان المغرب في أخبـار الأندلس والمغرب، تح: ج. س. كولان و إ . ليفي بروفنسال، دار الثقافة، (بيروت: د.ت): 116/3 ، 156,

225 - ينطبق ما جاء في المخطوط مع ما موجود عند ياقوت الحموي، معجم البلدان: 139/2.

226 - ينطبق ما جاء في المخطوط مع ما موجود عند ياقوت الحموي، معجم البلدان: 141/2.

227 - هو ابو زيد عبد الرحمن بن مقاناة البطليوسي: اديب وشاعر مشهور، كان حيا في ايام المعتد بالله، انشد امام الحاجب ادريس بن يحيى الحمودي قصيدته المشهورة والتي منها قوله:

وكأن الشـمس لما اشرقت ... فانثنت عنها عيونُ الناظرينْ

وجهُ ادريس بن يحيى بن علي ... بن حمـودٍ أميرِ المؤمنينْ

. الحميدي، ابي عبد الله محمد بن فتوح بن عبد الله، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الاندلس، تح: بشار عواد

معروف و محمد بشار معروف، دار الغرب الاسلامي، (تونس: 2008)، ص402؛ الضبي ، احمد بن يحيى بن عميرة، بغية الملتمس في تاريخ رجال اهل الاندلس، تح: ابراهيم الابياري، دار الكتاب المصري القاهرة – دار الكتاب اللبناني بيروت، (بيروت: 1989) : 2:483 تحت رقم 1047؛ المقَّري، احمد بن محمد التلمساني، نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب، تح: احسان عباس، دار صادر، (بيروت: 1968): 214/1.

228 - الاصل]منک ٔ [. وما اثبتناه من ابن بسام، ابي الحسن علي، الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة، تح: احسان عباس، دار الثقافة، (بيروت: 1997)، القسم2، المجلد 2، ص790. وهو النص الاصلي الذي اعتمد عليه ياقوت الحموي ونقل عنه صاحب المخطوط.

229 - ينظر: ابن بسام، الذخيرة، القسم الثاني، المجلد الثاني، ص790.

230 - ينطبق ما جاء في المخطوط مع ما موجود عند ياقوت الحموي، معجم البلدان: 154/2-155.

231 - ينطبق ما جاء في المخطوط مع ما موجود عند ياقوت الحموي، معجم البلدان: 157/2.

232 - ينطبق ما جاء في المخطوط مع ما موجود عند ياقوت الحموي، معجم البلدان: 157/2.

233 - هكذا ورد عند ياقوت الحموي، معجم البلدان: 166/2.

234 - وردت عند ياقوت الحموي (المذكورين). معجم البلدان: 167/2.

235 - ينطبق ما جاء في المخطوط مع ما موجود عند ياقوت الحموي، معجم البلدان: 167/2.

236 - ينطبق ما جاء في المخطوط مع ما موجود عند ياقوت الحموي، معجم البلدان: 168/2.

237 - شاطبة: مدينة ازلية ذات بطاح زاكية، وخيرات وافرة، بها قصبة عظيمة منيعة بناها امير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين، يصنع بها الكاغد الطيب الذي لا يعمل في معمور الارض مثله. ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب: 380/2 ؛ مجهول، تاريخ الاندلس، ص134.

238 - ينطبق ما جاء في المخطوط مع ما موجود عند ياقوت الحموي، معجم البلدان: 172/2.

239 - للمزيد ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان: 187/2-188.

240 - ينطبق ما جاء في المخطوط مع ما موجود عند ياقوت الحموي، معجم البلدان: 195/2. وهذا دليل على ان صاحب المخطوط قد اعتمد على معجم البلدان في نسخ مخطوطته، فهو قد نقل دون تمحيص بدليل انه يكتب في حديثه عن جيان انها: "تجمع قرى كثيرة وبلدانا، تُذكر مرتبة في مواضعها من هذا الكتاب" . وهو ماذكره ياقوت الحموي في كتابه معجم البلدان.

Image 5. Théâtre romain de Djemila

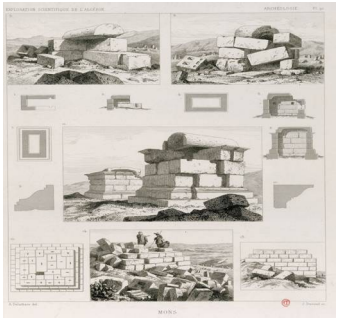

Image 6. Monuments funéraires de Mons

Image 7. Porte romaine d'Announa (Guelma)

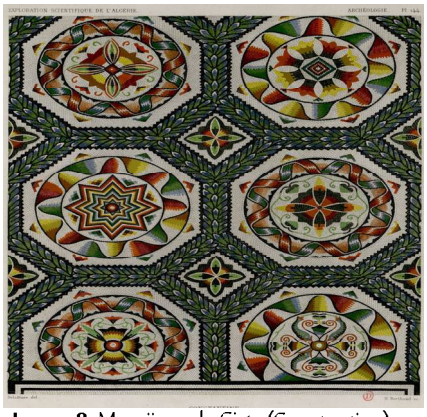

Image 8. Mosaïque de Cirta (Constantine)

Relevés et croquis réalisés par A.DELAMARE

Les relevés et les croquis réalisés par A.DELAMARE et de A.RAVOISIE, concernent en grande partie des monuments caractéristiques de l'architecture de l'Algérie antique tels que les temples, arcs de triomphe, théâtres, amphithéâtres, monuments commémoratifs, aqueducs, citernes et inscriptions latines.

Ce sont des sources à la fois artistiques et documentaires, elles contribuent à la compréhension et à la lecture de l'histoire antique de notre pays.

Image 1. Arc de triomphe romain de Djemila

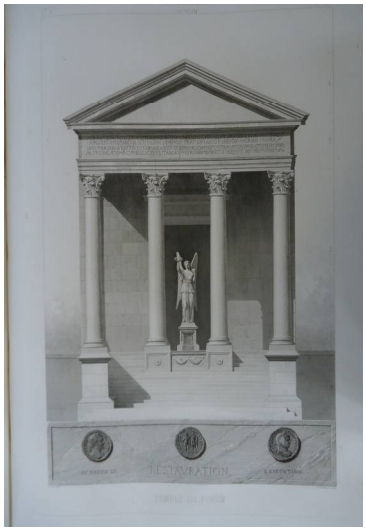

Image 2. Temple du forum romain de Djemila

Image 3. Restauration de l'arc romain de Djemila

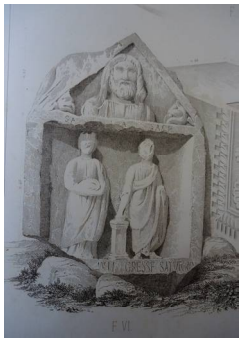

Image 4. Stèle funéraire de Mons(à Sétif)

Relevés et croquis réalisés par A.RAVOISIE

monuments historiques en 1910.

LA RESAURATION DU TEMPLE : en raison de l'importance des éléments existants, la restauration de l'édifice fut entreprise. **Voir Image n° 03**.

Une médaille de bronze de Septime Sévère, d'une parfaite conservation, et une autre d'Antonin Caracalla, son fils, ont été trouvées dans les fouilles pratiquées autours du monument. C'est pour cela que la construction de ce temple, fut attribuée à l'empereur Septime Sévère.

Vue du camp français de Djemila, établi au sud des ruines de la ville romaine.

III. LAMBESE

Aqueduc

IV. MONS

Tombeaux funéraires : Au sud, sur un escarpement, auprès de la voie qui venait de Sitifis, cimetière : 3 petits mausolées restent debout : il y en avait environ 25, debout ou renversés, en 1839.**Voir image n° 06**.

Porte du fort : se trouve à l'est de la forteresse byzantine, la porte est construite avec un certain soin, elle était peut-être plus ancienne que la forteresse. Elle mesure **38m x 37.50 m** et occupe le point le plus élevé de la ville.

L'ensemble a été bâti à une basse époque, probablement sous la domination byzantine.

V. MILA

Le village était enfermé à l'époque dans l'enceinte byzantine, qui a **1.200 m** et compte quatorze tours ; la porte principale (Bab el bled), elle se situe au nord.

1. Vue extérieure de la porte byzantine du nord (Bab el bled), large de **3. 90 m**, profonde de **2.50 m**. L'arcade est flanquée par devant de deux tours rectangulaires de **7.50 m** de front et de **5.60 m** de saillie.

2. Vue de la même porte, prise de la ville.

historiques ont dégagé une partie de la scène.

Prise de l'angle nord de l'édifice, présentant plus particulièrement le **postenium**, l'ouverture cintrée qui conduisait dans l'intérieur du théâtre et les gradins supérieurs et le mur d'appui contre lequel ils étaient adossés 3500 spectateurs.

2. Deux **arceaux**, qui formaient les têtes d'un passage couvert, au Nord-Est du forum : de là partait une rue conduisant à un grand temple.

3. Arc de triomphe de Caracalla : dédié à l'empereur Caracalla en 216, à baie simple encadrée par deux couples de hautes colonnes, corinthiennes, supportent chacun un ordre supérieur lui-même surmonté d'un petit fronton triangulaire indépendant de l'entablement central. **Voir Image n° 01**.

La corniche du monument est surmontée d'un attique, décoré par une inscription gravée sur la face intérieure de l'édifice.

Des fouilles ont été réalisées jusqu'à la fondation, où une médaille en argent de Julia Domna à été découverte ; elle représente la restauration de l'arc de triomphe, il a été définitivement remonté en 1923.

Le nom de cette impératrice figure sur l'inscription formant le frontispice du monument.

4. Temple Séptimien : dédié en 229 sous Sévère Alexandre à la famille sévérienne, au frais du trésor public, d'après une grande inscription fragmentaire posée sur le côté sud-ouest.

Il a été établi en face de l'arc de triomphe, sur une pente s'abaissant vers la place centrale du site, il se dresse au fond d'une plate-forme dallée de **33. 65 m** de largeur sur **39. 50 m** de profondeur, dont le niveau est supérieur à celui du forum (place publique) ; des portiques bordaient à droite et à gauche. Le temple présentait un front de quatre colonnes. Des fragments de deux statues féminines ; aujourd'hui au musée, colossales ont été découverts au sous-sol du monument, servant probablement de magasins. Il fut déblayé par le service des

débris provenant des monuments détruits.

Derrière ces murailles, on distingue les constructions entreprises par l'armée française, notamment deux casernes d'infanterie.

Les thermes :

Vue des ruines des grands thermes, prise du Nord-Ouest, elle montre les deux côtés de la salle principale. Une vue semblable est donnée par Ravoisié.

La vue est prise à l'extrémité de la caserne à laquelle on surélevait un étage. On remarque dans cette vue la grande salle, dont les arcs ont une hauteur de **5. 30 m**.

Cette vue a été gravée d'après un daguerréotype (dispositif photographique qui fixait une image sur une plaque de cuivre argentée, iodurée en surface), ce qui explique l'exactitude scrupuleuse avec laquelle on été représentés les minutieux détails des matériaux employés à la construction des murs.

1. Vue du mur Ouest de la salle principale des thermes, prise du sud-est. C'est le mur dont la figure 1 présente la face opposée. La baie a **6.10 m** de large, elle a été déblayée jusqu'au sol. Dans le fond, à droite le mur de la citadelle.

Le théâtre :

Vue du théâtre en 1842, prise du nord-ouest : avait coûté 400000 sesterces, une somme considérable. Il fut élevé probablement sous Septime Sévère.

Il fut reconstruit à neuf entre 1902 et 1918, il abrite le musée de la ville de Guelma.

1. Vue du théâtre, prise du nord-est.

II. DJEMILA

1. Vue du **théâtre**, construit sous Marc-Aurèle ou Septime Sévère et fut reconstruit par Joly en 1842. **Voir image n° 05**.

Prise du Nord-Ouest. Des déblais exécutés par le service des monuments

Saint-Augustin fut évêque d'Hippone à la fin du IV ème siècle et au début du V ème siècle.

Les fouilles effectuées ont mis au jour des murs probablement phéniciens construits en énormes blocs de pierre.

- **Tipasa, ancienne Tipasa :**

Ancien comptoir phénicien, elle connaît son essor sous le roi numide Juba II et devint avec Caesaria (Cherchell) l'un des foyers de la culture gréco-romaine en Afrique du nord.

L'enceinte dont les romains l'entourèrent mesure environ **2.200 m**.

Descriptif et commentaire des monuments représentés

sur les œuvres de A.DELAMARE [1] :

I. GUELMA

Les vues générales

1. Vue de Guelma en 1842, prise du Nord Ouest. A droite deux arceaux antiques, dans lefonds des bâtiments du camp français, établi dans la citadelle byzantine.

En avant, les baraquements qui ont formé le noyau de la ville moderne. Sur la gauche, le théâtre romain. Au-delà, la plaine de la Seybousse.

2. Vue en 1842 de la citadelle byzantine, prise du Nord Est. En avant sur la gauche, ruines en blocage (probablement des thermes) qui ont disparu.

Les murailles romaines qui occupent dans cette vue un grand développement sont exposées à l'est. Elles ont été construites avec précipitation. Parmi les éléments architecturaux et les matériaux qui entrent dans leur construction ; on remarque des corniches, des frises ornées d'inscriptions, des fûts de colonne, des piédestaux, des sarcophages, des inscriptions isolées et autres

1 Pour plus d'information, voir : DELAMARE, Exploration archéologique de l'Algérie pendant les années 1840-1845; A.RAVOISIE, Beaux-arts, architecture et sculpture, Firmin Didot, 1846.

Justinien fit fortifier Milève. L'écrivain arabe el Yacoubi la qualifie de ville fortifiée, grande et magnifique, et dit qu'elle a cinq ports.

- **Djemila, ancienne Cuicul :**

Djemila s'appelait dans l'antiquité, **CUICVL,** fondée par Trajan, elle fut à la fin du 1er siècle un poste militaire au 2 ème siècle et 3ème siècles, elle faisait partie de la province de **Numidie**. C'était une ville d'échanges et de distraction.

La ville est fondée sur un sol accidenté sous l'empereur Nerva, sous les Sévères de nouveaux quartiers s'organisent aux environs du forum, de nouvelles rues sont tracées et la ville devient peu à peu une ville où il fait bon vivre, où se développent de luxueux demeures.

- **Timgad, ancienne Thamugadi** du nom berbère **Tamgut** qui signifie sommet :

La Pompéi africaine, où l'on peut saisir le mieux l'aspect d'une ville romaine en Afrique, la rigueur de la planification de l'espace urbain fit que Timgad est souvent cité comme exemple de ville romaine.

La colonie de Thamugadi fut fondée par ordre de Trajan en l'an 100 AP j.-c, les soldats de la 3ème légion furent employés à la construction des principaux édifices. Vers le début du VI ème siècle, elle fut rebâtie en partie par les byzantins.

- **Lambèse, ancienne Lambaese :**

La 3ème légion d'Auguste, chargée de la défense de l'Afrique du nord et qui avait d'abord son camp à Tebessa, s'établa à Lambèse vers le début du II ème siècle, bâtit un camp sous Hadrien, une ville sous Marc Aurèle, de beaux monuments sous Septime Sévère.

- **Hippone, ancienne Hippo Regius :**

Elle s'appelait dans l'antiquité Hippo Regius, elle fut occupée par les phéniciens. C'était une ville prospère à l'époque romaine.

La structure du temple grec a servi de modèle aux temples romains et elle se rapproche de celle des temples étrusques dont il ne nous reste que peu de chose.

Sur les fondations est construite une assise intermédiaire, l'**euthyntéria**, au dessus de laquelle se trouve la **Krépis**, couronne extérieure du soubassement sur laquelle repose la colonnade.

L'agencement des colonnes détermine le type du temple.

Petit aperçu historique sur les villes antiques représentées sur les œuvres de A.DELAMARE et de A.RAVOISIE :

- **Announa, ancienne Thibilis :**

Elle occupe un plateau d'environ **25 hectares**, contrefort septentrional du djebel Announa. Devint colonie au quatrième siècle j.-c.

- **Guelma, ancienne Calama :**

Guelma s'appelait dans l'antiquité **CALAMA**, et existait avant la conquête romaine ; des inscriptions libyques trouvées à Guelma prouvent que la région a été civilisée bien avant l'arrivée des Carthaginois, elle devint municipe puis colonie.

- **Mons, ancienne Monte : Entre Sétif et Djemila.**

Lieu appelé par les habitants **Henchir el Ksar**, le nom actuel a été donné à ces ruines par les français.

La plus ancienne inscription latine est datée de 157 après j.-c, Monte devint une commune à constitution romaine : mentions de l'ordo, de questeurs, d'édiles, d'un duumvir, d'un flamine perpétuel, d'une curie.

- **Mila, ancienne Mileum :**

Le village de Mila a presque gardé le nom de la ville antique dont il occupe l'emplacement. Cette ville s'appelait Milev, Mileum.

- Le **frigidarium** : était aménagée une piscine qui pouvait atteindre des dimensions gigantesques.

- Le **tepidarium** : était une salle où l'air tiédi permettait la transition avant de passer dans le **caldarium**.

- Le **caldarium** : salle chaude où l'on trouvait des bassins d'eau chaude, baignoires ou petites piscines. Le principe du bain était donc, par gradation, de passer du frigidarium au caldarium et de faire chemin en sens inverse. A ces salles essentielles, s'ajoutent deux autres salles, le **laconicum** et les **sudationes** ou **sudatorium** (lieu où l'on sue) : c'étaient les salles où l'on prenait les bains de vapeur, les unes étant sans doute saturées de vapeurs humides, comme dans les hammams turcs, les autres sèches et très chaudes.

L'Aqueduc :

Un aqueduc est un système de canalisation destiné à amener de l'eau d'un point à un autre[1]. Dans ce sens, les premiers aqueducs sont les canaux d'irrigation creusés par les paysans, dont on a retrouvé les traces, en Egypte et en Mésopotamie.

Les romains sont les seuls à avoir construit des aqueducs de caractère architectural. Généralement construits en pierre, on en connaît aussi de pierre et de brique, ils amenaient l'eau à un château d'eau qui, grâce à la pression, la distribuait aux fontaines publiques et aux maisons particulières.

De moins en moins utilisés à Rome et en Occident, après la chute de l'Empire romain, ils commencèrent à tomber en ruine au VI ème siècle pour être définitivement abandonnés au siècle suivant.

Le temple :

Les lieux de culte ont toujours été entourés des soins les plus vigilants et les hommes ont mis tout leur génie à les embellir et à les rendre éternels.

1 RACHET Guy, op.cit, P.76.

Cette cavea faite de gradins semi-circulaires en pierre, étaient fermée sur chaque côté par des murs de soutien appelés **analemna**.

- **L'orchestre** (orchestra, de **orkheomai** qui signifie danser)**:** était la place circulaire au bas des gradins où se tenait le chœur, qui dansait tout en chantant ou en récitant sa partie dans la tragédie.

- **La scène** (**skéné** en grec) : cette partie était constituée par le **logeion** et la **skéné**, rectangle allongé et large de 4 à 6m pourvu d'un front de plusieurs étages à l'époque romaine, où se retiraient les acteurs qui quittaient la scène et qui servait à la fois de loge et de réserve de décors (**skénothèque**) ; le **logeion** est une étroite estrade en pierre devant la **skéné**, où jouaient les acteurs.

- **Pour le confort public, les théâtres romains étaient en partie couverts d'une immense toile tendue au dessus de la cavea qui s'appelait le velum.**

Les thermes :

Les Romains ont utilisé ce nom grec (**thermos** : chaud) pour désigner les bâtiments destinés à abriter des salles où l'on pouvait se baigner et recevoir les divers soins du corps.

Les thermes constituent un élément essentiel de la civilisation romaine. Qu'ils soient de caractère public ou privé, ils se multiplient rapidement dans l'ensemble de l'Empire.

Il s'agit d'établissement de bains auxquels on se rendait en général l'après-midi. Ils restaient ouverts sans interruptions jusqu'à la tombée de la nuit. C'étaient aussi des lieux de rencontre : les plus luxueux étaient équipés de salons de repos, de salles de lecture et de bibliothèques.

Les structures intérieures des thermes sont très variables mais on retrouve toujours un certain nombre de salles indispensables pour un bain :

- L'**apodyterium** : était le vestiaire, les vêtements étant confiés à la garde d'esclaves appartenant soit aux thermes, soit au visiteur.

voyageurs du XIX ème siècle, nous pouvons citer le théâtre, les thermes, l'arc de triomphe, Les citernes, le temple et l'aqueduc.

L'Arc de triomphe :

D'origine religieuse : Au retour d'une campagne militaire, les soldats devaient passer sous une porte sacrée (**fornices**) dont le franchissement était supposé les affranchir de cette puissance destructive qu'ils portaient en eux pendant la campagne. Plus tard, il devint le symbole de la victoire d'un seul homme, l'imperator, sur le reste de l'humanité.

Ces arcs monumentaux étaient avant tout des monuments commémoratifs de caractère politique ou religieux[1]. Ils pouvaient être érigés à l'occasion de la fondation d'une ville, dont ils marquaient l'entrée, délimitant ainsi l'espace consacré. L'arc est situé au centre de la ville réelle, revêtait un caractère symbolique et mystique. Il s'agit de monuments officiels sur lesquels sont inscrits les noms des empereurs régnant lors de leur construction.

L'arc était en général à une ou trois baies en plein cintre entourées de colonnes et de bas reliefs, et parfois surmontées de statues, dont la plupart ne nous sont malheureusement pas parvenues.

Le théâtre :

Le théâtre (du grec **theatron**, le lieu d'où l'on contemple ou regarde) sont à l'origine des monuments typiquement grecs[2], dans lesquels on représentait des tragédies ou comédies qui sont aussi des inventions grecques. L'origine du monument pourrait se trouver dans la crête.

Le théâtre romain diffère du théâtre grec par sa disposition en demi-cercle. Le plan comporte trois parties principales :

- **La cavea** (terme latin qui correspond au grec **theatron**) **:** les gradins, cette partie est divisée horizontalement en étages par d'étroits paliers.

1 RACHET Guy, Dictionnaire de l'Archéologie, Editions ROBERT LAFFONT, Bouquins, p.81.
2 Ibid, p.924.

au corps expéditionnaire ainsi que les peintres officiels de la marine ou de l'armée de terre.

Ces éléments rassemblés ont contribué à la recherche d'une identité, des parents et l'origine des ascendants.

Quant à **RAVOISIE**, le cabinet du musée [1] abrite une carte topographique de l'ancienne ville romaine de Djemila, cette carte est mentionnée dans l'ouvrage de l'auteur, intitulé, Beaux-Arts, architecture et sculpture, Firmin Didot, 1846. Plan général de CUICULUM.

D'autres peintres viennent compléter la collection de dessins et croquis des deux expéditeurs scientifiques cités au-dessus, il s'agit des peintres de la villa Abd-el-tif, ils ont été fasciné par la beauté et la richesse de quelques monuments antiques des villes célèbres, telles que Tipasa et Timgad. Parmi eux nous citons : BERSIER Eugène, CLAIRIN, CANTE et MEUNIER.

En effet l'importance des vestiges archéologiques d'époque romaine, qui subsistent en Afrique du nord, est le reflet de la romanisation qui s'est développée dès la fin du Ier siècle avant J.-C. et qui s'est poursuivie sans interruption jusqu'au milieu du IIIème siècle. Elle fut la conséquence d'une longue période de paix, surtout dans la partie orientale de l'Afrique du Nord, et d'une prospérité remarquable des villes en ayant connu un grand essor urbanistique favorisé par la dynastie des Sévères, empereurs d'origine africaine.

A Timgad, sur une dalle du forum, une inscription célèbre : « **Venari, lavari, ludere, cridere occ-est vivere** », qui signifie : « **chasser, aller au bain, jouer, rire, ça c'est vivre** », prouve que les romains aimaient vivre et donnaient une grande importance au monde urbain que ce soit à l'intérieur des maisons ou à l'extérieur.

Parmi les monuments publics à caractère militaire ou religieux ayant marqués à la fois la civilisation romaine en Afrique du Nord, et les peintres et artistes

1 Le Musée National des Beaux-Arts d'Alger.

Le deuxième expéditeur **A.DELAMARE**[1]**,** publie par ordre du Gouvernement et avec le concours d'une commission académique. **Archéologie, 2 vol, 1850**, 193 planches dont S.GSELL en 1912 donne le texte explicatif des planches.

A.Delamare, ancien polytechnicien, officier d'artillerie, capitaine de formation en archéologie, participa à l'expédition de 1830, chef d'escadron puis attaché à la commission scientifique dès 1839, il parcourut l'Est et le centre du pays d'où il rapporta une série de représentations topographiques de sites archéologiques[2].

Un troisième expéditeur **Gsell. Stéphane**, nommé à l'Ecole des Lettres d'Alger, rassemble les documents sur l'Afrique ancienne publiés par les fonctionnaires, les colons, les militaires et les instituteurs. Il prospecte le terrain avec des moyens dérisoires et dépouille à la fois toutes les sources littéraires antiques et les publications antérieures. En 1901, il publie « **les monuments antiques de l'Algérie** » en deux volumes, textes et plans. Entre 1902 et 1911, il réalise « **l'Atlas Archéologique de l'Algérie** ». En 1922, il publie le tome 1 des « **Inscriptions Latines en Algérie** » et le 2ème tome sera publié en 1976-1977.

En même temps, en Algérie, une multitude de publications locales se créent et se développent, on peut citer la plus ancienne, fondée en 1852 : « **le Recueil des Notices et des Mémoires de la Société historique Algérienne** » en 1856, « **la société historique Algérienne** », en 1863 « **le Bulletin de l'Académie d'Hippone** », en 1878 : « **le Bulletin trimestriel de la Société de Géographie et d'Archéologie de la province d'Oran** ».

Mis à part des missionnaires, des peintres se rendent individuellement en Afrique du Nord. Ils utilisent les missions militaires, diplomatiques, archéologiques ou géographiques. Ils travaillent sur la base des rapports militaires, plans et nombreux croquis, dessins tant d'architectures que de sites, d'opérations, réalisées par les officiers ainsi que les travaux des artistes attachés

1 GEROUDET Noelle et MENARD Hélène, op.cit, p.32.

2 Le musée National des Beaux-Arts d'Alger possède une série de dessins et aquarelles réalisés par A.DELAMARE regroupant les villes antiques de Cuicul (Djemila), Calama(Guelma), Thibilis (Anouna), Mila, Mons (à Sétif) et Hippone (Annaba).

historiques d'une ville ou d'une civilisation.

En effet, cette série d'œuvres nous offre un certain nombre de détails architecturaux et artistiques qui ont marqué les artistes du XIX ème siècle, ces derniers ont représenté les monuments remontant à la l'époque romaine de l'Afrique du nord.

La plupart des édifices de cette série sont des monuments publics de la civilisation romaine en Algérie, nous citons le théâtre, l'aqueduc, la porte d'une ville, etc.… ainsi que le temple qui fait partie de l'architecture religieuse d'une ville.

Ces croquis, dessins et aquarelles sont représentés avec un réalisme soigné, le moindre détail apparaît sur l'œuvre, ce qui prouve que l'artiste de l'époque s'intéressait au moindre détail de l'objet visé, en suivant bien sûre les règles du relevé architectural ainsi que le côté artistique.

Cette commission était composée de vingt-quatre personnes, moitié de militaires, moitié de civils, appartenant à toutes disciplines, ils s'embarquent à l'automne 1839.

Le résultat de cette mission aboutit à la publication de deux ouvrages archéologiques importants, celui de **A.RAVOISIE, Beaux-arts, architecture et sculpture, Firmin Didot, 1846**[1], et de **A.DELAMARE, Exploration archéologique de l'Algérie pendant les années 1840-1845.**

A.RAVOISIE était architecte et chef de la section Beaux-Arts et Architecture de l'expédition scientifique de l'Algérie[2], parcourut le pays en inventoriant les monuments et vestiges antiques et arabo-mauresques des célèbres sites historiques avec ses 206 planches publiées dans l'ouvrage cité ci-dessus.

Le musée possède une œuvre de lui, c'est un relevé topographique de la ville de l'antique ville Cuicul.

1 Cet ouvrage est conservé à la bibliothèque du Musée National des Antiquités et des Arts Islamiques d'Alger.

2 OULEBSIR Nabila, op.cit, p.47.

L'archéologie et les œuvres documentaires réalisées par A.DELAMARE et A.RAVOISIE

Mme. DALLIL Zakia
Maître-assistante à l'E.S.B.A

Au XVIII ème siècle, la civilisation du Maghreb est révélée en Europe à travers les récits des premiers voyageurs qui osèrent s'aventurer, les explorations scientifiques et archéologiques ont contribués à la redécouverte du Maghreb et en particulier en l'Algérie[1] avec ses sites, vestiges et monuments datant de l'époque antique jusqu'à l'époque médiévale.

Le XIX ème siècle voit aussi le développement des sciences, de ses applications pratiques, ainsi les sciences auxiliaires prennent une grande importance : épigraphie, numismatique et autres. La production historique est particulièrement importante en France.

Un intérêt spontané s'est manifesté pour l'archéologie dès les débuts de la conquête. De nombreux recensements, descriptions, de nombreux relevés et croquis proviennent de particuliers, notamment de nombreux officiers des brigades topographiques, peintres, archéologues et architectes, choisis d'un commun accord par le ministère de la guerre et l'institut de France[2].

Ils envoient les notes à l'Académie des Inscriptions et des Belles lettres qui apparaît comme l'autorité scientifique de référence. Elle est chargée bientôt d'organiser, dès 1833, une mission qui aboutit à la Commission d'exploration scientifique de l'Algérie (1839-1842).

Certains musées algériens possèdent une grande collection d'œuvres à la fois archéologiques et documentaires pouvant servir à écrire et argumenter les faits

1 GEROUDET Noëlle et MENARD Hélène, L'Afrique romaine, de l'Atlantique à la Tripolitaine (69-439), Editions BELIN, Paris, 2005, p.23.
2 OULEBSIR Nabila, Les usages du patrimoine, monuments, musées et politique coloniale en Algérie (1830- 1930), Editions de la Maison des Sciences de l'homme, Paris, p.27.

67 - Les chroniqueurs n'ont jamais révélé le nom de ce calife, quant au nom Mohamed b. Haroun, il n'apparait que dans les chroniques de la fin du XIV e siècle, pour remplacer le nom Rasoul très en vogue chez les Turcomans et qui a été transformé en surnom par les courtisans.

68 - Par ces allusions, les poètes honorent les sultans rasoulides et dénigrent en même temps les Imams zaydites et les sultans mamlouks, qui n'avaient pas réussi à garder le pouvoir au sein d'une même lignée.

69 - Sur le rôle de l'épigraphie dans la propagande royale, Cf., Elisséeff, Nikita, « La titulature de Nour al-Din d'après ses inscriptions ». ***Bulletin des Études Orientales***, 14 1952, p. 155–96. Ludvik Kalus. Aigle, Denise, « Les inscriptions de Baybars dans le Bilad al-Sham. Une expression de la légitimité du pouvoir ». ***Studia Islamica***, vol. 97, 2003 [paru en 2006], p. 57-85, ***Abstracta Iranica*** [En ligne], Volume 29, mis en ligne le : 15 septembre 2008. Consulté le 5 avril 2009.

« Allah ordonne l'Equité, la Bienfaisance et la Libéralité, envers les proches. Il interdit la Turpitude, l'Acte blâmable et l'Insolence. IL vous exhorte, [*espérant que*] peut-être vous vous amenderez » (Sourate [16] les Abeilles (An-Nahl), Verset 90).

63 -Al-Malik al-Afdhal , op. cit., p. 37-38.

64 - Cette opinion repose sur les deux hadiths suivants : D'après Abou Horayra (Asl), le Prophète (pbAsl) a dit: «Pour ce rang (le pouvoir souverain ou califat), les Qurayshites ont la suprématie sur tous les gens: les musulmans sur les musulmans et les polythéistes sur les polythéistes».

«النـاس تبـع لقريـش في هـذا الشـأن مسـلمهم لمسـلمهم وكافرهـم لكافرهـم»، صحيـح مسـلم، الحديـث رقـم 1818.

D'après Abd-Allah ibn Omar (Asl), le Prophète (pbAsl) a dit: «Le califat demeurera aux mains des Qorayshites, même s'il ne subsiste sur terre que deux hommes «.

« لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي من الناس اثنان»، صحيح مسلم، الحديث رقم 1820.

65 - Al-Malik al-Afdhal , op. cit., p. 42. Dans ses prolégomènes, Ibn Khaldoun, écrit : « Les qualités requises dans un imam sont au nombre de quatre : le savoir, la probité, l'aptitude et l'usage des sens et des membres qui influent sur l'activité de l'esprit ou du corps. On a posé encore une cinquième condition, celle d'appartenir par la naissance à la tribu de Coreïch ; mais sa nécessité a été révoquée en doute ». ***Les prolégomènes d'Ibn Khaldoun***, Traduits en Français et commentés par W. Mac Guckin De Slane , Paris, Imprimerie impériale, première partie, p. 392-393.

66 - Sous le règne de son père, d'al-Mudhaffar Youssef, le futur roi al-Ashraf Omar, rédigea un ouvrage généalogique destiné aux poètes qui ignorent dit-il le vrai nasab de la famille régnante. Il donne à son ancêtre éponyme « Rasoul » une origine yéménite ghassanite qui l'attache à la famille royale des Ghassasinas gouverneurs de la Syrie avant l'Islam. Al-Rasouli, (al-Malik al-Ashraf Omar b. Youssef), *Yorfat al-shab fi mirifat al-ansab*, éd. W. Zettersteen, Beyrouth, Dar Sadir, 1992. Sur cette question, Cf. Said M'hamed Abdelhamid, « L'obsession d'une origine yéménite noble dans la généalogie des Rasoulides reconstituée par Al-Khazraji dans Al-oqoud al-loulouiyya fi tarikh al-dawla al-rasouliyya», Actes du III ème Colloque International organisé en décembre 2004: ***Généalogie et honneur dans le monde arabo-islamique et les pays de la Méditerranée***. (CERES, Tunis 2007 - N° spécial -133- 44éme année), 139-163. (Texte en arabe).

أمـر الفضائـل الملـك الأشرف إسـماعيل بـن عبـاس ابـن عـلي ابـن داود ابـن يوسـف ابـن عمـر ابـن عـلي ابـن رسـول. تـوفي إلى رحمـة اللـه تعـالى نهـار السـبت ثامـن عـشر ربيـع الأول سـنة ثـلاث وثمانمائـة». (cf. document n° 6)

54 - «أمـر بإنشـاء هـذه المدرسـة المباركـة السـعيدة السـلطانية الملكيـة الأشرفيـة منشـيها مولانـا السـلطان الأعظـم شاهنشـاه مالـك رقـاب الأمـم الأقمـر سـيد ملـوك العـرب والعجم سـلطان الإسـلام والمسـلمين سـيد الملـوك والسـلاطين نـاشر جنـاح العـدل عـلى العالمـين ممهـد الدنيـا والديـن إسـماعيل بـن العبـاس بـن عـلي بـن داوود بـن يوسـف بـن عمـر بـن عـلي بـن رسـول آجـره اللـه وبنيـه وذلـك بتاريـخ خامـس عـشر المحـرم سـنة ثـلاث وثمانمايـة».

55 - «أمـر بعـمارة هـذه المدرسـة المباركـة مولانـا ومالكنـا السـلطان السـيد الأجـل الملـك الأشرف ممهـد الدنيـا والديـن إسـماعيل بـن العبـاس بـن عـلي بـن داوود بـن يوسـف خلـد اللـه ملكــه ونــصره «. (cf. document n° 4)

56 -Al-Malik al-Afdhal , op. cit., p. 38.

57 - La basira de la madrasa al-Ashrafiya, qualifie son fondateur aussi de : «sultan savant, juste, sultan de l'Islam et des Musulmans ». Le même titre est attesté dans les basiras des autres fondations pieuses rasoulides. Cf. « Al-waqfiyya al-ghassaniya », (registre manuscrit, copié sur papier ordinaire en 1359/1940 et conservé dans le bureau de waqf de la ville de Ta'izz). (cf. document n° 1)

58 -Al-Malik al-Afdhal , op. cit., p. 48.

59 -Mohamed b. Abd al-Rahman Sakhawi, *al-dhaw al-lami li-ahl al-qarn al-tasi,* Dar al-jil Byrouth, 1992, T 2, p. 299.

60 - Par exemple, Al-Malik al-Afdhal, père d'al-Ashraf, al-Moayyad son grand-père et al-Modhaffar son arrière grand-père comptent parmi les plus grands sultans écrivains de la famille.

61 - Sur un plat rond en cuivre gravé datant de l'époque du deuxième sultan rasoulide, nous lisons l'inscription suivante : « Gloire à notre maître al-Sultan, al-Malik, al-Modhaffar, al-alim, al-amil, al-adil, al-Mojahid, al-Morabit, Shams al-Doniya wa-al-Din, Youssef ibn Omar ibn Ali ibn Rasoul, que sa victoire soit puissante ». D'après : Rabi Hamid khalifa, ***Al-Fonoun al-zokhrofiyya al-yamaniyya fi al-asr al-islami,*** al-Dar al-Masriyya al-Lobnaniyya, 1992, p. 34.

»عـزّ لمولانـا السـلطان الملـك المظفـر العـالم العامـل العـادل المجاهـد المرابـط شـمس الدنيـا والديـن يوسـف بـن عمـر بـن عـلي بـن رسـول عـزّ نـصره».

62 -Al-Malik al-Afdhal , op. cit., p. 38. C'est une citation empruntée au Coran :

الأحـكام»، «بـاب السّـمع والطّاعـة للإمـام مـا لم تكـن معصيـة»، حديـث رقـم 6611. ورواه مسـلم في «كتـاب الإمـارة»، «بـاب وجـوب طاعـة الأمـراء في غـير معصيـة وتحريمهـا في المعصيـة»، حديـث رقـم 3423.

47- عـن ابـنِ عبّـاس أن النبـي (ص) قـال: « مَـنْ رَأَى مِـنْ أَمِـيرِهِ شَـيْئًا يَكْرَهُـهُ فَلْيَصْـبِرْ فَإِنَّـهُ مَـنْ فَـارَقَ الْجَمَاعَـةَ شِـبْرًا فَـمَاتَ فَمِيتَـةٌ جَاهِلِيَّـةٌ»، رواه مسـلم في «بـاب وجـوب ملازمـة جماعـة المسـلمين عنـد ظهـور الفـتن وفي كلّ حـال وتحريـم الخـروج عـلى الطاعـة ومفارقـة الجماعـة»، حديـث رقـم 3438.

48- اللهـم صـلي وسـلم عـلى رسـولك سـيدنا محمـد يـا ذا الجـلال والإكـرام ورضي اللـه عـن الصحابـة أجمعـين.

49 -Sur les rivalités entre les imams et les sultans, Cf. Said M'hamed Abdelhamid, « Légitimation de la violence dans le conflit politique entre les Imams zaydites et les Rasoulides », ***Conflits, Elites et Violence Dans l'Histoire***, Colloque organisé par le Département d'Histoire de la faculté des Lettres et Sciences Humaines de l'Université de Sousse, Tunisie, du 22 au 24 novembre 2007, Tunis 2010, p. 273-292. (Texte en arabe).

50 -Le Prophète (pbAsl) a dit dans l'un des hadiths relatifs au bassin : « Des hommes parmi mes compagnons viendront me rejoindre au Bassin, mais on les séparera de moi. Je dirai alors: «Seigneur ce sont mes compagnons ! « il répondra; « tu ne sais pas ce qu'ils ont commis après toi: ils ont apostasié ».

«يَـرِدُ عَـلَى الْحَـوْضِ رِجَـالٌ مِـنْ أَصْحَـابِي فَيُحَلَّئُـونَ عَنْـهُ فَأَقُـولُ يَـا رَبِّ أَصْحَـابِي فَيَقُـولُ إِنَّـكَ لَا عِلْـمَ لَـكَ بِمَـا أَحْدَثُـوا بَعْـدَكَ إِنَّهُـمْ ارْتَـدُّوا عَـلَى أَدْبَارِهِـمْ الْقَهْقَـرَى»، صحيـح البخـاري، الحديـث رقـم 6098.

51 -Les Rasoulides avaient l'habitude aussi d'inscrire les noms des quatre premiers califes sur leurs monnaies, par reconnaissance de leurs mérites, affichant ainsi leur appartenance confessionnelle.

52 - Sur la question des chaines onomastiques et des titres des rois musulmans, Cf., Jamal Naji, ***Les titres honorifiques musulmans (al-alqab) au Maghreb médiéval : rôle et significations***, Thèse de doctorat présentée et soutenue à la Faculté de Géographie, Histoire, Histoire de l'Art et Tourisme, (Université Lumière Lyon 2), sous la direction de Pierre Guichard, 2003. Sublet, (Jacqueline), ***Le voile du nom : Essai sur le nom propre arabe***, Presses Universitaires de France - PUF, 1991.

53- «هـذا قـبر العبـد المفتقـر إلى عفـو ربّـه تعـالى ورضوانـه مولانـا السـلطان العـالم العـادل مالـك

confirmée.

35 -Al-Malik al-Afdhal , op. cit., p. 20.

36 - Ibid., p. 37.

37 - Ibid., p 18.

38- اللـه ملّكـه وليـس بسـالب *** منـه الـذي أولاه مـن نعـماء/ اللـه ملّكـه أمـور عبـاده *** لمّـا رآه أرحــم الرحـماء. جـمال الديـن محمـد بـن حمـير، **الديـوان**، تحقيـق محمـد الأكـوع الحوالي، صنعـاء، مركـز الدراسـات والبحـوث اليمني، بـيروت، دار العـودة، 1985م، ص 86.

39- ومـا أنـت إلا نائـب اللـه في الـورى *** فـلا ذقــت يومـا مــن نيابتـه عــزلا. إسـماعيل بـن المقـرئ، **ديـوان ابـن المقـرئ**، عنـي بطبعـه ونـشره عبـد اللـه بـن إبراهيـم الأنصـاري، إدارة إحيـاء الـتراث الإسـلامي بالدوحـة، 1986م، ص 65.

40- ملــك بنــاه لـك الإله وشــاده *** وبنا المهيمن ثابت الأركان. **نفس المصدر**، ص 37.

41- ومـا الملـك إلاّ نائـب اللـه في الـورى *** يدبّــره البـاري بمـا يشبــه الوحيـا. **نفـس المصـدر**، ص 341.

42- تخـيّرك الرحـمان مـن بـين الـورى *** فلـما نفـى الأكـدار أعطاكهـا صفـوا. **نفـس المصـدر**، ص 341.

43- L'un des objectifs de la création des établissement scolaires officiels, était la diffusion de la doctrine asharite.

44- Amir al-istila(أمــير اســتيلاء) est un gouverneur dont l'autorité est fondée sur l'usurpation et la conquête. La reconnaissance de son autorité par le Khalifat de Bagdad le conforte et lui assure la légitimité.

45- عـن أبي هريـرة، عـن النبـي (ص) قـال: «مَـنْ أَطَاعَنِـي فَقَـدْ أَطَـاعَ اللَّـهَ وَمَـنْ يَعْصِنِـي فَقَـدْ عَـصَى اللَّـهَ وَمَـنْ يُطِـعْ الْأَمِـيرَ فَقَـدْ أَطَاعَنِـي وَمَـنْ يَعْـصِ الْأَمِـيرَ فَقَـدْ عَصَـانِي»، رواه مسـلم في «كتـاب الإمـارة»، «بـاب وجـوب طاعـة الأمـراء في غـير معصيـة وتَحريمهـا في المعصِيـة»، حديـث رقـم 3417. ورواه البخـاري في «كتَـاب الجهـاد والسّـير»، بـاب «يُقَاتَـل مِـن وراء الإمـام ويُتّقـى بـه»، حديـث رقـم 2736.

46- وعـن حذيفـة بـن اليـمان أن النبـي (ص) قـال: «يَكُـونُ بَعْـدِي أَئِمَّـةٌ لَا يَهْتَـدُونَ بِهُـدَايَ وَلاَ يَسْـتَنُّونَ بِسُـنَّتِي وَسَـيَقُومُ فِيهِـمْ رِجَـالٌ قُلُوبُهُـمْ قُلُـوبُ الشَّـيَاطِينِ فِي جُثْـمَانِ إِنْـسٍ، قَـالَ: قُلْـتُ كَيْـفَ أَصْنَـعُ يَـا رَسُـولَ اللَّـهِ إِنْ أَدْرَكْـتُ ذَلِـكَ؟ قَـالَ: تَسْـمَعُ وَتُطِيـعُ لِلأَمِـيرِ وَإِنْ ضُرِبَ ظَهْـرُكَ وَأُخِـذَ مَالُـكَ فَاسْـمَعْ وَأَطِـعْ»، رواه مسـلم في «كتـاب الإمـارة»، « بـاب وجـوب ملازمـة جماعـة المسـلمين عنـد ظهـور الفـتن وفي كلّ حـال وتحريـم الخـروج عـلى الطاعـة ومفارقـة الجماعـة، حديـث رقـم 3435. عـن ابـن عمـر أن النبـي (ص) قـال: « السَّـمْعُ وَالطَّاعَـةُ عَـلَى الْمَـرْءِ الْمُسْـلِمِ فِيـمَا أَحَـبَّ وَكَـرِهَ مَـا لَـمْ يُؤْمَـرْ بِمَعْصِيَـةٍ فَـإِذَا أُمِـرَ بِمَعْصِيَـةٍ فَـلَا سَـمْعَ وَلَا طَاعَـةَ «، رواه البخـاري في «كتـاب

7)

25- «يَـا أَيُّهَـا الَّذِيـنَ آمَنُـواْ أَنفِقُـواْ مِـن طَيِّبَـاتِ مَـا كَسَـبْتُمْ وَمِـمَّا أَخْرَجْنَـا لَكُـم مِّـنَ الأَرْضِ وَلاَ تَيَمَّمُـواْ الْخَبِيـثَ مِنْـهُ تُنفِقُـونَ وَلَسْـتُم بِآخِذِيـهِ إِلاَّ أَن تُغْمِضُـواْ فِيـهِ وَاعْلَمُـواْ أَنَّ اللَّـهَ غَنِـيٌّ حَمِيـدٌ»، البقـرة، الآيـة . 267 (cf. document n° 7)

26- «وإِن كَانَ ذُو عُـسْرَةٍ فَنَظِـرَةٌ إِلَى مَيْـسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُـواْ خَـيْرٌ لَّكُـمْ إِن كُنتُـمْ تَعْلَمُـونَ، وَاتَّقُـواْ يَوْمًـا تُرْجَعُـونَ فِيـهِ إِلَى اللَّـهِ ثُـمَّ تُـوَفَّى كُلُّ نَفْـسٍ مَّـا كَسَـبَتْ وَهُـمْ لاَ يُظْلَمُـونَ»، البقـرة، الآيـة 281-280. (cf. document n°7)

27- «الَّذِيـنَ يُنفِقُـونَ فِي الـسَّرَّاء وَالـضَّرَّاء وَالْكَاظِمِـينَ الْغَيْـظَ وَالْعَافِـينَ عَـنِ النَّـاسِ وَاللَّـهُ يُحِـبُّ الْمُحْسِـنِينَ»، آل عمـران، الآيـة 134.

28 - Selon la «basira» / «waqfiyya » (l'acte de fondation du waqf d'al-Ashrafiya), quarante cinq étudiants bénéficient d'une allocation d'étude provenant des revenues du waqf alloué à la madrasa et vingt-et-un personnes (employés et enseignants) bénéficient d'un salaire, selon la même source ; cela sans compter le nombre des étudiants « volontaires : non boursiers », des hôtes et des fidèles qui profitent des services de l'établissement.

29 - Les chroniques et les biographies rasoulides insistent toujours sur ces qualités et sur leurs échos dans les milieux savants.

30- «قُـلِ اللَّهُـمَّ مَالِـكَ الْمُلْـكِ تُـؤْتِي الْمُلْـكَ مَـنْ تَشَـاءُ وَتَنْـزِعُ الْمُلْـكَ مِمَّـنْ تَشَـاءُ وَتُعِـزُّ مَـنْ تَشَـاءُ وَتُـذِلُّ مَـنْ تَشَـاءُ بِيَـدِكَ الْخَـيْرُ إِنَّـكَ عَـلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيـرٌ»، سـورة آل عمـران، الآيـة: 26.

(Verset 26 de la Sourate [3], Al-Imran, (la Famille De Imran) (cf. document n° 9)

31 - Il s'agit de la coupole située au sud-ouest de la salle de prière.

32- «يـا أَيُّهَـا الَّذِيـنَ آمَنُـوا اتَّقُـوا اللَّـهَ وَقُولُـوا قَـوْلا سَـدِيدًا، يُصْلِـحْ لَكُـمْ أَعْمَالَكُـمْ وَيَغْفِـرْ لَكُـمْ ذُنُوبَكُـمْ وَمَـن يُطِـعْ اللَّـهَ وَرَسُـولَهُ فَقَـدْ فَـازَ فَـوْزًا عَظِيـمًا إِنَّـا عَرَضْنَـا الأَمَانَـةَ عَـلَى السَّـمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَـالِ فَأَبَـيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَـا وَأَشْـفَقْنَ مِنْهَـا وَحَمَلَهَـا الإِنسَـانُ إِنَّـهُ كَانَ ظَلُومًـا جَهُـولا لِيُعَـذِّبَ اللَّـهُ الْمُنَافِقِـينَ وَالْمُنَافِقَـاتِ وَالْمُشْرِكِـينَ». سـورة الأحـزاب، الآيتـان: 72-69.

33 - Al-Malik al-Afdhal al-Abbas al-Rasouli, ***Nozhat al-dhorafa wa tohfat al-kholafa***, éd. Nabila Abd al-Monim Dawoud, Beyrouth, Dar al-kitab al-arabi, 1985, p. 17. Cet auteur (M. 778/1377) est le père du sultan fondateur d'al-Ashrafiya .

34- «يَـا أَيُّهَـا الَّذِيـنَ آمَنُـوا أَطِيعُـوا اللَّـهَ وَأَطِيعُـوا الرَّسُـولَ وَأُولِي الْأَمْـرِ مِنكُـمْ فَـإِن تَنَازَعْتُـمْ فِي شَيْءٍ فَـرُدُّوهُ إِلَى اللَّـهِ وَالرَّسُـولِ إِن كُنتُـمْ تُؤْمِنُـونَ بِاللَّـهِ وَالْيَـوْمِ الْآخِـرِ ذَٰلِـكَ خَـيْرٌ وَأَحْسَـنُ تَأْوِيـلًا». سـورة النسـاء، الآيـة : 59.

L'existence de ce Verset, sur les murs ou les coupoles de la madrasa, n'est pas

l'authenticité de la majorité des hadiths rapportés par Obay b. Kab à propos des mérites des Sourates du saint Coran, cependant, il admet la tradition qui atteste les bienfaits de certains Versets et Sourates comme les « Deux Préservatrices » «Al-Moawwidhatan » : « Al-Falaq » [113] (L'Aurore) « An-Nass » [114] (Les Hommes) ; « Al-Imran », [3] (La Famille De Imran); « Al-Baqarah », (La Génisse) [2] ; « Al Kahf », (La Caverne) [18] et «Ayat al-Korsi », (Le Verset du Trône). Al-Faïrouzabadi, (Abou Taher Mohammed Ibn-Yacoub), ***Sfar as-saada***, Ed. Dar al-Osour, Le Caire, 1347/1928, p. 142-143.

17 - A côté des Versets et Sourates cités, nous avons pu repérer les Sourates suivantes : Al-Araf [7], Al-Ala [87], Al-Ikhlas [112], Ar-Rahman [55]. (cf. document n°8)

18 - عـن أبي هريـرة، أن رسـول اللـه (ص) كان يقـرأ في العشـاء الآخـرة بالسـماء ذات الـبروج، والسـماء والطـارق.

19 -Les Sept Sourates Salvatrices sont : As-Sajdah (La Prosternation) [32] ; Al-Baqarah, (La Génisse) [2] ; Al-Imran, (La Famille De Imran) [3] ; Al-Molk (Le Royaume) [67] ; Al-Waqiah (L'Evénement) [56] ; Al-Insan (L'Homme) [76] ; Ad-Doukhan (La Fumée) [44] ; Al-Kahf (La Caverne) [18].

20 - «اللَّـهُ لَا إِلَـهَ إِلَّا هُـوَ الْحَـيُّ الْقَيُّـومُ لَا تَأْخُـذُهُ سِـنَةٌ وَلَا نَـوْمٌ لَّـهُ مَـا فِي السَّـمَاوَاتِ وَمَـا فِي الْأَرْضِ مَـنْ ذَا الَّـذِي يَشْـفَعُ عِنْـدَهُ إِلَّا بِإِذْنِـهِ يَعْلَـمُ مَـا بَـيْنَ أَيْدِيهِـمْ وَمَـا خَلْفَهُـمْ وَلَا يُحِيطُـونَ بِـشَيْءٍ مِـنْ عِلْمِـهِ إِلَّا بِمَـا شَـاءَ وَسِـعَ كُرْسِـيُّهُ السَّـمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُـودُهُ حِفْظُهُـمَا وَهُـوَ الْعَـلِيُّ الْعَظِيـمُ.» (سـورة البقـرة، الآيـة 255).

21 - Al-Siouti, jalal al-din, ***Ayat al-Korsi: Maaniha wa Fdhailoha***, Le Caire, Dar al-Itisam li-tibaa wa al-nashr, 1984.

22 - **مسـند أحمـد بـن حنبـل**، رقـم الحديـث: 20764، عـن أُبَيْ بـن كعـب رضي اللـه عنـه: أنّ النبي صَـلَّى اللـه عَلَيْـهِ وَ سَـلَّمَ سـأله : « أيّ آيـة في كتـاب اللـه أعظـم ؟ قـال: اللـه و رسـوله أعلـم. فردّدهـا مـرارا، ثـمّ قـال أُبَيْ: آيـة الكـرسي. قـال: لِيَهْنِـكَ الْعِلْـمُ أَبَـا الْمُنْـذِر، وَالَّـذِي نَفْـسِي بِيَـدِهِ إِنَّ لَهَـا لِسَـانًا وَشَـفَتَيْنِ تُقَـدِّسُ الْمَلِـكَ عِنْـدَ سَـاقِ الْعَـرْشِ».

23 - «فيـه أحاديـث واهيـة، منهـا حديـث أُبي، مـن قرأهـا فكأنّمـا شـهد مـع محمـد فتـح مكّـة، وحديـث عـلي: يـا عـلي مـن قرأهـا أنجـاه اللـه مـن شـدّة يـوم القيامـة، الفيروزآبـادي، **فضائـل ذوي التمييـز فى لطائـف الكتـاب العزيـز**، المجلـس الأعـلى للشـئون الإسـلامية - لجنـة إحيـاء الـتراث الإسـلامي، القاهـرة، 1996، مجلـد 1، ص 550.

24 - «وَإِن تُبْـدُواْ الصَّدَقَـاتِ فَنِعِـمَّا هِـيَ وَإِن تُخْفُوهَـا وَتُؤْتُوهَـا الْفُقَـرَاء فَهُـوَ خَـيْرٌ لَّكُـمْ وَيُكَفِّـرُ عَنكُـم مِّـن سَـيِّئَاتِكُمْ وَاللَّـهُ بِمَـا تَعْمَلُـونَ خَبِـير"، البقـرة، الآيـة 271.(cf. document n°)

11 - Le choix de l'emplacement de la madrasa révèle aussi cette volonté d'exhibition. Le monument est bâti au pied de la colline depuis laquelle la citadelle al-Qahira domine la ville de Taèz, il est ainsi visible depuis ses déférents quartiers et offre une vision panoramique et très suggestive sur toute la cité. (cf. document n° 2).

12 - Sur onze sultans inhumés dans les madrasas de Taèz, sept sont enterrés dans leurs propres madrasas. Al-Ashrafiya abrite à elle seule, les corps de trois sultans, Il s'agit de ceux d'al-Ashraf Ismaïl, de son fils al-Nasir et de son petit fils al-Mansour. Al-Ashbahi, (Ala Ahmad Mohamed), ***La madrasa al-Ashrafiya bi Taèz fi al-ahd al-rasouli, dirasa mimariyya wa tahliliyya,*** Sanaa, Wizarit al-thaqafa wa al-siyaha, 2004, p. 103-114. L'édifice est un complexe qui comprend une madrasa, une khanqah, une mosquée et un mausolée (cf. document n° 3).

13 - Un rapport d'inspection établi au début des années quatre-vingt a alerté les responsables sur l'état de dégradation de l'établissement et la nécessité d'une intervention rapide. Cf. Eugenio Galdieri et Alejandro Alva, ***Visual inspection of the Al-Ashrafiyah mosque, The mural paintings of al Ashrafiyah Mosque, Taiz : report prepared for the Government of the Yemen Arab Republic by the United Nations Educational, Scientific and Cultural Organization (Unesco)***, Paris : UNESCO, 1982. Les travaux de restauration menés par des spécialistes italiens de l'Istituto Veneto per i Beni Culturali di Venezia, ont débuté en 2005. Cf. Luisa Barban, Paolo Bensi, Paolo Mariani, Maurizio Merlo , Renzo Ravagnan, Abdulhakim Al-Sayaghi « Restauro delle decorazioni murali della moschea Al-Ashrafiya in Ta'izz Yémen », the *IX International Forum « Le Vie dei Mercanti » : S.A.V.E. Heritage* Safeguard of Architectural, Visual, Environmental Heritage in Capri, Italy, 9-11 June 2011.

14 - Les aspects techniques et artistiques des inscriptions ne seront pas traités dans cet article.

15 - Pour la traduction française des Sourates et des Versets, nous avons utilisé l'édition de Régis Blachère, ***Le Coran***, Maisonneuve et Larose, Paris, 2005.

16 - Abou Omama al-Bahili rapporte qu'il a entendu le Prophète (pbAsl) dire: «Lisez le Coran, car il intercèdera en faveur de son lecteur le jour du jugement. » اقْـرَأُوا عـن أبي امامـة رضي اللـه عنـه قـال: سـمعت رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم يقـول: « الْقُـرْآنَ فَإِنَّـهُ يَـأْتِي يَـوْمَ الْقِيَامَـةِ شَـفِيعاً لأَصْحَابِـهِ»، رواه مسـلم، حديـث رقـم 1337.

Al-Faïrouzabadi, «grand cadi» (qadhi al-qodhat) du sultan al-Ashraf, nie

6 - Non loin de ce monument, une autre madrasa datant de la même époque, est encore debout dans le quartier al-Wasita de Taèz ; il s'agit de la madrasa al-Motabiyya, dont la construction fut ordonnée par Jihat Motab la femme d'al-Ashraf Ismaïl en 1392-93/796.

7 - Al-Khazraji, ***Al-Oqoud***, *op.cit*, T. 2, p. 180.

8 - Ibid., p. 171.

9 - Ils sont nommés zaydites par référence au fondateur de leur doctrine Zayd b. Ali b. al-Hosayn b. Ali (m. 122/740), et Hasanides par référence à leur ancêtre al-Hasan b. Ali. Malgré leur puissance les premiers Rasoulides n'avaient pas réussi à anéantir le pouvoir des Imams ; refoulés vers le Nord ces derniers vont accroitre leur puissance et étendre leur domination sur le Haut Yémen et menacer les villes du Bas Yémen depuis le début du VIIIe / XIVe siècle. cf. Al-Khazraji, *op.cit*, Vol. II, p. 13-107. Van Arendonk, (G), ***Les débuts de l'imamat Zaydite au Yémen***, (Traduit par Jacques Ryckmans), Leyde, E.J. Brill, 1960. Strothmann, (R.), « Al-Zaydiya », ***EI1***, SV, T. IV, p. 1264-1266. Coussonnet, Nahida, « Les assises du pouvoir zaydite au XIIIe siècle», ***REMMM***, 67, 1993, p. 67.

10 - Sur la question des madrasas et de leur utilisation comme outil du pouvoir en Orient et en Occident musulman, Cf, Golvin, Lucien, « La médersa : nouvel outil du pouvoir », in collectif (sous la dir. Mezzine Mohamed), ***Fès médiévale entre légende et histoire, un carrefour de l'Orient à l'apogée d'un rêve***, Autrement Paris, 1992, p. 92-99. El Ayadi, Mohamed, « La Qarawiyin ou la solidarité entre le pouvoir et le savoir », dans ***Etudes d'histoire du Maroc***, Annales de la faculté des lettres et des sciences humaines I, Aïn Chock Casablanca, n° 7, 1990, p. 5-17. Leiser Gary; « Notes on the Madrasa in Medieval Islamic Society», ***The Muslim World***, Hartford Seminary, Connecticut 1986, vol. 76, no1, p. 16-23. Pedersen, Johannes & George Makdisi, ***EI2***, sv, «Madrasa», TVI, p. 1123-1134. Shatzmiller, (Maya), « Les premiers Mérinides et le milieu religieux de Fès: l'introduction des Médersas », ***Studia Islamica***, N°. 43, 1976, p. 109-118. Sourdel, (Dominique), « Réflexions sur la diffusion de la madrasa en Orient du XIe au XIIe siècle », ***Revue des Etudes Islamiques***. Paris, 1976, vol. 44, p. 165-184. Sourdel, (Thomine Janine), « Locaux d'enseignement et madrasas dans l'Islam médiéval », ***Revue des Etudes Islamiques***, Paris, 1976, vol. 44, p. 185-197.

Bibliographie :

1 - Sur l'histoire de cette ville à l'époque rasoulide, cf. Said M'hamed Abdelhamid, « La ville de Taèz à l'époque rasoulide», Actes du IIème Colloque International organisé en avril 2003 : ***Tribu, ville et espace dans le Monde Arabo-Islamique***. (Imprimerie Officielle, Tunis 2008), p. 199-243. (Texte en arabe).

2 - Cette prestigieuse dynastie régna sur une grande partie de l'Arabie du Sud, entre 626/1229 et 858/1454. cf. Al-janadi, (Baha al-Din Mohamed), ***Al-Solouk fi tabaqat al-olama wa al-molouk***, ed. Mohamed b. Ali b. al-Husayn al-Akwa, Sanaa, Wizarat al-ilam wa al-thaqafa, Beyrouth, Dar al-tanwir li al-tibaa wa al-nashr, 1989, 2 T. Al-Khazraji, (Abou al-Hasan Ali b. al-Hasan), ***Al-Oqoud al-loulouiyya fi tarikh al-dawla al-rasouliyya***, éd., Mohamed b. Ali al-Akwa, Sanaa, Markaz al-dirasat wa al-bohouth al-yamani, Byrouth, Dar al-Adab, 1983, 2 T. Ibn al-Dayba, (Abou Abd Allah Abd al-Rahman), ***Qorrat al-oyoun bi-akhbar al-Yaman al-maymoun***, éd. Mohamed b. Ali al-Akwa al-Hiwali, Beyrouth 1988. Abd al-Al Ahmed, (Mohamed), ***Banou Rasoul wa Banou Tahir wa alaqat al-Yaman al-kharijiyya fi ahdihima***, Alexandrie, al-haïya al-ama li al-kitab, 1980.

3 - Sur la question des établissements scolaires au Yémen à l'époque rasoulide, cf. Al-akwa, (Ismail b. Ali), ***al-Madaris al-islamiya fi al-Yaman***, Beyrouth, Moassasit al-risala, Sanaa, Maktabit al-jil al-jadid, 1986. Al-Sinidi, (Abdelaziz), ***al-Madaris al-yamaniyya fi asr al-dawla al-rasouliyya***, Riyad 2003. Sadek, (Noha), ***Patronage and architecture in rasoulid Yémen 626-858 A.H. /1229-1454 A.D***. The University of Toronto 1990. Thèse non publiée. Sur le rôle des princesses rasoulides, cf. Sadek, (Noha), «Rasulid Women: Power and Patronage», ***Arabian Studies***, Vol. 19, 1989, p. 121-136.

4 - Les dates entre parenthèses et qui suivent les noms des sultans sont celles de leurs règnes.

5 - Selon les inscriptions commémoratives de la madrasa, les travaux commencèrent pendant le mois de rabi al-awwal 800/ décembre 1397 et s'achevèrent le 15 muharram 803/ dimanche 5 septembre 1400, deux mois avant la mort du sultan al-Ashraf. (cf. documentn°5).

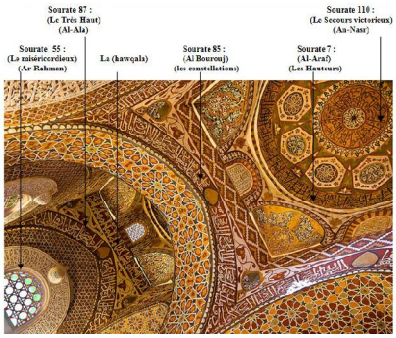

Document n° 8 :

Versets et Sourates peints ou gravés à l'intérieur de la salle de prière de la madrasa al-Ashrafiya de Taèz

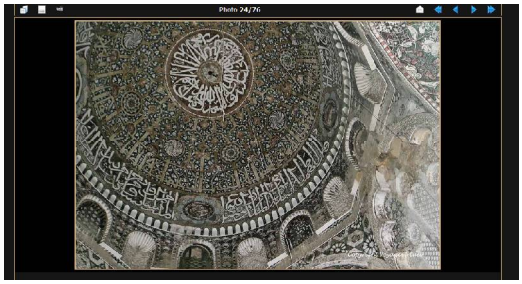

Document n° 9 :

Texte coranique appliqué sur la base de la calotte de la coupole centrale

(le verset n° 26 de la Sourate La famille De Imran (Al-Imran)

Document n° 6:

Inscription tombale du fondateur de la madrasa al-Ashrafiya de Taèz : al-Ashraf Ismaïl

« Ceci est la tombe de celui qui a besoin de la miséricorde de son Dieu le Très-Haut, et de son agrément, notre maître le sultan le savant….. »

Document N° 7 : Versets peints à l'intérieur de la salle de prière

Document n° 7 :

Versets peints à l'intérieur de la salle de prière

de la madrasa al-Ashrafiya de Taèz

Document n° 4 :

Inscription commémorative gravée sur l'un des frontons de la madrasa al-Ashrafiya

Document n° 5 :

Inscription commémorative gravée sur l'un des frontons de la madrasa al-Ashrafiya.

(L'entrée du minaret oriental)

Elle nous donne la date du début des travaux :

le 2 Rabi'al-Awwal 800/ décembre 1397

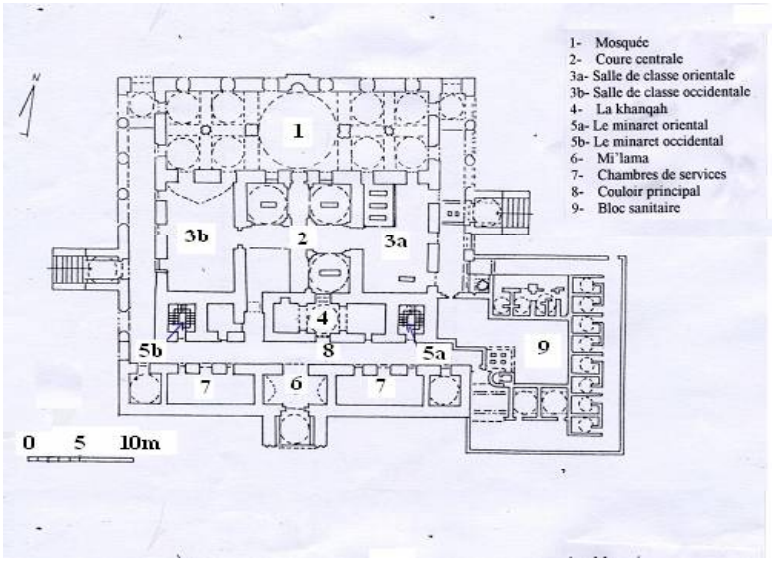

Document n° 3 :

Plan de la madrasa al-Ashrafiya de Taèz

(D'après Al-Ashbahi, Ala Ahmed Mohamed, *La madrasa al-Ashrafiya de Taez à l'époque rasoulide, étude architecturale analytique*, Sanaa, 2004, p. 314.)

Document n° 1 :

La première page de la « waqfiyya al-ghassaniya »

« ghassanite », très chère à la famille, n'est pas évoquée directement, comme c'est le cas dans les ouvrages littéraires ou dans la poésie, son nasab (généalogie patrilinéaire), qui énumère ses aïeuls jusqu'à l'ancêtre éponyme Rasoul, répond à deux prétentions:

Premièrement : rappeler les vertus de cet ancêtre qui s'appelle selon la thèse officielle Mohamed b. Haroun et qui avait mérité son surnom Rasoul, (messager) après son séjour chez un calife abbaside, qui l'avait dépêché en missions secrètes en Syrie et en l'Egypte [(67)].

Deuxièmement, en énumérant les aïeuls du sultan qui étaient eux même sultans, l'inscription voulait affirmer la légitimité dynastique établie à travers les générations: al-Ashraf est le descendant de six sultans qui se sont succédé sur le trône depuis le roi fondateur.

Cette «originalité rasoulide» est couramment évoquée par les poètes qui mentionnent les noms des «pères » (ascendants) du sultan loué et qui étaient eux mêmes sultans, tout en faisant allusion à d'autres gouverneurs en pays d'Islam qui n'ont pas réussi à établir une dynastie[(68)].

Nous pouvons donc conclure que les textes épigraphiques dans le domaine de l'architecture monumentale soutenaient la légitimité royale en renforçant la propagande visant à la fois le peuple et l'élite, étant donné que les établissements sont ouverts à leurs bénéficiaires directs composés de shaykhs soufis, d'Oulémas et d'étudiants boursiers ou «volontaires», ainsi qu'au grand public fréquentant la madrasa pour la prière et les soufis étrangers bénéficiaires de l'hospitalité durant leurs séjours dans le khanqah attenant à la madrasa. Tout ce monde est appelé quotidiennement à recevoir le message de ces inscriptions déployées pour êtres visibles et lisibles [(69)].

ajoute: «Une seule journée d'équité vaut mieux pour un prince que soixante-dix ans de prière » [63].

En s'attribuant cette qualité, son fils al-Ashraf -comme tout autre homme de pareille condition-, s'engage à répondre à ces directives divines et à établir la justice dans son royaume, remplissant ainsi l'une des conditions requises pour mériter le trône.

Dans les éloges et les panégyriques du sultan al-Ashraf et de ses prédécesseurs, on constate que cette qualité déquité est toujours mise en avant, avec celle du savoir et de largesse.

La littérature courtisane met l'accent aussi sur une autre « qualité » : celle de la « noble » ascendance requise, elle aussi, pour mériter le pouvoir et jouir d'une autorité légitime. Le programme épigraphique de la madrasa n'a pas totalement négligé cette qualité.

Nasab et Nisba rasoulide :

Tout d'abord il faut rappeler qu'à l'origine, la doctrine sunnite exigeait des princes une descendance Qorayshite [64], puis par la suite, les théoriciens du pouvoir sultanien finissent par accepter et légitimer le règne de quiconque s'emparait du pouvoir et se montrait capable de défendre l'islam et faire régner la justice et l'équité par sa force (shawqa) et sa majesté (hayba), rendues nécessaires par l'effronterie des sujets qui ne sont plus comme autrefois (li fasadi ahli al-zaman) [65].

Les rasoulides qui voulaient fonder leur autorité sur toutes les légitimités possibles, ne se sont pas contentés de l'origine divine prétendue de leur pouvoir, ou de la légitimité de « l'épée de justice et du jihad». Ils ont aspiré aussi, depuis le règne d'al-Mudhaffar Youssef à une assise historique, en se réclamant d'une descendance yéménite noble qui leur confère une légitimité dynastique [66].

La chaine onomastique du sultan al-Ashraf répond explicitement et implicitement à cette prétention. Si sa nisba (nom de relation) « yéménite » ou

le gouvernement de leurs sujets, voudraient afficher et prouver constamment leur érudition, leur sagesse et leur diligence.

Par l'évocation de cette qualité personnelle de savant (alim), le sultan al-Ashraf prétend remplir l'une des conditions de mérite et de capacité exigées pour l'investiture à la tête de l'État. Pour prouver cette qualité, il ne s'était pas contenté de fréquenter et d'entretenir les Oulémas de renom - comme le conseille son père au bon prince- [58] mais il avait aussi essayé de prendre place parmi les érudits de son époque. Les biographes et les historiens du palais lui attribuent des ouvrages historiques tels que «Fakihat al-zaman» ou même le célèbre ouvrage d'al-Khazraji : « Al-Oqoud al-louolouiya fi tarikh al-dawla al-rasouliyya » [59].

Al-Ashraf n'est pas l'unique rasoulide aspirant à l'érudition, car ses prédécesseurs s'étaient attribués aussi le titre « al-alim » et l'avaient inscrit sur leurs monuments et sur leurs mobiliers. Ils s'étaient aussi illustrés par la rédaction ou la compilation d'ouvrages traitant de sujets divers et multiples [60].

Al-adil : (le juste), est le deuxième titre accordé au sultan al-Ashraf dans les inscriptions de sa madrasa. Il est qualifié aussi de : « Celui qui a établi la justice dans les mondes », un titre honorifique composé, très cher lui aussi aux sultans musulmans.

Ce titre hérité des époques précédentes, avait connu un grand succès en Egypte ayyūbide et mamlūk, comme au Yémen rasoulide où il est attesté dans les inscriptions datant du deuxième sultan rasoulide, al-Modhaffar Youssef ibn Omar [61].

Al-adil (le juste) est l'un des noms les plus beaux d'Allah (Asma Allah al-Hosna). Le Seigneur Lui-même nous ordonne « l'Équité et la Bienfaisance », rapporte al-Malik al-Afdhal dans son «Miroirs des princes» [62]. En se rapportant à la Tradition, il dit aussi : « Le roi juste est le plus noble et le plus aimé parmi les hommes auprès d'Allah» ; sa prière « vaut quatre-vingt-dix prières ». Il

choisis pour glorifier et honorer le sultan, d'autres avaient un objectif plus profond qui est celui de légitimer et préserver son règne. Nous pensons notamment aux titres honorifiques formés par des adjectifs simples comme celui du « savant » ou celui du « juste », presque toujours présents dans les inscriptions et dans les panégyriques des sultans. Nous pensons aussi au Nasab (généalogie patrilinéaire.) et au Nisba (nom de relation) dont l'évocation constante trahit l'obsession d'une dynastie aux origines peu glorieuses, qui voulait se doter d'un illustre Nasab et l'enraciner dans la mémoire collective.

Al-Malik al-Afdhal, écrit dans ses « Miroirs des princes » à propos des qualités du bon prince : « L'équité est la première des qualités requises pour être un bon roi, à laquelle, s'ajoutent, le savoir, la largesse, l'indulgence, la fidélité, la tranquillité d'esprit, la sagesse, le courage et l'audace » [(56)].

On a vu que la madrasa elle-même est un témoin de la largesse de son fondateur, mais le sultan aspire aussi remplir les autres qualités par l'action et par la propagande. En effet, deux des qualités attribuées au bon prince par al-Malik al-Afdhal sont citées dans la titulature de son fils et dans celle de ses prédécesseurs, comme le montrent les inscriptions monumentales ou mobilières : il s'agit de l'équité et du savoir.

Dans la titulature du sultan al-Ashraf Ismaïl, les titres de souveraineté sont suivis donc d'une série d'adjectifs qui indiquent sa piété et sa justice : Al-alim (le savant), al-adil (le juste), «al-amil» le diligent.

Al-alim : (le savant), est un titre porté à la fois par les savants et les princes musulmans, c'est l'un des adjectifs les plus appréciés par ces derniers. Ce titre -attesté dans la titulature des princes musulmans depuis le Vème siècle/ XIème- est généralement suivi par le titre «al-amil », le diligent, que se soit en Egypte ayyoubide et mamlouk, ou au Yémen rasoulide. [(57)]

Al-alim est l'un des noms les plus beaux d'Allah (Asma' Allah al-Housna) ; les sultans considérés comme Ses ministres pour la garde de la religion et

Titres honorifiques composés	Mawlana « notre maître » le sultan. Le roi des rois. Le Souverain des nuques des Nations. Seigneur des rois des Arabes et des Barbares. le sultan de l'Islam et des Musulmans. Le seigneur des rois et des sultans. Celui qui a établi la justice dans les Mondes.	مولانا السلطان. الأعظم شاهنشاه. مالك رقاب الأمم. سيد ملوك الـعـــرب والعجـــم. سلطان الإسلام والمسلمين. سيد الملوك والسلاطين. ناشر جناح العدل على العالمين .

La chaine onomastique du sultan al-Ashraf

Eléments de la chaine	**Notes explicatifs**
Al-Ashraf Ismaïl b. al-Abbas b. Ali b. Daoud b. Youssef b. Omar b. Ali b. Rasoul	
Surnom simple	Al-Ashraf (Le plus noble)
Ism alam (le nom de naissance)	Ismaïl
Surnom composé	Mumahhid ad-donya wa ad-din
Konya : (Surnom en Abou ou Surnom de paternité)	Abou al-Abbas (Cette partie du nom est absente dans les inscriptions de la madrasa, son absence n'est pas une chose exceptionnelle, puisque elle est rarement présente, même dans les sources écrites.)
Nasab la généalogie (*nasab*) patrilinéaire.	Ismail: (*ben Abbas ben Ali ben Daoud ben Youssef ben Omar ben Ali ben Rasoul*)
Nisba : (Le nom de relation tribal ou géographique)	L'absence de la « nisaba » (ghassani) est un fait remarquable.

Si certains titres et attributs mentionnés dans les deux inscriptions, étaient

la justice dans les Mondes, «Mumahhid al-donya wa al-din, Ismaïl b. Abbas b. Ali b. Daoud b. Youssef b. Omar b. Ali b. Rasoul ». Qu'Allah le rétribue ainsi que sa famille. (Ceci a été achevé) le 15 muharram 803/ (dimanche 5 septembre 1400) » [(54)].

Une troisième inscription commémorative, gravée sur le fronton de l'entrée de la khanqah, adjacente à la madrasa ; mentionne aussi la titulature du sultan fondateur. Le texte dit : «A ordonné la fondation de cette madrasa bénite notre maître et seigneur le sultan le souverain le très haut al-Malik al-Ashraf Mumahhid ad-donya wa ad-din Ismaïl b. d'al-Abbas b. Ali, b. Daoud b. Youssef que Dieu éternise son royauté et lui accorde la victoire » [(55)].

A partir de ces trois inscriptions, nous pouvons établir les deux tableaux récapitulatifs et illustratifs suivants :

Titres et Attributs du sultan al-Ashraf

Nature des titres et attributs	**Titres et attributs**	**Notes**
Titres de fonction	Le sultan	Précédé par l'attribut (Mawlana) « notre maître » titre initial du protocole rasoulide. Il précède toujours le tire de sultan et de malik.
Titres de souverainetés	Le roi	Le titre : Le roi-sultan est réservé aux rois régnants, les princes portent le titre roi tout court.
Attribut de souveraineté	Notre seigneur	- Notre seigneur. « Notre maître »
Titres honorifiques simples	Le savant Le juste Le plus immense Le plus majestueux Le lumineux. (الأقمر)	- On remarque l'absence d'un titre très cher aux sultans (Le combattant) المجاهد

des shaykhs soufis, partisans de la famille régnante, une famille qui n'avait à l'origine ni la noblesse, ni le charisme des Imams zaydites [51], une famille qui voulait être confortée du statut de la légitimité par tous les moyens y compris la propagande [52].

- La titulature et la chaine onomastique du sultan al-Ashraf Ismaïl : un outil de propagande et une quête perpétuelle de légitimité

Comme tous les sultans d'Orient, héritiers des outils des Seldjoukides, al-Ashraf se fait attribuer une multitude de titres de fonctions, ou de souveraineté, ainsi que des épithètes honorifiques simples ou composées, qui sont soulignées par ses courtisans : chroniqueurs et poètes et qui figurent par les soins de son administration sur sa monnaie, sur ses documents officiels (correspondance, contrats….) et sur les monuments bâtis ou restaurés à son initiative.

La madrasa al-Ashrafiya comporte des inscriptions qui mentionnent la chaine onomastique de son fondateur, le sultan al-Ashraf, ainsi que ses titres et ses attributs. En effet sur la tombe de celui-ci figure l'épitaphe suivante, sculptée en relief: « Ceci est la tombe de celui qui a besoin de la miséricorde de son Dieu, le Très-Haut, et de Son Agrément, notre maître, le sultan, le savant, le juste, le pourvu de toutes les vertus, al-malik (le roi) al-Ashraf Ismaïl b. al-Abbas b. Ali b. Daoud b. Yousef b. Omar b. Ali b. Rasoul. Il rejoignit la clémence d'Allah, Le Très-Haut, le samedi 18 rabi al-awwal de l'année 803 » [53].

Une autre inscription mentionnant la titulature du sultan al-Ashraf est sculptée en relief sous forme d'un bandeau épigraphique appliqué sur le contour des murs intérieurs de la salle des prières. Il s'agit d'un texte commutatif qui indique la date de la fin des travaux de construction et d'ornementation de la madrasa, en voici le texte: « La construction de cette madrasa bénie, heureuse, élevée et royale, du sultan, a été ordonnée par son fondateur, notre maître le sultan magnifié Shahin Shah (Roi des Rois), Souverain des nuques des Nations, le lumineux, seigneur des Rois des Arabes et des Ajams, le sultan de l'Islam et des Musulmans, seigneur des rois et des sultans, celui qui instaure

tombe.

Mais avant d'aborder ce sujet il semble intéressant de parler d'une inscription qui paraît de nature banale à première vue, mais qui est riche en matière de propagande doctrinale et politique. Il s'agit d'une invocation peinte sur les parois intérieures de la calotte de l'une des coupoles de la salle de prière.

- Une invocation qui exprime la tendance politique et l'appartenance doctrinale des Rasoulides :

Sur la susdite calotte, on peut lire l'invocation suivante : « Oh Allah, accorde la bénédiction à Votre Messager, notre Seigneur Mohamed, Oh, (Celui) qui détient la Majesté et la Bonté ; et qu'Allah soit satisfait de tous les Compagnons ». [(48)]

Le thème de cette invocation est un appel à la miséricorde d'Allah pour le Prophète et la satisfaction pour tous les Compagnons. À première vue et en dehors du contexte doctrinal du Yémen rasoulide, rien n'attire l'attention dans les termes de cette invocation. Or, la dernière phrase de cette prière est riche en significations politiques et doctrinales dans un pays ou coexistent et se côtoient deux factions religieuses rivales : l'école chiite qui est celle des Imams zaydites Hasanides dominant les Hauts Plateaux du Nord depuis 284/899 et l'école sunnite qui est celle des sultans shafites et asharites, gouverneur de Taèz et du Bas-Yémen [(49)].

En effet le fait de rendre hommage à l'ensemble des Compagnons du Prophète révèle l'appartenance du commanditaire à l'école sunnite qui considère les Compagnons comme étant tous justes et dignes de vénération, contrairement à l'école chiite qui nie l'équité de la majorité des compagnons en se basant sur les hadiths relatifs au « Bassin » rapportés par al-Bokhari [(50)].

Cette prière nous rappelle aussi l'un des objectifs primordiaux de la fondation des madrasas, qui est la consolidation de la confession shafites et notamment la diffusion de la doctrine asharite par la formation des faqihs et

d'al-Ashraf, Ibn al-Moqri affirme que: « Le roi n'est que le représentant d'Allah qui oriente ses actes par des directives semblables à la révélation ». [41]

Lors d'une autre occasion, il s'adresse au même monarque en disant: «Allah vous a choisi parmi les humains. Il a éliminé tous les tourments et vous a octroyé un pouvoir prospère ». [42]

Ces mêmes idées, rejoignent l'opinion politique des savants asharites [43] préconisant une obéissance totale même à un dirigeant injuste ou tyrannique, (Amir Jaïr), voire à celui qui s'est emparé du pouvoir par la force, ou par des manœuvres illicites, (Amir al-istila) [44] .

Cette opinion est basée aussi sur des Traditions prophétiques qui recommandent aux Croyants l'obéissance et la soumission à celui qui parmi eux détient le commandement.

Selon un hadith rapporté par Abou Horayra, le Prophète (pbAsl) a dit: «Celui qui mobéit, il a obéit à Dieu, et celui qui me désobéit, il a désobéit à Dieu, et celui qui obéit au gouverneur ma obéit, et celui qui lui désobéit, ma désobéit » [54].

Une autre Tradition confirme cette recommandation aux Croyants ; même si ce gouverneur leur brise les os, même s'il prend possession de leurs biens indûment, ils doivent répondre à ses directives et obéir à sa volonté, sauf s'ils constatent une impiété claire et évidente de sa part, [46] (koufr bawah) car « Quiconque s'égarera de la Communauté d'un empan mourra de la mort des idolâtres antéislamiques » [47].

Tout en exigeant l'obéissance totale de la part de leurs sujets, conformément à la « Volonté Divine », les sultans rasoulides ne veulent pas s'afficher comme des despotes ou des usurpateurs mais plutôt comme des gouverneurs justes, bienveillants et bénéficiaires de toutes les légitimités. Cette volonté est clairement exprimée par la titulature du sultan al-Ashraf, mentionnée dans l'une des inscriptions commémoratives et dans l'épitaphe qui figure sur sa

communauté des croyants. Il leur permet d'établir un Etat conformément aux ordres divins. Leur pouvoir s'inscrit donc dans le prolongement de celui du Dieu et du Prophète.

Les trois Versets susmentionnés sont souvent cités par les auteurs des «Miroirs des princes» pour justifier et rendre légitime le pouvoir des gouverneurs, quelque soit la façon par la quelle ils détiennent ce pouvoir.

Al-Afdhal qui considère le sultan comme «l'Ombre d'Allah sur terre» [(35)] déduit à partir du Verset 26 de la Sourate [3] (Al-Imran) que «Allah n'accorde la royauté qu'à des élus, à qui il donne la capacité de bien entretenir ses serviteurs » [(36)]. Il conclut à partir du Verset 26 de la Sourate Des Femmes que le vrai fidèle doit obéir aux ordres des sultans et vénérer leurs personnes [(37)].

Les mêmes idées évoquées par les Versets précédents et développées par les traités politiques sont souvent invoquées dans la poésie panégyrique yéménite pour légitimer le pouvoir des sultans rasoulides.

Le poète Mohamed b. Himyar (mort en 1253) déclare à propos du sultan Nour al-Din Omar roi fondateur de la dynastie rasoulide (mort en 647/1249): « C'est Allah qui l'a sacré comme roi, Il ne lui confisquera jamais ce Don. C'est Allah qui l'a investi, parce qu'Il savait qu'il est le plus clément des humains » [(38)].

Un autre grand poète yéménite, Ibn al-Moqri s'est adressé au sultan al-Nasir Ahmed (803-827 / 1400-1424), fils d'al-Ashraf, le sultan fondateur d'al-Ashrafiya on disant: « Vous êtes représentant de Allah sur terre, je vous souhaite un mandat sans déposition » [(39)].

Dans un poème adressé à al-Mansour Abdallah (827-830/1424-1427), petit fils d'al-Ashraf, Ibn al-Moqri, revient sur la même idée, en chantant : « C'est Allah qui a bien édifié ton pouvoir et Ses Œuvres sont toujours inébranlables » [(40)].

S'adressant au sultan al-Dhahir Yahya (831-842/1428-1438), un autre fils

depuis l'époque Omeyyade.

Sur la base d'une autre coupole nous lisons aussi des Versets en relation allusive avec l'idéologie du pouvoir. Il s'agit des Versets 69-72 de la Sourate [33] al-Ahzab (Les Factions).

« Ô vous qui croyez !, soyez pieux envers Allah et tenez de droit propos ! [Allah] réformera (aslaha) vos actions et vous pardonnera vos péchés. Quiconque obéit à Allah et à Son Apôtre touche à un succès immense. Nous avons proposé la confiance aux cieux, à la terre et aux montagnes. Ils ont refusé de s'en charger et s'en sont effrayés, alors que l'Homme s'en est chargé, car il est injuste et ignorant de toute loi » [(32)].

Le Verset (71) de cette Sourate enjoint aux croyants l'allégeance à Dieu et à Son Prophète. Il ordonne implicitement aux fidèles l'obéissance aux rois qualifiés d'«héritiers des prophètes» selon l'expression employée par le sultan rasoulide al-Malik al-Afdhal (M. 778/1377), dans ses «Miroirs des princes» [(33)]. Selon la même source, c'est grâce à cette qualité d'héritiers que les rois méritent aussi d'être «aimés et respectés de la même manière que les prophètes.

Un autre Verset est lui aussi toujours évoqué pour assoir le pouvoir royal, il s'agit du Verset 59 de la sourate [4] An-Nisa (les Femmes), qui dit : «O vous qui croyez !, Obéissez à Allah, et obéissez à l'Apôtre et à ceux d'entre vous qui détenant l'autorité. Si vous vous disputez au sujet de quelque chose, renvoyez cela devant Allah et l'Apôtre, si vous vous trouez croire en Allah et au Dernier Jour ! C'est préférable et meilleure comme interprétation.»[(34).]

En premier lieu ce Verset prescrit aux croyants l'obéissance à Dieu, en second lieu à son Prophète, en troisième lieu, il appelle les croyants à obéir «à ceux d'entre vous qui détiennent l'autorité» (ouli al-amr minkoum) et qui sont placés sur le même plan que Dieu et son Prophète.

Ces détenteurs de pouvoir sont considérés comme les successeurs du prophète et les substituts de Dieu, qui leur confie la charge de guider la

la piété du sultan qui fait l'aumône et dépense en largesse.

Il faut tout d'abord rappeler que la fondation d'une madrasa dotée d'un revenu constant et durable pour subvenir à sa gestion, à son entretien et à la rémunération des bénéficiaires est considérée comme un waqf khayri lequel est estimé en Islam comme un geste d'aumône, «une sadaqa jariya» (charité durable) [(28)].

À travers ces textes coraniques qui exhortent les fidèles à faire l'aumône, le sultan fondateur se donne l'image d'un bon croyant agissant en dévot, qui veut parfaire ses œuvres pieuses. Al-Ashraf voulait aussi afficher sa largesse et s'afficher aux yeux de ses sujets et surtout des bénéficiaires de l'établissement comme un sultan mécène qui protège et entretient les Oulémas, la science et les institutions religieuses et scolaires. Il remplissait ainsi l'une des conditions exigées pour l'exercice du pouvoir: le mérite [(29)].

- **Des Sourates et des Versets choisis pour légitimer le pouvoir sultanien** :

Dans ce cadre, nous citons le Verset 26 de la Sourate [3] La famille De Imran (Al-Imran) et les Versets 69-72 de la Sourate [33] al-Ahzab, (Les Factions) inscrits sur les calottes des coupoles de la salle de prière.

Sur la base de la calotte de la coupole centrale, nous lisons le Verset suivant : (Dis : « Ô ! Dieu, Souverain de la Royauté !, Tu donnes la royauté à qui Tu veux et Tu arraches la royauté à qui Tu veux. Tu élève qui Tu veux et Tu abaisses qui Tu veux. En Ta main est le bonheur. Sur toute chose, Tu es omnipotent.») [(30)].

Ce Verset qui rappelle l'origine divine du pouvoir des dirigeants est ostensiblement affiché sur une autre base de la calotte dans la même salle[(31)].

Ce même Verset était largement invoqué au Yémen rasoulide, comme ailleurs dans le monde islamique par les poètes, les chroniqueurs et les auteurs des « Miroirs des princes » pour soutenir l'idée de l'origine divine du pouvoir royal. On peut le considérer comme la base de la consécration de «l'idéologie fataliste», véritable entreprise politique aliénante, imposée au nom de Dieu

promettent d'être grandement rétribués auprès de Lui. Dans ce cadre nous avons énuméré les cinq Versets suivants :

- **Sourate [2] : La Génisse (Al-Baqarah) Verset 271** [(24)].

«Si vous donnez ouvertement vos aumônes, combien elles sont bonnes ! [Mais] si vous les cachez en les donnant aux besogneux c'est mieux pour vous et elles effacent pour vous [une partie] de vos mauvaises actions. Allah, de ce que vous faites, est bien informé. »

- **Sourate [2] : La Génisse (Al-Baqarah) Verset 267.** [(25)]

«Ô vous qui croyez! Faites dépense [en aumône] sur les choses excellentes que vous possédez et sur ce que Nous avons fait sortir de la terre ! Ne vous tournez point vers ce qui est vil, faisant de lui dépense. Vous ne vous trouvez en effet prendre ce qui est vil qu'autant que vous fermiez les yeux sur lui. Sachez qu'Allah est suffisant à Soi-même et digne de louange ».

- **Sourate [2] : La Génisse (Al-Baqarah, Verset 280-281)** [(26)]

« Si [votre débiteur] est dans la gêne, [qu'] un sursis [intervienne] jusqu'à ce qu'il soit à l'aise ? [Toutefois], faire aumône [de cette dette] est mieux pour vous, si vous vous trouvez savoir. Soyez pieux [redoutant] un jour où vous serez ramenés à Allah, où chaque âme recevra juste prix de ce qu'elle se sera acquis où [les Hommes] ne seront points lésés ».

- **Sourate [3] : La famille De Imran (Al-Imran), Verset 134)** [(27)]

«Qui font dépense [en aumône] dans la félicité et l'infélicité [vers un jardin destiné à] ceux qui domptent leur colère et effacent les offenses des Hommes - Allah aime les Bienfaisants-».

Le choix des susdits Versets, répond sans aucun doute à un objectif propagandiste. En effet les textes choisis ne sont pas affichés seulement pour les valeurs bénéfiques qu'on leur attribue ou pour inviter étudiants et professeurs à dépenser pour la cause de Dieu, mais pour faire allusion à la générosité et à

Pour ces mêmes raisons, ces textes sont ainsi largement utilisés dans le domaine de l'architecture monumentale, c'est le cas de ceux de la madrasa al-Ashrafiya de Taèz. Parmi les textes coraniques affichés dans cet établissement pour les bienfaits qu'on leur attribue, nous citons à titre d'exemples les Sourates et les Versets suivants : [17]

Sourate [85] Al-Bourouj (Les Constellations) [85] : Cette Sourate est considérée comme l'une des « Sept Salvatrices » (As-Saba Al-mounjiyat) [18]. La Tradition rapporte aussi que le Prophète (pbAsl) récitait à chaque prière de Icha (Soir) la Wa-s-sama dhati el bourouj (Al-Bourouj, «les Constellations» [85]) et Wa-s-sama wa-t-Tariq (At-Tariq « L'Astre nocturne » [86]) » [19].

Le Verset du Trône (Ayat Al-Korsi) [20] : Al-Siouti rapporte, dans l'un de ses ouvrages quarante hadiths sur les mérites de ce Verset lui attribuant un pouvoir de protection et de bien être incontestable [21]. Selon la Tradition, ce Verset, considéré comme « le meilleur Verset du Livre d'Allah » « renferme le Nom Suprême de Dieu par lequel Il exauce lorsqu'on l'invoque » et représente à lui seul « le quart du saint Coran ». D'après Obay b. Kaab, il « possède une langue et deux lèvres, qui sanctifient le Souverain au pied du Trône » [22].

Sourate [110] Le Secours victorieux (An-Nasr)

D'après un hadith, jugé dhaïf par al-Faïrouzabadi: « celui qui récite cette Sourate reçoit le même mérite que ceux qui avaient participé à la prise de la Mecque aux côtés du Prophète ». Un autre hadith, de même valeur, promet à celui qui le récite d'échapper aux horreurs du Jour du Jugement [23].

À côté de ses Sourates et Versets, affichés pour les vertus qu'ils contiennent, nous trouvons des textes coraniques choisis pour soigner l'image de marque du sultan fondateur de la madrasa et pour vanter ses mérites.

2- Des Versets choisis pour vanter implicitement les mérites du sultan.

Certains Versets peints à l'intérieur de la salle de prière appellent les fidèles à faire l'aumône et à dépenser leurs biens pour la cause de Dieu et leurs

son image de marque ainsi que celle de sa famille, soit pour vanter ses mérites politiques et soutenir et maintenir sa légitimité. Cependant, certains textes coraniques sont choisis par hommage au Saint Coran ou pour les bienfaits qu'on lui attribue selon la tradition islamique.

En somme les textes répertoriés peuvent être ordonnés comme suit:

- Des textes à valeur commémoratives et informatives : Il s'agit d'inscriptions indiquant les dates du début et de la fin des travaux et citant la personne qui les a commandités ainsi que celle qui les a supervisés.

- Des textes coraniques (Versets ou Sourates) à valeur bénéfique, comme la Sourate (Al-Bourouj), «les Constellations», ou celle (d'Ar-Rahman) «Le Bienfaiteur » ou, encore, les (Ayat Al-Korsi), «Versets du Trône ».

- Des textes sacrés ou profanes à valeur propagandistes:

- Certains Versets du Coran, comme le Verset n° 26 de la Sourate (Al-Imran) « La Famille De Imran» qu'on considère comme l'un des piliers de la pensée fataliste et d'emblée, celui de la théorie du droit divin.

- Les Versets qui exhortent à l'aumône et qui renvoient implicitement à certaines qualités du sultan commanditaire (largesse et générosité)

- Les surnoms, les titres, les attributs et les épitaphes du sultan fondateur qui évoquent ses qualités personnelles, ses vertus, ou ses prétentions.

- Des prières et invocations qui expriment l'appartenance confessionnelle du sultan fondateur de la madrasa.

- Les textes coraniques à valeur bénéfique dans la madrasa al- Ashrafiya de Taèz :

Si tous les musulmans croient aux valeurs bénéfiques de l'ensemble du Saint Coran [(16)], certains exégètes attribuent, quant à eux, des vertus exceptionnelles à certains Versets et Sourates, encourageant ainsi les fidèles à les réciter ou à les afficher pour exaucer des vœux ou surmonter des obstacles.

En outre les mêmes soucis de légitimité et de grandeur sont révélés aussi et surtout par la somptuosité du monument, l'ampleur de sa décoration et la nature des inscriptions qui ornent et illuminent les murs de l'établissement et ses coupoles. Ces inscriptions feront l'objet de la présente étude épigraphique qui propose une analyse de leur portée politique et idéologique.

Toutefois il faut noter que notre travail n'est pas fondé sur un corpus achevé présentant la totalité des inscriptions de la madrasa al-Ashrafiya, puisque non seulement quelques inscriptions ont été publiées, mais que peu d'entre-elles ont fait l'objet d'étude. De plus nos visites à ce monument ont eu lieu avant et pendant sa restauration [13]. C'est pourquoi une étude paléographique profonde n'est pas à l'ordre du jour, cependant, les inscriptions recueillies sont suffisamment significatives pour pouvoir déchiffrer le message épigraphique d'al-Ashrafiya [14].

Les textes que nous avons répertoriés peuvent êtres classés en trois catégories:

- Des inscriptions funéraires gravées sur les tombes des princes et des sultans rasoulides dont la plus importante et la plus riche en informations est celle qui orne la tombe du roi fondateur de la madrasa : le sultan al-Ashraf Ismaïl.

- Des inscriptions commémoratives gravées sur les linteaux des entrées de la madrasa ou dans d'autres lieux, comme celle qui se trouve dans la salle de prière et qui indique à la fois la date de construction et la titulature du sultan fondateur.

- Des Sourates ou des Versets du Coran, ainsi que des prières et des louanges adressées à Dieu ou à son Prophète et qui sont peints ou gravés sur les murs de la salle de prière et sur les parois de ses coupoles. [15]

Plus qu'un simple motif de décoration, les textes de ces inscriptions sont choisis soit pour louer les vertus et les bienfaits du fondateur et pour soigner

Les inscriptions de la madrasa al-Ašrafiyya de Ta'izz (Yémen) : portées politiques et idéologiques

Said M'hamed Abdelhamid
Faculté des Sciences Humaines et Sociales de Tunis (FSHST).

Introduction :

Taèz, [1] la capitale des Rasoulides [2], fut dotée durant le règne de cette célèbre famille sur le Yémen de vingt-six madrasas dont onze fondées par des sultans et sept par des princesses de la famille régnante [3]. La madrasa al-Ashrafiya, du nom de son fondateur al-Ashraf Ismaïl (778-803/1376-1400) [4], est l'une des rares et des plus prestigieux monuments légués par l'époque rasoulide [5]. Elle est aussi l'unique ouvrage de son genre à Taèz attribué à ce sultan [6] qui ordonna, une dizaine d'années avant sa fondation, de restaurer une mosquée dans sa capitale, ainsi que de nombreuses mosquées et madrasas dans la ville de Zabid [7]. Il ordonna aussi, la fondation du complexe mosquée-madrasa-khanqah d'al-Mimlah près de Zabid [8].

Les travaux de construction de cette madrasa, furent entrepris durant la guerre contre l'Imam zaydite Hasanide qui fit des incursions contre le pays rasoulide [9]. Al-Ashraf Ismaïl voulait sans doute par ce geste de mécène s'attirer les faveurs des faquihs, des soufis yéménites ainsi que celles de ses sujets afin de les rallier contre son redoutable ennemi.

Par la construction d'al-Ashrafiya, ce sultan voulait aussi poursuivre la stratégie de ses aïeux, qui ordonnèrent la construction de pareils établissements pour consolider le système d'enseignement et de propagande visant la formation d'une élite de lettrés dépendants moralement et matériellement de la famille régnante [10]. Al-Ashraf cherchait aussi, d'une part à exhiber sa richesse, sa largesse et sa piété, rehaussant ainsi son image de marque de son vivant et d'autre part à édifier une mémoire glorieuse.[11] Il voulait enfin préparer un lieu de sépulture sacré et inviolable. [12]

Sommaire

Les inscriptions de la madrasa al-Ašrafiyya de Ta'izz (Yémen) : portées politiques et idéologiques Said M'hamed Abdelhamid	01
L'archéologie et les œuvres documentaires réalisées par A.DELAMARE et A.RAVOISIE Mme. DALLIL Zakia	33

République Algérienne Démocratique et Populaire
Ministère de l'enseignement supérieur
et de la Recherche Scientifique
Université de Tlemcen

Revue
Minbar et-tourath el-etheri

Revue scientifique indexée spécialisée en patrimoine archéologique

Numéros : deux et trois

2013 - 2014

Réalisée par le laboratoire :
Patrimoine archéologique et sa valorisation
ISSN 2335 - 1500